

كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمد كامل سليم

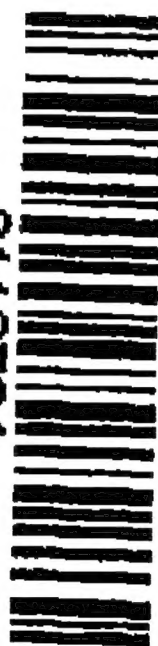
سكرتير سعد زغلول الخاص

الأمة الأولى في الشرق الأوسط

الكتاب الأول (1919-1922)



Bibliotheca Alexandrina



0112504

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وطى يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس إدارة

على أمين

رئيس التحرير

أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير

عبد العزيز عبد السلام

مدير التحرير

هسيب فريد

العدد ١٠٧

مارس ١٩٧٦

ربيع الاول ١٣٩٦

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع

الصحافة ٩٧٧٧٧٧ سبعة فطرط

الاشتراكات

المجموعة الأولى ١,٥٠٠ ج ٤٠٢٠٠ اتحاد البريد العربى والأفريقي

البريد العادى

المجموعة الثانية ٢,٣٠٠ باقى دول العالم ..

المجموعة الأولى ٢,٣٠٠ ج اتحاد البريد العربى والأفريقي

البريد الجوى

المجموعة الثانية ٥,٣٠٠ باقى دول العالم ..

ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ (١) شارع الصحافة بالقاهرة ٧٧٧٧٧٧-٧٧٨٦٠

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف:
رقم التسجيل: ١٣٩٩



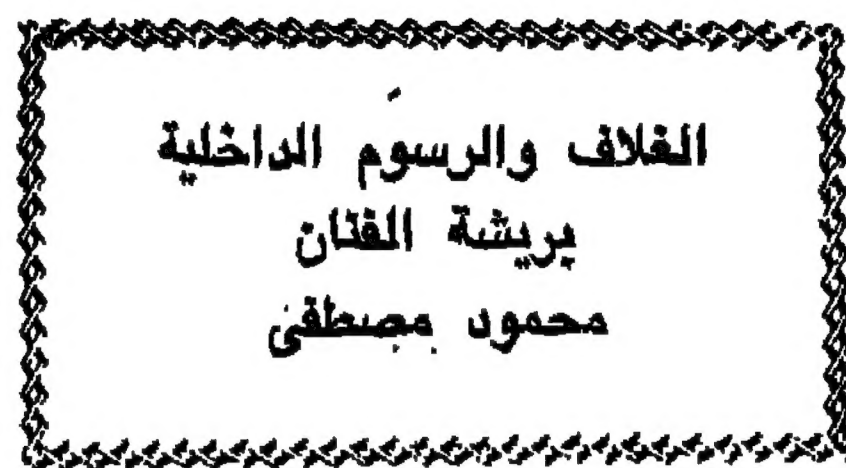
أزمة الوفد الكبرى معدوعدلى

بقلم محمد كامل سليم
سكرتير سعد زعاول الخاص



National Organization of the Alexandria Library (GOAL)
القاهرة

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة



المقدمة

من دواعي الاسى والاسف ان حياة الوفد في أوروبا كانت مضطربة . أشد الاضطراب ، حافلة بالمتاعب والخلافات والمنازعات والانفعالات والازمات من أول يوم وصل فيه الوفد الى باريس في ١٩ من أبريل ١٩١٩ ، الى أول يوم وصل فيه الى لندن يوم ٦ يونيو ، والى آخر يوم في المفاوضات التي جرت بين الوفد ولجنة ملنر حتى انتهت في ١٠ من نوفمبر . وقد سجلت تفاصيل كل هذه المراحل في كتابي « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها » و « صراع سعد في أوروبا » وفيهما بيان مفصل لكل الخلافات والاعترافات والازمات وأسبابها ونتائجها .

وفي هذا الكتاب الثالث « أزمة الوفد الكبرى » تاريخ مفصل لكل ما حدث في باريس بعد أن عاد اليها الزعيم سعد زغلول والوفد ثم عدلى اثر انتهاء المفاوضات المستطيلة المتعثرة مع لجنة ملنر .

استمرت الخلافات والنزاعات والصراعات بين سعد وأغلبية الأعضاء في الوفد حتى عادوا في ٢٦ من يناير ١٩٢١ الى مصر غاضبين منشقين وراغبين في تأييد عدلى علنا .

وفي ابريل ١٩٢١ عاد الزعيم سعد زغلول الى مصر واستقبل استقبالاً شعبياً رائعاً لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد .

سر هذه الازمات الخطيرة ان أغلبية الأعضاء في الوفد حاولوا المستحيل . هذه المرة ، حاولوا في استماتة وإصرار حمل الزعيم سعد زغلول على تأييد عدلى في الوزارة الجديدة التي سيؤلفها بإيحاء وتأييد من ملنر ، وقد ألفها بعد أيام . وحاولوا حمل الزعيم على ترك عدلى يتولى المفاوضات الرسمية وحده مع الحكومة الانجليزية على أساس مشروع ملنر كما هو وبدون تعديله بالتحفظات التي جعلها الزعيم شرطاً أساسياً لقبول المفاوضات

الرسمية ، وأخيرا حاولوا ما هو أكثر استحالة ، وهو أن يتنحى الوفد والزعيم نفسه عن الاشتراك فى هذه المفاوضات المقبلة ، وترك الفرصة لعدلى كرئيس للوزارة يتولاها ويمارسها وحده عسى أن ينجح فيما سبق أن فشل فيه الوفد مع طنز .

ردود الفعل عند الزعيم سعد زغلول فى هذا الموضوع يمكن تصورها ولا يمكن تلخيصها ، ولكن يمكن قراءتها فى هذا الكتاب بكل تفصيلاتها .

حسبى أن أسجل كلمة موجزة ، لقد اعتبر الزعيم اقتراحات الاغلبية سخافة وحماسة ، وأكد أنه لن يقبلها بحال من الاحوال ، ثم قال فى غضب وسخرية : « كيف يتنحى زعيم الامة ووكيلها عن مهمته الاصلية وممارسة واجباته ويتركها لعدلى ، وما أدراك ما عدلى ، مجرد دخيل وعميل للانجليز والاستعمار وموافق على « الحماية » . ثم قال : « من يتشكك فى ذلك انما هو خادع أو مخدوع » .

هنا انفجرت قنبلة هذه الازمة الوفدية الكبرى ، انها كانت القارعة الحاسمة القاتلة التى قضت على الوفد قضاء مبرما وانتهت حياته فى أوروبا الى غير رجعة .
والآن ارى من واجبى أن أميط اللثام عن حقيقة شخصية عدلى وطبيعته التى فطر عليها ، وأسلوب تفكيره ونظرته الى الحياة ، وفلسفته الخاصة الفريدة . سأحاول وقد عرفته مدة طويلة أن أرسم صورة قلمية له والزعيم سعد زغلول ، للمقارنة بينهما وتفهم أهداف كل منهما وبيان رسالته فى الحياة كما حددها كل منهما لنفسه وسعى فى تحقيقها ، ولعل القارئ بعد هذه المقارنة يستطيع أن يحكم بين الرجلين ، أيهما كان أهدى سبيلا وأي الاثنين كان أصلح وأولى بخدمة القضية الوطنية للبلاد .

سعد : رجل الشعب ، ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين واشتعل قلبه وعقله بمشاعر المحكومين ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر .

وعدلى : رجل الديوان ، ارسنقراطى ، فيه دم تركى أجنبى ، عظيم الثراء ، نبت فى بيئة الحكام ، وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال .

سعد : ثقافته عربية أدبية دينية اسلامية ، تعلم الفرنسية على

كبر وأتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه وقراءاته وكثرة أسفاره الى الخارج .

وعدلى : ثقافته فرنسية ، ونشأته وتربيته وعاداته فرنسية ، وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان أقدر على الكلام بالفرنسية أضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ، ولم يعرف العربية الفصحى ، ولم يقرأ كتابا من كتب الادب العربى .

سعد : رجل أخلاق ومبادئ ، مطبوع على الصراحة والشجاعة والثقة بالنفس والصدق والامانة .

وعدلى : رجل مصالح أولا وأخيرا ولا يعنى بسواها ، وكل وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فورا مادامت لا تعرضه للمبتاعب والاختار ، ويرى أن المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ، والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة .

سعد : رجل عاطفى مشبوب العواطف يحب بكل قلبه مع العطف والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار ، ويغضب فى عنف على كل منحرف عن الصدق والامانة والفضيلة والاستقامة ، ويحزن فى عمق على ما يصيب أحبابه ومن يثق فيهم . لهذا كان حزنه أشد ما يكون سوادا وعمقا عندما علم بالمقبض على عبد الرحمن فهمى ومساعديه من شباب المصريين الأبرياء ، وبلغ من حزنه وغضبه وانفعالاته أن صمم على قطع المفاوضات مع ملر سخطا واحتجاجا على غدر الانجليز وجرائمهم ضد الأبرياء من مواطنيه ، وفى طليعتهم عبد الرحمن فهمى الذى اعتمد عليه كل الاعتماد فى الاشراف على الثورة والثوار ، وكان فى نظره مثالا أعلى فى الاخلاص والنشاط والاستقامة ومضاء العزيمة والقدرة على التنظيم . وقال لى سعد بعد أن قبض الانجليز على عبد الرحمن فهمى : « ان الفراغ الذى حدث بعد هذا القبض لا يمكن أن يملأه شخص ولا لجنة ، وان جريمة الانجليز مؤامرة لثيمة لا تغتفر » .

وعدلى : متكبر لا يترك أية عاطفة تسيطر عليه ، فهو يقلد الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة أن تفوت عليه مصلحة يريدتها . وهو بحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشأته لا يعترف بالمثل العليا ولا يعرف الفداء ، ولا يتأثر كثيرا بما يصيب الآخرين . سلوكه يتوقف على ما يراه ، فان كان ما يراه صعبا جدا أعرض عنه وانصرف الى سواه ، وان كان ما يراه مفيدا

وممكننا بمجهود يسير أقبل عليه ودافع عنه وقام بالعمل لتحقيقه ،
ومصلحته الشخصية هي الهدف الاول والاخير على الدوام .

لا يرى أى معنى للتمسك بالمبدأ أو الثبات على عهد أو مقاومة
القوة القاهرة ، ويرى أن التمسك بذلك إنما هو من مظاهر الغباء
وقلة العقل وانعدام الزوح المعنوية ، وأن المثل العليا والتضحية في
سبيلها عبث في عبث وتصرفات خيالية لا تليق .

لهذا كان عدلى مثل رشدى يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الاستقلال
الذى يطلبه سعد ويسعى إليه إنما هو ضرب من المحال ، وأن مصر
في طورها الحالى وضعفها المتناهى لا قبل لها بمقاومة بريطانيا ،
وهي في ذروة قوتها وسلطانها وغناها ونفوذها بين الدول ، وكان
يرى كذلك أن تعريض الانسان حياته لخطر السجن أو النفي أو
الموت في سبيل الاهداف الوطنية جنون في جنون .

عدلى ورشدى في هذا كله توأمان متفقان ومنسجمان .
ولكن عدلى وسعد : كيف يتفقان ويتفاهمان وينسجمان ؟
وأخيراً لا بد من كلمة عن أسلوب سعد في الكلام والخطابة ،
وأسلوب عدلى فيهما .

كان أسلوب سعد في الكلام أسلوب المحامى القدير ، يصغى
أولاً في صبر وأناة الى من يحدثه ويسجل في ذاكرته كل ما يسمع
لا سيما النقاط الضعيفة والحجج الهزيلة ، ثم يبدأ في الرد بحر
هدوء وتؤدة ، يفند المزاعم والحجج الواهية ويرد على مطالب الخصم
وأسانيده وأهدافه ومرامييه ويظهر ما فيها من فساد وبطلان وكثيراً
ما يسخر منها قبل أن يسحقها سحقاً وبعد ذلك يدلى بردوده
القائمة على الحق ، ويعرض قضيته في سلسلة من الحجج القوية
المرتبة المتناسكة المتدفقة في جد صارم وفي وضوح عجيب يدعمه
المنطق ويزينه جمال الأسلوب وروعة الفصاحة في الأداء والادلاء
وفي فن الخطابة كان سعد المثل الاعلى يهز المناير وبفصاحته
وأسلوبه البديع الأخاذ يسحر الملايين .

أما أسلوب عدلى فكان من طراز آخر يختلف كل الاختلاف عن
أسلوب سعد في الكلام ، هو أسلوب السياسى الناعم الملمس الذى
لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، كما سبق أن
ذكرت ذلك عنه ، حتى اذا اضطر الى الكلام بالعامية فان الايجاز
كان ميزته الظاهرة ، وهو على عكس سعد لا يتناول أية حجة ضعيفة

من خصمه ليرد عليها ، وانما كان يبدأ بتلخيص ما سسمعه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد أو تجريح فيرضى بذلك صاحبه . وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض .

وكان ملنر يحب الاصغاء الى عدلى ويستريح الى أسلوبه الحالى من كل انتقاد ، وكان ملنر يشكو من سعد ويتهيب الاجتماع والاشتباك معه فى مناقشة ، ويتبرم من أسلوبه الناقد الجريء القوى الصريح .

وأما فى فن الخطابة فعلى صفر ولا يرتجل ، بدأ ، وكان اذا اضطر الى القاء خطبة أعدها له عبد الخالق ثروت أو الاستاذ محمود عزمى ، يضع له الشكل على كل كلمة حتى لا يخطئ فى النحو أو فى النطق الصحيح للكلمات ، ولعله بذلك كان السياسى الوحيد فى مصر الذى لا يعرف الخطابة ولا يحبها ويتفادها بقدر الامكان .

بقيت ملاحظة على أعظم جانب من الإهمية ، فالوفد لم يخطر بباله أن يدعو عدلى الى الحضور الى باريس الا بناء على الحاج عدلى نفسه وطلبه ، وعدلى فى الواقع لم يكن رسول الوفد لدى ملنر ، بل كان على العكس رسول ملنر الى الوفد ، مهمته أن يقنع الوفد بالدخول فى المفاوضات مع ملنر ، وهو يعلم أو كان يجب أن يعلم أن ملنر ولجنته لم يذهبوا الى مصر للمفاوضات ، وانما للتحقيق فى أسباب الثورة واقتراح نظام جديد لحكم مصر فى دائرة الحماية . فى حين أن سعد يهدف الى الغاء الحماية وتحقيق الاستقلال والجلء ، ومع ذلك أراد عدلى من الوفد أن يعود الى مصر ليساعد ملنر على انجاز مهمته على أحسن وجه حتى يتمكن من وضع تقرير شامل بعد سماع ذوى الرأى من المصريين ، فلما فشل عدلى فى هذه المهمة أراد الحضور الى باريس ليقنع الزعيم والوفد بمفاوضة ملنر فى أوروبا تحقيقا لرغبة ملنر فى سماع الوفد حتى يخرج تقريره شاملا كاملا .

وان جميع مراسلات عدلى الى الزعيم فى باريس كلها ناطقة بأنه حاول اقناع الوفد بوجهة نظر ملنر ، وحتى جريدة التيمس نفسها نشرت فى ذلك الحين أن عدلى سيسافر الى باريس لا للراحة « كما زعم عدلى » ولكن لاغراء سعد والوفد للاتصال والمفاوضة مع ملنر .

وكان عدلى بذلك ينشد الحظوة لدى ملنر وقد نجح فى نيلها واستمتع بها ، ولم يكثرث مطلقا بصداقة الزعيم ولا بتوكيل الامة للوفد فى تحقيق المطالب الوطنية .

ولهذا يمكن القول بأن عدلى كان مجرد سمسار فى قضية مصر بينما كان سعد وكيل الامة ، هو صاحب قضية مصر ، يحيا ويموت من أجلها ، ويحتمل الاهوال فى سبيل تحقيقها .

ولم يكن لعدلى رسالة فى الحياة الا أن يصل الى كرسى الوزارة ثم يصبح رئيس الوزراء ، وقد نجح فى ذلك وتحققت شهوته . . .
وأما الزعيم سعد زغلول فكانت له رسالة ، ورسالته كانت ذات شعبتين :

الشعبة الاولى - ذات طابع سياسى له أربعة أهداف أساسية وهى : الغاء الحماية البريطانية . الاعتراف لمصر بالاستقلال التام . انتهاء الاحتلال وتحقيق الجلاء . وأخيرا اقامة نظام ديمقراطى برلمانى يضمن حرية الفرد ويحدد سلطة الحاكم ، فتقوم الوزارات وتسقط بناء على الثقة البرلمانية .

والشعبة الثانية - ذات طابع اجتماعى وهو توحيد صفوف الامة ، وخلق اتحاد بين المسلمين والاقباط ، وكان هدفه اتحاض اندماج وحب وثقة ، وتجلت عملية الانصهار والاتحاد فى بوتقة الجهاد فى الثورة العارمة سنة ١٩١٩ ، كما عمل على تحرير المرأة بعد قاسم أمين ودعاها وشجعها على النزول الى ميدان الجهاد الوطنى فاشتريكت النساء مع الرجال فى المظاهرات وفى اجتماعات اللجان ، وبهذا تم تحرير المرأة المصرية وزال الحجاب بعسد أن كانت المرأة سجيئة وراء الابواب .

ونجحت رسالة الزعيم سعد زغلول فى النهاية بعد أن ذاق الامرين ودفع الثمن غاليا ، وكان الثمن هو العذاب والنفى من وطنه ثلاث مرات وهو فى شيخوخته وكثرة أمراضه ، مرة الى جزيرة مالطة ، والثانية الى جزيرة سيشل على خط الاستواء حيث الحر القاتل ، والثالثة الى جبل طارق بعد أن اشتد عليه المرض فى جزيرة سيشل .
ولو سئلت مصر الثائرة عن المقارنة بين سعد وعدلى لمقالت :
ان المقارنة بين سعد وعدلى كالمقارنة بين الذهب والرماد .

محمد كامل سليم

الفصل الأول

سعد وعدلى

باريس في ١٢ نوفمبر الى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠ :
لم يعقد الوفد جلسة واحدة . وكان الاعضاء أعطوا لانفسهم
أجازة للاستجمام .
والاعضاء الذين حضروا للزيارة الرئيس والاجتماع به كل
يوم هم :

واصف غالى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وويصا واصف
والدكتور حافظ عفيفى .

وبقية الاعضاء زاروا الرئيس واجتمعوا به مرتين فى هذه الفترة .
لم يحضر عدلى من لندن الا بعد أربعة أيام من سفرنا منها .
والظنون حوله وحول تأخيرته كثيرة حائمة هائمة : فالرئيس سعد
يظن أن سبب تأخره راجع الى ما يجرى بينه وبين ملنر الآن من رغبة
فى التفاهم والاتفاق بينهما على ما ينبغى احداثه من التغيرات
التمهيدية فى مصر وذلك بمناسبة قرب عودة عدلى الى مصر قبل
نهاية هذا الشهر ، والرئيس لا يشك لحظة واحدة فى أن عدلى
سيؤلف الوزارة القادمة .

بينما عبد العزيز فهمى واخوانه يظنون أن عدلى قد يكون
متوعكا منحرف المزاج ، وبين هذين الظنين الرئيسيين ظنون كثيرة
صغيرة ولا أرى فائدة من تسجيل الهواجس والظنون .

ولما حضر عدلى الى مسكن الرئيس مساء ١٥ نوفمبر
(وكان عنده أعضاء الوفد جميعا وكانوا على علم بوصول
عدلى وزيارته) ، لم يتحدث عن أسباب تأخره فى لندن فى هذه
المدة ، ولم يسأله أحد كذلك ، ما دام أنه لم يتطوع بالاخبار من
تلقاء نفسه . اذ ليس عدلى عضوا فى الوفد ولا هو ملزم بتقديم

بيان عن تصرفاته الشخصية ، ولكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الرئيس سعد قد استاء أشد الاستياء من سكوته هذا ومن امتناعه المريب عن الادلاء ببيان - ولو موجزا - عن سبب تخلفه فى لندن

نداء الى الامة

أملى على الرئيس نداء موجزا الى الامة يهدف الى دعم الصفوف وشحن الهمم وهذا نصه :

أيها المواطنين الاعزاء :

« لقد رفعت منذ عامين عن كبرياتكم القومى ذلك العبء الذى كان يتقل كاهله . وبصنيحة الاستقلال أعلنتم فى وجه العالم بأسره حقكم فى الحياة . وما زلتم منذ ذلك اليوم تثبتون انكم جديرون بأمانيتكم الوطنية . وجاءت نتيجة الاستنارة برأيكم فى مشروع الاتفاق مثبتة أن الاستقلال ليس فى نظركم كلمة تردد فى الفضاء يغير معنى ، بل أنتم تريدونه استقلالا حقيقيا خليقا بكم وبمستقبلكم الذى سيرسل غدا أشعته الوضاعة على مصر الحرة . »

وهذا الاستقلال سنحصل عليه باتحادنا وبروح التضحية والايمان بأنفسنا وبعدالة قضيتنا المقدسة ايمانا هادئا عميقا صادقا . »

(سعد زغلول)

انفجار قنبلة نجيب

١٦ نوفمبر ١٩٢٠ :

حدث اليوم ما هو أفظع مما توقعت ، وانى لحزين .

ولكن مالى أتعجن الحوادث فأحكم على اليوم كله ؟ يجب أن أبدأ من البداية .

فى الساعة الثامنة صباحا خرجت من البنسيون وأنا منشرح الصدر عظيم الشعور بجمال باريس وجمال الحياة وشاعرا بأن المتاعب خلفناها وراءنا ، وان هذا اليوم على الاقل سيكون يوما هادئا ناعما سعيدا ان لا عمل لدى الرئيس أو الاعضاء ، والجميع سيستريحون فى هذا اليوم المشمس وسيخرجون جميعا للرياضة بعد متاعب العمل وطول العناء ، وفكرت فى الذهاب الى فرساي أو قضاء اليوم فى غابة بولونيا الجميلة .

كانت هذه خواطرى حتى وصلت الى مكتبى فى الشقة التى يسكنها الرئيس ، وفى الساعة التاسعة نادانى الرئيس فدخلت



زعيم الامة : سعد زغلول

عليه ، فكالفتى بأن اتصل بالاعضاء تليفونيا لكي يحضروا جلسة للوفد تعقد في مركز الوفد في الساعة العاشرة والنصف صباحا ، فذهلت ودهشت وخرجت ..

كنت مستعدا منذ دقائق معدودات أن أراهن على أن الوفد لن يجتمع اليوم وما هو على وشك الاجتماع .. وبعد أقل من نصف ساعة أبلغت الرئيس أن اجتماع الوفد سيتم في الموعد الذي حددته ، ولكن كل عضو سألني عن سبب الاجتماع فقلت : لا أعلم ، ثم

استطردت فقلت فى شىء من الايحاء (يظهر يا باشا انهم كانوا ينتظرون الاستراحة .. هذا اليوم كأجازة)

فأجاب الرئيس متجاهلا ما رميت اليه : « لقد تسلمت صباح اليوم برقية من محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية جاء فيها أن أخبارا لم تنشر سببت قلق الخواطر بسبب الخلاف القائم بينى وبين عدلى ، ويرجو ملحا حسم الخلاف محافظة على وحدت الصفوف » . فقلت : « كيف تقلق الخواطر بسبب أخبار لم تنشر ؟ » فسكت الرئيس ولم يرد فخرجت مسرعا وتذكرت برقية نجيب .

وفى الموعد المحدد اجتمع أعضاء الوفد وفتحت الجلسة فاطلعهم الزعيم على البرقية فسكتوا جميعا ولم ينبس أحدهم بكلمة ، فاستغرب الرئيس هذا السكوت المريب فخرجت الى مكتبى ، وبعد قليل حضر عدلى ووجهه مغبر مكفهر ، لونه مزيج من الصفرة والسواد ، وملامحه تصرخ بالعبوس والتجهم والغضب المكتوم الظاهر ، ودخل قاعة الجلسة فى سرعة مضطربة (على غير عادته)، فلما استقر به المقعد تلا الرئيس مرة ثانية برقية محمود سليمان باشا ، فقال عدلى فى هدوء متكلف : « انه تسلم كذلك برقية أفظع منها » . وقدم صورة طبق الاصل للبرقية التى أرسلها أحمد نجيب مراسل الاخبار الى أمين الرافعى ، ثم قال :

« ان مراسل الاخبار الذى يدفع الوفد له مصاريف أسفاره وإقامته وبرقياته يتهمنى ويقول ان عدلى قسم الوفد وعرقل المفاوضات وسعى فى عدم قبول تحفظات الامة ، وهذا كله كذب بهتان » .

ثم قال فى مرارة ظاهرة : « اننى منذ أربعة أيام فقط كنت مع ملنر وقلت له ان الشعب المصرى لا يمكن أن يقبل مشروعه بدون النص على الغاء الحماية ، فهل هذه البرقية جزائى ؟ »

فأجاب الرئيس . « لا علم لنا بهذه البرقية ، وليس فى الوفد أحد يعلم بها » .

« ولقد نشرت جريدة التيمس يوم سفرنا من لندن فى ١١ نوفمبر رسالة لمراسلها جاء فيها : ان الامة المصرية قابلة لمشروع ملنر وان كل ما طلبته هو مجرد رغبات ، ولكن زغلول هو الذى قلبها الى تحفظات ، وان أعضاء الوفد وعدلى باشا لا يؤيدون ذلك » . فما حيلتنا اذا كانت أخبار الوفد أصبحت معروفة للجميع ، ونحن نتألم أشد الألم لهذه الحال » .

وقال عبد العزيز فهمي : « ليس هذا هو الموضوع ، وإنما الموضوع هو كيف يجروا أحمد نجيب مراسل الاخبار على ارسال برقية كاذبة مضللة كهذه البرقية من غير علم أحد في الوفد » .

وقال المكباتي : (موجه الكلام الى الرئيس سعد) ان محمد علي بك علوبة أمين الصندوق كثيرا ما شكك من أنه يدفع أجور برقيات الى مصر دون أن يطلع عليها ، وقد أخبرني الآن أنه دفع أجرة هذه البرقية الخطيرة الى نجيب رأسا دون أن يطلع عليها » .

فصرخ الرئيس في وجهه : « ما لديك ؟ أنت توجه التهم الخطيرة جزافا ومن غير تفكير » .

وهنا حاول لطفي السيد أن يشرح قصد المكباتي . فقاطعه الرئيس قائلا : « لماذا تحاول شرح شيء واضح وقصده من الاتهام ظاهر » ؟

فقال لطفي السيد : « انني كعضو ويمكنني أن أتكم ومن حقى أن أبدى الرأي » .

وقال محمد محمود : ان المكباتي لم يقصد شيئا .

فقال الرئيس في غضب : انك تتكلم ضد ضميرك .

فصرخ محمد محمود وانفعل قائلا : « كيف تنسب الى ذلك ، اذا لا اقبل هذا الكلام ولا هذا الاسلوب ، وهذه المعاملة الجافة » .

فوقف الرئيس سعد وخرج من الجلسة وهو في أشد حالات الغضب والانفعال . واستمرت المناقشات حوالي عشر دقائق والاصوات مرتفعة والالفاظ الجارحة تتناثر يمينا وشمالا تخرج من هنا وهناك ، وتصيب هذا أو ذاك ، ثم تبعثر المجتمعون وانصرفوا ، خرجوا أفرادا وجماعات ، ثم فتحت النوافذ بعد خروجهم حتى تخرج الزوينة التي شهدتها هذه القاعة والتي ملأت جوها في شكل خانق اليم .

هكذا انفجرت قنبلة نجيب في دوى هائل ، والله وحده يعلم نتائجها المستورة الاخرى .

هكذا قامت الزوينة وهكذا انتهت ، ولكن هل هي حقا انتهت ؟ وما كاد الرئيس ينسحب من الجلسة غضبا واحتجاجا حتى صاحبه الدكتور حامد محمود الذي كان جالسا بجوارى ، واضطرت الى البقاء حتى أرى نهاية هذه المأساة .

فلما خرج الاعضاء جميعاً جمعت أوراقى وذهبت فوراً الى مسكن الرئيس لاطمئن عليه لان وجهه كان محتقناً شديداً الاحمرار ، وخشيت أن يصاب بمكروه وهو مريض بقلبه وارتفاع الضغط ومرض السكر . دخلت عليه ومعه الدكتور حامد فأخذ يحدثنا بما دار فى الجلسة بما لا يخرج عما كتبت آنفاً ، وبعد قليل حضر على ماهر والنحاس وسينوت حنا وواصف غالى وويصا واصف وتكلموا فى شأن التفاهم مع عدلى ومع كل واحد من جماعته ، وذكروا أنهم خمسة والآخرى أغلبية ، وذلك تلافياً للانقسام .

الاعتراف الخامس عشر

فقال الرئيس : انى أفعل ما تطالبون ولكن عليكم أن تعلموا من الآن أن هذا الترقيع لا يجدى ولا يفيد لأن عدلى قد جربته طويلاً وخرج على وسعى فى اسقاطى لغير ما سبب آتيته . ولقد مكنته من نفسى . ودافعت عنه ضد خصومه ، ومن غير طلب منه ، وهو يجد الآن نفسه فى مأزق ويريد الاستعانة بى للخروج منه ، حتى اذا خرج قرب لى ظهر المجن ، وفعل ما لا يفعله أعداؤنا الحقيقيون . « خذوا ذلك منى واحفظوه عنى . ان أصحابه مهما حصل الانفاق معهم لا تخلص نياتهم ولا تصفو سرائرهم ولا يتأتى العمل معهم لخير البلاد بل يكونون دائماً حجر عثرة فى طريقنا ، ولقد تحملت من الآلام كثيراً ، والعمل مع المخالفين من أشق ما يكون وأخطر مما يتصوره الانسان ، ومع ذلك فانى لا أريد أن أخيب رجاءكم هذه المرة » . فانصرفوا شاكرين .

الاعتراف السادس عشر

بعد خروجهم قال لى الرئيس : « والله ان فراقهم خير وأولى ، وان الفرصة سانحة الآن ولكن الأعداء يشمتون ، والاتحاد يتثلم . فما الذى اذا صانعه ، ودوام الحال على هذا المنوال مسئولية كبرى ، ومع ذلك لا أعجل ، وعلى بالصبر الجميل قلله تدبير وهو أحكم الحاكمين » . وفى المساء حضر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وحمد الباسل ومحمد على علوبة ، كما حضر الاعضاء الخمسة المناصرون للرئيس ، ولم يحضر المكباتى ومحمد محمود وعدلى .

وكانت جلسة هادئة أريد بها تسوية الأمور وإزالة ما فى النفوس
من آلام لا خير فيها ، أعادت الحياة الى مجاريها الطبيعية .
وانفض الاجتماع فى الساعة الثامنة مساء والاعضاء باسمون .

حديث بينى وبين محمد على علوية



وبعد العشاء نزلت الى « كافيه فوكيه » فى
الشانزليزيه كالعادة فحضر صدفة صديقى محمد
على علوية ، وعلمت منه أن أمين الرافعى أراد
نشر برقية نجيب ولكن الرقيب منع نشرها .
وأمين الرافعى هو صاحب جريدة الاخبار
وسكرتير لجنة الوفد المركزية فى غياب مصطفى
النجاس ، وأن اسماعيل صدقى باشا اطلع على
البرقية وأخذ صورتها وأرسلها الى عدلى .

تم التفت الى صاحبنى وقال فى جد ظاهر : محمد على علوية
« يا سيدان كام . . انى اريد أن أوجه سؤالاً
الى صديقك وأن اسمع جوابك الصريح وأنت مطلع على كل الدقائق
من سياسة الوفد وأعضائه ومسلك عدلى ، ماذا كان رأيك وشعورك
لاول وهلة عندما علمت ببرقية نجيب الحاملة لهذه الاتهامات
الخطيرة ضد عدلى ؟ »

فقلت : يا سيدى لست فى حاجة الى أن تستنجد بضميرى
وتناشده لى أعطيك الجواب الصريح ، أن هذه البرقية قد صدمتني
وأحدثت فى نفسى دهشة وألماً لأنها خطيرة ونشرها يؤدى حتماً
الى توسيع هوة الخلاف فى الوفد وفى الأمة .

فقال : حسن جداً . ولكن ما رأيك الآن اذا كان سعد باشا لم
يشعر بالدهشة ولا بالالم عندما عرضها عدلى فى الجلسة . بل نفى
علمه بها وأخذ يتكلم فى موضوع آخر .

فقلت : أتريد أن تستدرجنى ببراءة المحامى المحقق الى الاعتراف
بأن الرئيس يعلم بأمرها سلفاً .

فقال : « ما فى ذلك شك . والا كان يشعر بالدهشة مثلك » .

فقلت : « هذا ليس بدليل ، وإن من يعرف سعد باشا يدرك
لاول وهلة أنه رجل أخلاق ، بل لعله يسرف فى اقحام الاخلاق فى

السياسة ويحكم على السياسيين أحكاما خلقية قبل أن تكون سياسية . وأنا أجزم بوازع من ضميري أن سعد باشا لا يمكن أن يحارب عدلى فى الظلام ببرقية كهذه ، لأن سعد باشا قوى جسدا وصريح جدا وشجاع جدا ويشعر بلذة ما بعدها بلذة فى الكفاح . فإذا أراد أن يحارب عدلى فستكون حربا صريحة علنية وهو المنتصر لا محالة وعدلى هو المهزوم لا محالة فى أية حرب تقوم بينهما . » فقال محمد على علوبة : « هذا صحيح . وأنا كذلك أستبعد الدس على سعد ، ولكن أغلب الظن أن مصطفى النحاس هو الذى أوحى بها وشجع على إرسالها . »

فقلت : « ولماذا تريد توجيه التهم بمجرد الظن ، ولا تصيب التهمة كلها على رأس نجيب وحده . أنه رجل مثقف وناضج وقد جاوز الخمسين وعليه وحده تقع المسئولية كاملة ، ومع ذلك ما رأيك أنت فيما حدث فى جلسة الصباح من تهور المكباتى ؟ »

فقال : « ان جلسة الصباح كانت محمومة ، والمكباتى رجس متهور ومجنون . وأنا الذى اطلقت عليه اسم « المدبأتى » عندما كنا أعضاء فى الجمعية التشريعية . »

فقلت : « ولماذا حضرتتم لمقابلة الرئيس فى المساء ، ولماذا خرجتم باسمين ؟ »

فقال : « ان الخصام لا معنى له ولقد اعتذرنا لسعد عما حدث فى جلسة الصباح وأرضيناه ووعده هو من ناحيته ان يزور محمد محمود باشا . أما المكباتى فسعد لا يريد أن يجتمع به أو يراه أو يسمع عنه كلمة واحدة . ثم اتفقنا كذلك على أن يحضر عدلى غدا لزيارته . »

ثم استطرد قائلا : « ان عدلى هذا رجل نبيل حقا وهو عائد الى مصر بعد أيام . ولا يريد أن يعود الا وهو وسعد على وفاق وسلام ، وقد رحب سعد بزيارة عدلى له غدا وقال لنا انه سيعمل على تصفية الجو واعادة مياه السلام الى مجاريها . »

فشكرناه وخرجنا باسمين كما تقول . .

١٨ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم حضر عدلى لزيارة الرئيس سعد وظل معه ساعتين كاملتين . وعلمت من الرئيس قبيل حضوره بأن على ماهر لعب الدور الاكبر فى التوسط بين عدلى وسعد للصلح بينهما .



سعد زغلول •• وعدلى يكن

محادثة غاية فى الصراحة بين عدلى وسعد

قال لى الرئيس بعد ظهر اليوم :

« ان عدلى اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل • واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد • فقلت انها خطة تفريق • وأنه لم يكن ينبغي له ان يضع نفسه على رأس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه • وسردت له وضعه بمشروع مع بعض أعضاء الوفد وارساله الى ملتر من غير اطلاق عنييه أولا • ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تامر • وتصرفه فى الكلام مع ملتر بالانجليزية مرتين وعدم اخبارى بما دار بينهما •

فقال عدلى : « ان ملنر قال فقط (هل ضاع ما أملناه *
وسقدا ما يثناه) » *
فقال الرئيس : ((ألم يكن هذا مهما لتعرفا مقدار حرصه وضرورة
نشيئنا بما هو فى الواقع حياتنا » *
فقال عدلى بعد أن (مط بوزه) ان ذلك كله لا أهمية له *
سعد : عظيم جدا ، ولكن جاء فى كلامك أو فى لهجتك ما يدل
على انك تظن أن لى دخلا فى هذه البرقية *
عدلى : لا بل أعتقد أنك غير أهل لذلك ، ولكن كنت أنتظر منك
عندما تطلع على البرقية أن تستنكرها أو تقول ان عدلى غير أهل
لهذه التهم *
(وهنا دخل عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ثم خرجا بعد دقيقة
واحدة) * وبعد خروجهما قال عدلى :
- انى أريد أن أوضح الحالة فى هدوء ومن غير غضب أو انفعال *
سعد : اتى أسمع بكل ارتياح *
عدلى : انى خدمت القضية المصرية باخلاص * واذا كان لى
رأى يخالف رأيك أو رأى الوفد فلا ضرر فى ذلك ، وما ألزمت
أحدا برأى ، ولا عطلت على الوفد رأيه ولا ذنب لى أن يكون بعض
الاعضاء من رأيى * ولكنى شكرت محمد محمود امتداحه لى فى
بعض الحفلات * وما أشرت عليه وعلى اخوانه بزيارة السراى الا
لان الكتابة منك اليهم تعتبر تعليمات ، وعدم اخبارى اياك بموعد
عودتى من (فيتل) لم يكن تقصيرا منى فى حقك ، وانما كان لما
علمته من مصادر مختلفة من أنك عائد من (فيشى) فى ١٦ سبتمبر
ووجدت أن هذا الوقت يناسب انتهاءى من العلاج ، وجاء فى
كلامك معى فى أول مقابلة بعد العلاج أن الامة أبدت رغبات وأمانى
وفوضت لكم الرأى لتحقيق ما تستطيعون تحقيقه لها وانكم أنتم
جعلتموها شروطا وتحفظات * ومع هذا كله فقد قلت لملنر فى
المقابلة الاخيرة ان الامة المصرية لا تريد المفاوضات الرسمية الا
بعد الغاء الحماية ، وجلست معه ساعة كاملة لاقتنعه بأهمية ذلك ،
فلم يقتنع * وقال لى لملنر « انك اذا كلمتنى عشر سنين لتقنعنى
بذلك فانى لا أقنع » ، فسكت كمدا ولم أخبرك بذلك حتى لا تغضب
وتثور ، وتركت لك الامر حتى تعالجه أنت بما تراه مناسبا ولعلك
تكون أكثر توفيقا منى فى ايجاد حل لذلك مع ملنر وما كنت أحضر
عندك فى الاغلب الا تفاديا من المناقشة والجدل العقيم مع أولئك
الاطفال » .

سعد : انى الالحظ عليك أنك اطلعت على برقية ملتر الى اللانبي
بواسطة الاعرج فى ٣٠ يونيو ، واجتمعت بى بعد ذلك ولم تحدثنى
عنها مع أن ذلك كان ضروريا جدا على الاقل للاتفاق على ما يجب
عليها عمله ازاءها . وعلمت من محمد محمود أنك قلت له أنك
سيدولف الوزارة القادمة ، وأنتك ولطفى السيد متفقان على ألا
يكون للوفد رأى فيمن تختارهم العمل معك . ثم توالى الاجتماعات
بينك وبين فريق من الاعضاء ووضعتم مشروعا قدمتموه الى ملتر
ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد .
ولم اطلع عليه الا بعد ارساله الى ملتر بخمسة أيام . فهل هذا
يليق ؟ ثم انى قلت لك مرارا ان مشروع ملتر مشروع حماية
ولا يمكننى تأييده . كما أنك لم تفعل شيئا لازالة الخلاف والتوفيق
بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقا بفريق من أعضاء الوفد .
وروج المتدويون المشروع بعد أن اتفقوا معى على عرضه على
الامة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبت انت الى بعض اصـدقائك فى
مصر بالسعى الى حمل الامة على قبوله كما يطلب ملتر ، وبدأت
التفكير والعمل فعلا لتأليف وزارة لأجل الدخول فى المفاوضات
الرسمية ، وفى الجلسات اللتين عقدتا مع لجنة ملتر بحضورك لم
تشترك فى المفاوضة بكلمة واحدة ولم تساعد بشيء ، بل قلت لى
فى الاولى عندما كنت أعارض وظائف المستشارين البريطانيين ((أنك
رضيت بالمستشار المالى « فلم أرد عليك .

« وفى الثانية سألتنى عما اذا كان فى الامكان أن أقول للامة
ان الغاء الحماية محتمل احتمالا كبيرا . فأجبتك بأنى لا أستطيع
أن أقول هذا ، اذ ليس لدى ما يؤيده .

« كل هذا جعلنى أعتقد أنك فى طريق آخر ، وكنت تأخذ صور
بعض البرقيات من علوبه وتبلغها للاعرج بقبول الامة للمشروع
مع بعض الرغبات والامانى حتى اقتنع ملتر كل الاقتناع بأن
الاحتفاظات آتية منى وحدى لا من الامة ولا من باقى أعضاء الوفد .
وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبثه برفضها ، فلو
أنك أعلنت أنك لا تعمل الا بالاتفاق مع الوفد . .

وهنا قاطع عدلى الزعيم قائلا : « ان هذا الزام مما لا يلزم » .
فقال سعد : « انك الآن متهم . ووطنيتك قد وضعت موضع
الشك » .

فقال عدلى باسم : « أمن أجل هذا ارسل مراسل الاخبار برقية
باتهامى فى وطنيتى ؟ »

سعد : « ان الواجب عليك ان تدافع عن نفسك وان تعلن أنك متضامن مع الوفد » .

(وهنا سكت عدلى قليلا ووعده بالتفكير)
وافترق الصاحبان على ان يجتمعا فى المساء .

برقية عدلى وبرقية سعد

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لمقابلة الرئيس سعد ،
ومعه البرقية الآتى نصها ، اعدتها لارسالها الى محمود سليمان
رئيس اللجنة المركزية :

« منذ تأليف الوفد وأنا أبذل كل ما فى وسعى لمساعدته فى
جهوده وسأبقى محافظا على هذه الخطة ، وسأعمل بالاتفاق معه ،
وليس فى أعمالى ولا فى أقوالى ونياتى ما يبرر تلك الاشاعات السيئة »
اغتبط الرئيس سعد بهذه البرقية كل الاغتباط ولا أخاله الا
اعتبر نفسه منتصرا . وهل بعد ذلك انتصار ؟ ولعله لهذا الاعتبار
وحده أرسل من ناحيته البرقية الآتية الى محمود سليمان :

« الاشاعات الخاصة بعدلى لا أساس لها ، وان الاتفاق تام
بينه وبين الوفد ، وأنه لا يعمل عملا الا باتفاق سابق معه » .

وهكذا وضعت الاوراق على الجدار المشقوق مرة أخرى لكى يبدو
سليما للعيان ، متين البنيان . وهو فى الواقع متداعى الركان
مزعزع الكيان والله المستعان . ومهما يكن من أمر فان الجو قد
صفا فجأة وتحسن تحسنا ملحوظا .

وقد علمت اليوم ان عدلى سيسافر يوم ٢٠ نوفمبر عائدا الى
مصر . ولعل هذا هو السر فى حرصه على تحسين الجو بهذه
السرعة ، وعلى ارضاء الرئيس سعد بأى ثمن . وقد دفع الثمن
باهظا فيما اعتقد ، والمضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم
بركوبه .

مأدبة غداء لتوديع عدلى

باريس فى ١٩ نوفمبر :

حضر على ماهر مبكرا فى الصباح وخلا بالرئيس نصف ساعة
اقترح فيها عليه ان يقيم مأدبة غداء لتوديعا لعدلى ويدعو اليها جميع
اعضاء الوفد ، فرفض الرئيس اول الامر ولكن على ماهر رجاء

والح فقبل الرئيس أخيرا وكلفه بإبلاغ الدعوة ، وعلمت أن عدلى قبل الدعوة مغتبطا وبغير تردد كما قبلها الاعضاء جميعا ما عدا محمد محمود الذى اعتذر بسبب مرضه .

وبدأت المأدبة ، واستمرت وانتهت فى جو من البشر والانشراح . كان الرئيس يوجه بعض الكلمات الطيبة والنكات الى من كانوا بالامس القريب مخالفين ، وكان يمازحهم جميعا كأن لم يكن شيء . ثم زار بعد الوليمة محمد محمود فى فندقه للاطمئنان على صحته ، ومكث عنده ساعة كاملة تعاتبا فيها طويلا وافترقا بسلام وابتسام ، وقبل خروج الرئيس حضر عدلى فدهش الرئيس لهذه الزيارة واللقاء الثانى على غير انتظار . وقال لعدلى : « سأراك مرة أخرى غدا فى المحطة » .

فأجاب عدلى : « انك كريم أرجوك ألا تكلف خاطرك بالحضور فان الجرح شديد البرودة » وقدم الشكر جزيلًا .

عدلى يسافر من باريس عائدا الى مصر

باريس فى ٢٠ نوفمبر :

اليوم سافر عدلى من باريس عائدا الى مصر ، وحضر لتوديعه فى المحطة جميع أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس سعد . وقد لاحظت أن جو التوديع ومظهره كان باردا ومتكلفا ، إذ وقف الرئيس فى ناحية ومعه بعض الاعضاء ، ووقف عدلى فى ناحية ومعه البعض الآخر وكان القطبان يلتقيان من أن لآخر فى شيء من التكلف ولا يطول لقاؤهما . ولم ينتظر الرئيس حتى تحرك القطار لاشتداد البرد فاستأذن وانسحب مع واصف غالى . وسمعت عدلى يقول لعبد العزيز فهمى « ان نكران الجميل متأصل فى النفوس . وها هو فنزىلوس قد سقط بعد أن جعل اليونان قوية وأصبحت مساحتها ضعفين » . قالها وعلى وجهه كل سمات الحزن والانقباض والكآبة .

تمنيت أن أسترى السمع لأعرف رد عبد العزيز فهمى ، ولكنى جفلت وامتنعت وتحركت من مكانى .

ويا ليت شعربى ، ما الذى كان يعتمل فى نفس عدلى حين قال قوله ، ورمى فى حجرة جملته ؟

ما الخاطر الحزين الذى دار فى رأسه وكشف لى عن يأسه ؟

هل ذكر الماضي القريب فانتقبض وجزع ، أم ذكر المستقبل القريب
فخاف وفزع ؟

ألم يفارق سعدا وهما على صفاء ، أم استوى عنده الحسفاء
والجفاء لأنه يعلم أن الظاهر غير الباطن ؟

هل ظن أن ما بينهما طلاء فى طلاء ، وأن ما خفى فيه البلاء
كس البلاء ؟

الحقيقة واضحة

وأخيرا تحرك قطار الشرق السريع فى الساعة الثامنة قاصدا
البندقية ، انطلق القطار يطوى الأرض طيا وفى جوفه (عدلى)
كنزه الثمين .

وجلس عدلى وحيدا يطوى الذكريات طيا ، وفى جوفه همه
الدفين .

وانصرف المودعون وهم بين رجلين لفراقه : رجل يساوره الالم
ويداعبه الامل ، ورجل يشعر بالغبطة ويتنفس الصعداء .

أما أنا فلست أحد الرجلين ، وانصرفت شاعرا بأن صفحة من
تاريخ مصر الحديث قد طويت ، وأن صفحة جديدة قد فتحت ،
ومشيت مفكرا فيما كان وما يكون .

ونكرت قول الشاعر :

سهرت أعين ونامت عيون	لامور تكون أو لا تكون
فاطرد الهم ما استطعت عن	النفس فحملك الهم جنون
ان ربا حملك فيما مضى	سيحملك فى غد ما يكون

باريس فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ :

خرجت من البانسيون هذا الصباح الباكر وفى رأسى سؤال
حائر وجملة محيرة . أما السؤال فهو :

لماذا كانت حفلة الغداء لتوديع عدلى خالية من التكلف وغلب
عليها المزاح والانشراح ، وكانت حفلة التوديع فى المحطة غاية فى
التكلف ، وغلب عليها البرود والجفاء ؟

أما الجملة المحيرة فهي التي قالها عدلى لعبود العزيز فهمى
« ان نكران الجميل متأصل فى النفوس » هل أنقلها الى الرئيس
سعد ؟ هذا محال ، فان هذه الجملة لم يقلها عدلى ليسمعها سعد .

ان الجملة وقعت على أذننى على الرغم منى ، وبغير قصد من
عدلى وهو رجل مكروب أراد أن يفرج عن نفسه بالقائها فى أثناء
همساته الى صديقه الحميم عبد العزيز فهمى .

ما كدت اقبل الى مكتبى حتى نادانى الرئيس وطلب الى ان
اجلس كعادته معى كلما أراد ان يتحدث الى طويلا ، أو ان يملئ
على شيتا اكتبه ، سألنى عما اذا كنت بقيت فى المحطة أمس حتى
تحرك القطار بعدلى . فاجبت بالإيجاب . وحدثته فى كل شيء إلا
عن « نكران الجميل المتأصل فى النفوس » فسكت سعد . وأطرق .
ثم رفع رأسه وقال :

الرئيس يأسف على ارسال برقيته

« لعلى تدهش يا كامل اذا قلت لك انى أسف على ارسال
تلغرافى الذى دافعت به عن عدلى . ذلك لانه تلغراف حاسم وجازم
ولا يذوق مع الحقيقة والواقع » .

فقلت : ان عدلى سبقك بارسال برقية حاسمة جازمة وهى
تنطوى على تعهد منه باستمرار العمل والتضامن معك ومع الوفد ،
وجاءت برقيتك ردا طبيعيا يتفق مع الحقيقة الجديدة والواقع
الجديد .

فقال سعد : ان الترقيع لا يفيد . وسيعمل عدلى ما يريد فى جو
اكثر ملاءمة له الآن ، وبدلا من أن يلقي استنكارا على تصرفاته
وشكا فى نيائه ، سيلقى عند وصوله حسن الاستقبال من الشعب ،
وسيفهم ملأى والانجليز انه الحصان الرابع فوز الكاسب بالبرقيتين :
برقيته وبرقيتى . ومتى بدأ بداية حسنة فسيقرب لى ظهر المجن عن
قريب . انلى عندما حادثته وعاتبته على بعض تصرفاته معى لم
أسمع منه اعتذارا عنها ، ولا اقرارا بجميل بذلناه ، وخرجت بعد
كلامه بأنه فعل ما فعل عامدا متعمدا وأنه غير أسف على ارتكاب
ما ارتكبه مما يخالف الصداقة الخاصة والأمانة العامة ، ولعله
لم ينكسف الا على اقتضاح عمله ، وخيبة أمله ، ولا يخالجنى شك
فى أنه لا يتأخر عن متابعة خطته اذا تهيأت له الوسائل والظروف .



حافظ عفيفي



ويصا واصف



مصطفى النحاس

ثلاثة من الاعضاء يقررون العودة الى مصر

هنا حضر لزيارة الرئيس مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفي الذي ظهر أخيرا أنه في غاية الاعتدال ، وأنه يميل ميل على ماهر في حب الوساطة لاصلاح العلاقات وازالة الخلافات ، وتصفية الجو من المعكرات . وقال الدكتور حافظ عفيفي :

« يا باشا انذا نعتد على حكمتك في اصلاح الحال ودوام صلاحه وفي استمرار الوحدة والوئام ، واننا عائدون الى مصر بعد اسبوع وكلنا أمل في قدرتك على ذلك وتدعو لك بدوام الصحة والتوفيق » .

فأجاب سعد : « لقد عزمتم انتم الثلاثة على العودة الى مصر مع اني سبق ان راجعتكم في ذلك . ولكن محمد على علويه أخبرني بانكم اشتريتم التذاكر وازمعتهم السفر في ٢٧ نوفمبر فشعرت بان هذا تصرف غير لائق من جانبكم لانكم لم تخبروني به قبل البت فيه . واذا كنتم تريدون مساعدتي حقا فلماذا تتعجلون العودة في هذه الظروف قبل ان نتعاون معا على تسوية كل الخلافات الموجودة الآن في الوفد ؟ »

فسكتوا قليلا . ثم اظهروا الاسف ، وقدموا الاعتذار ، ولكنهم مصممون على السفر .

نبئت للرئيس فكرة !

وبعد خروجهم أخبرنى الرئيس أنه يتوقع أن كثيرين من أعضاء الوفد سيعودون الى مصر مثلهم • فانه قد فكر فى الامر وقرر ألا يعارض أحدا له رغبة فى العودة • وأما هو فسيظل يجاهد فى أوروبا بكل ما لديه من وسائل حتى تنال مصر استقلالها التام • ويكفيه فى هذه الحالة أن يكون معه اثنان فقط (واصف غالى وأنا) كمساعدين له • وأما باقى الاعضاء فمن الخير أن يعودوا كلهم توفيراً للمال وحسماً للخلاف •

سمعت هذا الكلام من الزعيم فأثرت السكوت •

جلسة لتحديد موقف الوفد

٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ :

حضر الى مقر الوفد لطفى السيد ومحمد محمود وعلى ماهر والمكبتي وحمد الباسل ، ثم حضر الرئيس ومعه واصف غالى ومصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وسينوت حنا ، وبعد نصف ساعة حضر عبد العزيز فهمى ومحمد على علوية •

وكان موضوع الجلسة « تحديد موقف الوفد ازاء من يقوم بالمفاوضات الرسمية قبل الغاء الحماية بنص صريح » • وانقسم الاعضاء كما هى العادة الى فريقين :

الاول فريق الرئيس الذى رأى وجوب استنكار كل من يتعرض للمفاوضات الرسمية •

الثانى - فريق انصار عدلى الذى رأى أن من مصلحة البلاد أن يتركه الوفد حتى يأتى بما لا يتضمن هذا الانغاء ، ثم يستنكره الوفد ويحاربه •

فأجاب الرئيس : « بل يجب منعه محافظة على وحدة الامة • وما دامت الامة قد أقامت الوفد وكيلا لها فلا يجوز له أن يتخلى عن وظيفته وواجبه ويترك أى شخص يتفاوض من غير اتفاق » • ابق معه على القواعد والاسس والاهداف ، فإذا لم يتم هذا الاتفاق مع الوفد وجب على هذا الشخص أن يتنحى عن هذه المسؤولية • »

وهنا قال المكباتى : « وما رأى إذا كانت مع هذا المفاوض
الرسمى كتابة تشتمل على وعد بإلغاء الحماية ؟ » فأجاب سعد :
« ننتظر في هذه الكتابة ومضمونها ثم نسبر حسب ما نفهمه منها » .
قال عبد العزيز فهمى : ان واجب الوفد الاول فى الظروف
الحاضرة هو أن يتلافى انقسام الأمة ، أما انقسام الوفد فان من
الممكن تلافيه وذلك بأن تعلن الاغلبية التى كانت تعارض الرئيس
بأنها أصبحت الآن من رايه ، وأن الوفد بالإجماع موافق على عدم
الدخول فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات معها
بالمعنى الذى يبيته سعد باشا . وبهذا لم يعد فى الوفد أى انقسام ،
وأما انقسام الأمة فالسبيل الى تفاديه هو عدم محاربة عدلى لافى
السر ولا فى العلان . ثم تكلم المكباتى فقال : « اذا كان عدلى على
رأس هيئة أخرى ويتولى المفاوضات الرسمية لكى يبذل جهوده
ويستخدم كل وسائله لكى يحصل على قبول التحفظات ، فكيف يسمح
للوعد ضميره أن يخذله ويحاربه ؟ »

فأبان الرئيس فى شىء من الانفعال خطأ هذه الفكرة وقال :
« لا يمكن للوعد أن يقف مكتوف اليدين ازاء هيئة كهذه تقتصب
مهمته ووكالته ، ثم يؤيدها على زعم الباطل بأنها تجري على
خطته وتهدف الى غايتها . ان هذا التصرف (لو تم) يكون نوعا
شنيعا من خداع النفس وخداع الناس » .
وانتهت الجلسة الى غير قرار والاعصاب متوترة .

والعجيب أن كل عضو فى الوفد تكلم وأطال وأسهب . وكان
كل منهم يدور فى حلقة مفرغة ، وليس فيما قيل فكرة جديدة
جديرة بالتسجيل ، بل حجج مكررة فى عبارات متباينة ، وهدف
كل فريق هو نفس الهدف من غير تعديل ولا تبديل .

المكباتى يكشف عن النية لالتحذية الرئيس عن المفاوضات المقبلة :

بعد العشاء نزلت كالعادة الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه ،
وهى قريبة جدا من البانسيون الذى أسكن فيه ، وذلك لاقضى ساعة
فى الهواء الطلق وأتفرج على الناس الذين يروحون ويغدون ،
ويجلسون ويقومون ويتهامسرون ، والرجال والنساء فى سعادة
ظاهرة لا يبدو على أحد منهم ولا على واحدة منهم غير البشر
والابتسام . وأن الانسان ليسعد اذا عاش وسط السعداء ويكتتب
اذا عاش وسط الاشقياء ، والابتسام يعدى وينشر جوا من الراحة

والسكينة والسلام . وكنت عظيم الامل فى هذه الراحة والسكينة والسلام ، ولكن لم يتحقق املى . فقد حضر المكباتى وحمد الباسل وجلسا معى فاستدرجتهم الى الحديث عن الباعث الحقيقى الذى يدفعهما الى هذا الاتجاه المخالف لوجهة نظر الزعيم سعد فى نفس الوقت الذى يعلنون فيه أنهم متضامنون معه كل التضامن فى وجوب عدم دخول الوفد فى أية مفارضات رسمية الا بعد قبول التحفظات أولا وقبل كل شيء .

فقال المكباتى « المدبباتى » فى صراحة عجيبة « انهم يريدون فى الحقيقة تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات فلا يعالجها فى المستقبل ولو حرموا أنفسهم من ذلك أيضا وانهم يريدون فى الوقت عينه أن يتولى أمر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لأن عدلى فى نظرهم أكثر مرونة وسياسة من سعد » ثم قال ضاحكا « لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا أننا على رايه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد قبول التحفظات ، ولكن سعد « ثعلب » لم ينخدع بما قلناه » . قالها ضاحكا مفرقا فى الضحك ، وسمعتها حزينا غارقا فى الحزن .

افترقنا بعد ذلك وعدت الى مسكنى وعاودتنى الفكرة القديمة أو السؤال القيم :

هل أبلغ الرئيس ما سمعت ؟ ولكن ما فائدة ذلك ؟ كلا . لن أبلغه لأنى أخشى أن تزداد العلاقات فسادا وسوءا بينه وبينهم ، وما أنا بناسل أخبار ، تضر ولا تنفع ، والجهل بها خير ألف مرة من الوقوف عليها ، وفى العلم بها بعض الشقاء وزيادة البلاء .

٢٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

أدهشنى الرئيس اليوم إذ أخبرنى أنه عزم على الانقطاع عن الذهاب الى مقر الوفد (فى شارع باريف) اتقاء لشر المكباتى وسفاهته ، فقد أدرك بقطبته وفراسته ما يريدون وما يبيتون وما يتآمرون عليه فكيف لو أبلغت ما سمعته من المكباتى ليلة أمس . ثم قال لى فى حزن غامر يمازجه ايمان عامر :

الاعتراف السابع عشر

« لا أظن أن الامة أصابها هزال يجعلها ترضى بما كانت ترفضه ، وتقبل هذه الحماية يعد أن تشبعت بروح الاستقلال . انى لن أهبط

مع الهابطين • وأدعو للحماية بعد أن كنت رسول الاستقلال ، ولأن
يسركنى فومى خير من أن أتركهم • ولأن أبقى وحدى وهم يتزلون،
خير للامة من أنزل مع النازلين ، ولأن يقال تخلى عنه قومه خير
من أن يقال ركبوا اليه فغدر بهم اتهموه بخانهم ، وردعوه
فخفضهم ، نعم لم يعد امامى أمل كبير أو صغير للعمل ، ولكن
العجز خير من الغدر » •

٢٥ نوفمبر :

حضر لزيارة الرئيس فى مسكنه الاعضاء الذين اعتادوا مقابلته
وزيارته يوميا ، وهم واصف غالى وسينوت حنا ومصطفى النحاس
وعلى ماهر والدكتور حافط عفيفى •

وفى الساعة ١١ صباحا حضر على غير انتظار عبد العزيز
فهى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد
الباسل ولم يحضر المكباتى لحسن الحظ حتى لا يعكر الجو بأرائه
وأساليبه الخشنة المثيرة • وفى هذا الاجتماع القى الرئيس
بفكرته التى نبتت فى رأسه ان قال :

« بما أن عمل الوفد الآن قد أصبح قليلا ، وتقريب ملئر سيظهر
قريبا ، ولا ينتظر منه أن يأتى بما هو خير من مشروعه ، أظن أن
الاحسن أن يعود الى مصر عدد من الاعضاء ليراقبوا الحالة
العامة هناك ويبقى آخرون هنا على قدر الحاجة » •

فوافق لطفى السيد وعبد العزيز فهى على هذه الفكرة فورا ،
ورغبا فى أن يكونا من المسافرين ، ولكن محمد على علوبة قال :
« ان الاولى انتظار تقرير ملئر وتأجيل البحث فى اقتراح الرئيس
الى وقت آخر » • فلم يعترض الرئيس على ذلك •

ويخيل الى أن هذا الاجتماع الذى حضره بعض أنصار عدلى لم
يكن المقصود منه فى نظرهم إلا التاكيد من أن الزعيم سعد ملتزم
جانب السكوت والهدوء بالنسبة لعودة عدلى الى مصر •

وفى اثناء تناولى الشاى معه أخبرنى الرئيس انه أرق الليلة
البارحة طويلا وكان دائم التفكير فى الانحلال الموجود فى الوفد
وتعذر البقاء عليه ، واستحالة علاجه وشيامة الاعداء فيه ، وهو
اليوم فى أشد حالات الحزن ثم قال :
« ان الله عودنى خيرا كلما ضاق بى الامر واشتد الكرب » •

وفى المساء حضر على الشمسى من جنيف لزيارة الرئيس ، فلما سمع من الرئيس بياناته وآراءه فى انقسام الوفد ، اقترح على الرئيس أن يخرجهم من الوفد وان يعين غيرهم ، فلم يوافق وقال : « ان فى هذا صدمة كبرى للامة » .

حالة الرئيس الصحية

٢٦ نوفمبر :

علم الرئيس صباح اليوم أن لجنة الوفد المركزية تفكر فى اقامة حفلة كبيرة لتكريم عدلى وتعبئة الجهود استعدادا لحسن استقباله . فغضب الرئيس غضبا شديدا وقال : « انها رعونة تسوق الناس هذه الايام الى فعل ما يخالف مصالحهم » .

وأنه لمن دواعى الاسى والاسف الشديد أن لاحظ بدء الانهيار فى صحة الرئيس . فقد امتنع منذ ايام عن اكل اللحوم ، وهو كثير الارق مصاب بالسكر ، وبه ضعف ظاهر وهزال شديد ، واونه يميل الى الصفرة ، وهو كثير الخفقان لان به ضعفا فى القلب ، الله يلفظ به ويرحم مصر المسكينة الفقيرة فى الرجال .

ويا عجباً كل العجب . هل قضى علينا أن نعيش كاكباش ناكل من مرعى واحد ثم نتناطح بعد الاكلة ؟

ولكن هى الطبيعة البشرية فاما حبا أو كرها واما وثاما أو خصاما وحضر مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف مستأذنين فى السفر غدا ومودعين الرئيس ، وكان منظر الرئيس مؤثرا مثيرا للاشجان والاحزان .

عودة الاعضاء الثلاثة الى مصر

٢٧ نوفمبر :

ذهبت الى المحطة لتوديع الاعضاء الثلاثة العائدين الى مصر ، وقد دهشت ان لم أجد أحدا من الاعضاء الآخرين ذهب الى المحطة لتوديعهم . فكنت الوحيد المودع لهم ، وقلت مازحا لمصطفى النحاس : « الرئيس يمثل الوفد سياسيا ، وأنا أمثل الوفد فى القيام بمراسم التوديع » . وهنا ضحكنا جميعا وتبادلنا بعض النكات التى جعلت جو التوديع جو مرح وابتهام .

مواعيد عملى وشاى الرئيس

٢٨ نوفمبر - ٥ ديسمبر :

هذه فترة سكون وركود وجمود وهمود وخمود . ولم يسبق أن مر على الوفد فترة مثلها فى طولها (ثمانية أيام معا) لم يحدث أى اجتماع رسمى أو غير رسمى للوفد ، والأعضاء يأتون الى مقر الوفد ويخرجون أفرادا أو مثنى وثلاثا ، بلا نظام أو اطراد ، يستفهمون عما عندى من الاخبار المنشورة فى الجرائد الانجليزية أو مجلس العموم البريطانى فأخبرهم بما يكون ، ولم يذهب الرئيس مرة واحدة الى مقر الوفد بل لم يخرج من مسكنه قط ، وأهم ما نشر خبران موجزان لا يتجاوز كل منهما أربعة أسطر :

الاول : أن عدلى وصل الى مصر واستقبله بعض الانصار .

والثانى : ان تقرير ملنر ينتظر أن يصدر فى شهر ديسمبر الحالى .

ومواعيد مكتبى ومقابلاتى للرئيس هى من الساعة التاسعة صباحا الى الواحدة بعد الظهر ، ومن الساعة الرابعة بعد الظهر الى السابعة مساء ، ومن التاسعة مساء الى العاشرة والنصف ليلا .

ثم أخرج لأقضى نصف ساعة فى كافية فوكيه أنسى فيها الهواء الطلق ، وأنسى فيها متاعب اليوم برؤية الحياة اللاهية الهادئة فى هذه البقعة الجميلة من الارض .

هذا هو النظام الرتيب طوال الاسبوع كله ، لا أعرف يوم جمعة أو أحد للراحة ، اذ ليس لى يوم للعطلة والراحة فى أى اسبوع أو فى أى شهر .

ولعل أجمل فترة عقب اليوم كله هى التى أقضيها مع الرئيس بعد الظهر حين أتناول الشاى معه ، وشاى الرئيس غريب بسيط طريف :

١ - شاى باللبن .

٢ - أربعة بريوش .

٣ - عين الجمل المقشر .

والرئيس يحب عين الجمل المقشر لما فيه من مواد غذائية عظيمة تتناسب وحالته الصحية المعطوبة بمرض السكر .

خطاب رابع من أحمد أمين

٦ ديسمبر :

تسلمت اليوم خطابا من مصر تاريخه ٣٠ نوفمبر وهو من صديقي الشيخ أحمد أمين . يقول فيه :

« ان الحالة في مصر هادئة هدوءا تاما ولكنه لا يرى أهدى كما قال القائل :

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها خرام

أم هو سكوت من أعياء التعب . وفيه يقول :

« لا تنس يا كامل أن السواد الأعظم من الأمة غير مثقف ، وأنه كان يساق الى الوطنية سوقا فان لم يكن بجانبهم من يقسويهم ، ويصلب عودهم ويرفع فيهم الروح المعنوية ، عادوا الى سيرتهم الاولى . ولا تنس أننا وليدون في الوطنية قريبا عهد بالباديء الجديدة ، وأن الخمرة في الأمة هم الشباب المتعلم وهؤلاء قليل عددهم اذا نسبوا الى الأمة . وأن توالي الضغط على الأمة قرونا طويلة من فرس وروم وعرب وترك وانجليز أفقد الأمة صراحتها وشجاعته وأضعف قوتها وشهامتها . ولكن ما يعزينا هو أننا أصبحنا نرى التطور يسير سريعا وشعورنا بشخصيتنا وقوميتنا ينمو نموا حثيثا يبعث على الارتياح ، ولكن مما يؤسف له هذه الايام أن السواد الأعظم من الأمة يبيت ويصبح هو لا يفكر الا في مشكلاته الاقتصادية الناشئة من انخفاض أسعار القطن ، فهو يبني أعماله ومشروعاته على أن يبيع القطن بأربعين جنيها فاذا بثمنه الآن دون العشرة . والقطن كما تعرف معبود الفلاح والمسالك على السواء . . لقد استقبل عدلى باشا استقبالا طيبا بعد أن حامت حوله شكوك كثيرة حتى جاءت برقية الرئيس وكان لا بد منها ليستعيد عدلى باشا مكانته . . فرجعت القلوب الى عهدا الاول . . تعد له خلاصه وتقدر له حسن مسعاه . وما النتيجة يا كامل وما المنتظر؟ والى ماذا نحن صائرون ؟ أنت الآن في مستوى أعلى ، فأنت أوسع منا أفقا وأقدر منا على رؤية ما لا سبيل لنا الى رؤيته ، فهل تشركنا فيماترى ؟ وسلام الاخوة الصديقة اليك منى ومن سائر أصدقائك الاوفياء . »

أطلعت الرئيس على هذا الخطاب بأن قرأته عليه . ثم نظرت

الى الرئيس فوجدته مطرقا مفكرا فى شىء من القلق الواضح والحزن الملموس * وهو الآن يعرف تمام المعرفة أن صديقى الشيخ أحمد أمين من أكثر الناس تدقيقا وأعمقهم تفكيرا وأعظمهم اخلاصا * ولولا أن دخل فى هذه اللحظة على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، لاستمرت جلستى مع الرئيس * ولعرفت منه خوالج نفسه وأفكاره ازاء ما ورد فى ذلك الخطاب *

اشتداد أزمة القطن

٧ ديسمبر :

وردت الجرائد من مصر وأعمدتها طافحة بأخبار أزمة القطن ، وأهم ما لفت أنظارنا أن تشكل وفد من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديریات ، وأن وفودا عديدة صغيرة أخذت تتكون كذلك مع أنها ليست لها طلبات خاصة ، فقال لى الرئيس :

« يحسن أن يمثل الحالة الاقتصادية ويعالج الإزمه الحالية وقد واحد كما يعمل فى المسائل السياسيه ، ورد واحد يمثل البلاد * ثم استطرد قائلا : أن أخوف ما أخافه من كثرة هذه الوفود وكثرة اتصالها بالحكومة أن تستغل استغلالا سياسيا أى تستخدمها الحكومة لتحقيق أغراض سياسية لا تتفق مع قضية الاستقلال * »

أما الوفد الكبير الذى تكون من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديریات فقد تقدم باقتراحات ثلاثة هى :

أولا - تحديد زراعة القطن بثلاث الاراضى فى العام المقبل .

ثانيا - الغاء اتفاقات الحكومة فى استجلاب الحبوب من الخارج ، وذلك للمحافظة على أسعار الحبوب الوطنية فى السنة المقبلة ، وحتى لا تقع البلاد فى أزمة حبوب كما وقعت الآن فى أزمة قطن *

ثالثا - تشتري الحكومة مليون قنطار من صغار الفلاحين المضطرين للبيع *

ونذلك حفظا لاسعار القطن من التدهور * وثمن هذا المليون يأتى من مبلغ المليونين من الجنيهات التى حصلتها الحكومة من الضريبة المفروضة على القطن ، والتى لا ينتظر أن تستعمل الآن لان الحكومة لا تشتري حبوبا من الخارج * ثم ان الباقي تدفعه الحكومة من

وفورات الميزانية • وإذا باعت الحكومة المليون قنطار من القطن فيما بعد وخسرت ، فإنها تستطيع أن تعوض الخسارة بضريبة جديدة مؤقتة تفرضها على مجموع الاراضى الزراعية فى مصر •

وقال لى الرئيس : « هذه اقتراحات معقولة ومقبولة • ولعل الصعوبة الوحيدة فيها هى فى معرفة السعر الذى تشتري به الحكومة قنطار القطن من المليون المراد شراؤها • »

فقلت : « ألا يمكن تحديد هذا السعر على أساس تكاليف الانتاج لقنطار القطن مضاعفا اليه الربح المجزى المعقول • »

فقال الرئيس : « تكاليف الانتاج تختلف باختلاف المناطق والمديرىات وتختلف باختلاف المزارعين والملاك ، والربح الذى تراه أنت مجزيا ومعقولا قد يراه غيرك لا مجزيا ولا معقولا • وهذه هى المصاعب » •

وهنا أطرق قليلا ثم استطرد قائلا :

« ان الناس يجب أن يفهموا أن شمسهم الغنى لا يجوز أن تنسبهم كرامتهم المسلوقة واستقلالهم الذى ضحوا بالكثير من أجل تحقيقه • وأنه لمن دواعى الاسف أنى لم أجد فى أية جريدة مصرية كلمة واحدة فى هذا المعنى تبصر الناس وترشدهم سواء السبيل ، بل لم أجد فى أية جريدة مصرية اقتراحات عملية مفيدة لحل الازمة القطنية ، بل كل الجرائد لجأت الى الطريق السهل : وهو التشنيع على الحكومة واتهامها بالتقصير وبأنها لم تفعل شيئا لتخفيف ويلات الازمة دون أن تقترح من جانبها خطة العمل الواجب اتباعها ، فسياسة الجرائد والحالة هذه سياسة هدم ونقد وتدمير لا سياسة بناء واقتراح وتعمير » •

حيرتى الآن

باريس فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

جالت فى نفسى اليوم خواطر فى شكل أسئلة وغير أسئلة : هل أستمر فى كتابة هذه اليوميات مهما تكن حوادث بعض الايام؟ هل يحسن أن أتفادى اليوميات بأن كتب ((أسبوعيات)) أى أكتب مرة واحدة كل أسبوع ؟ هل يحسن أن أكتبها « شهريات » أى شهرا شهرا •

لقد نضب معين الحوادث الكبرى التى ينطوى العلم بها على متعة أو فائدة .

فانتهت مفاوضات الوفد مع لجنة ملنر الى غير رجعة .
وانتهت كل المشاكل اليومية أو جملها التى كانت تثور بسبب تلك المفاوضات أو المحادثات .
وانتهت قصة عدلى وتدخله فى شئون الوفد بعد عودته الى مصر .

وانتهت اجتماعات الوفد لقللة العمل وكثرة السأم وانتظارا لظهور تقرير لجنة ملنر .

وانتهت حتى زيارات كثرة الاعضاء للرئيس واصبح بينهم وبينه جفاء وشبه قطيعة .

وأصبح لا يقابل الرئيس يوميا الا ثلاثة أعضاء هم ، على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا يزورونه فى مسكنه .

والرئيس لا يذهب الى مقر الوفد فى شارع مارييف .

— وأعضاء الوفد يذهبون الى مقر الوفد بغير نظام ولا اطراد .

وأنا أقضى ساعتين كل صباح فى مكتبى بمقر الوفد ثم انتقل الى مكتبى الآخر بمسكن الرئيس حيث أحمل اليه ما عندى من أخبار الجرائد الانجليزية ومقالاتها بعد ترجمتها الى العربية ، ثم أقضى بقية ساعات العمل صباحا وبعد الظهر ومساء مع الرئيس فى مسكنه .

وأكثر الاعضاء حضورا الى مقر الوفد أربعة هم محمد على عنوبة وحمد الباسل ومحمد محمود والمكبائى .

وأما عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فلا يحضران ، ولا أعرف من أنبائهما شيئا غير ما أسمعه من محمد على عنوبة وبودى أن أزورهما ، وأتحدث اليهما ولكن ذلك عسير أو مستحيل لانى لا أملك من وقتى غير ساعات قليلة أقضيها فى الطعام والراحة ، وقلمما تكفى للراحة والطعام .

والآن أعود مرة ثانية الى موضوعى الاصيل حتى لا ابتعد عنه بالشرود والاستطراد ، هل أكتب يوميات أو أسبوعيات أو شهريات ؟

ولكن لماذا يجب أن أبت فى هذا الموضوع ؟ ولماذا ألتزم بخطة معينة لا أحيد عنها ؟

ولماذا لا أكون حرا في أن أكتب ما أشاء • ومتى أشاء ؟
إذا كان المعين الحالى قد نصب قهناك معين جديد ينتظر ظهوره
وتفجره وتدفعه •

وقد نشرت جريدة التيمس صباح اليوم أن تقرير لجنة ملنر
سيرفع غدا الى الحكومة البريطانية التى ستدرس به بكل عناية وينتظر
نشره واذا عته مع قرار الحكومة بعد شهر أو شهرين على الأكثر
أى فى فبراير ١٩٢١ •

وستتفاهم الازمة داخل الوفد يقينا • •
وسيعود أكثر الاعضاء الى مصر حتما كما فهمت ذلك من
عبد العزيز فهمى ومحمد على علوية •

وسيتولى عدلى رئاسة الوزارة القادمة بغير شك •
وسينقسم الوفد على نفسه • ما فى ذلك أدنى شك ، فان دوام
الحال الراهنة من المحال •

وستنقسم الامة على نفسها لا محالة • •
وسيضطرب سعد وسيفكر ويكافح فى شدة وعنف ، وهو فى
هذا يجرى على سليقته •

وسيعود الى مصر حتما عاجلا ولا أقول أجلا • •
كل هذا أراه من البداهة بمكان ، وكل ذلك فى حاجة الى
تفصيل وتسجيل •

فلن ينضب المعين لمن يريد أن يكتب ويصور أطوار النفس
البشرية ويسجل الاحداث التاريخية ونحن نعيش الآن فى فترة
حاسمة فى تاريخ البلاد • بل نحن الآن من صناع التاريخ ، وحرام
أن تمر هذه الحقبة من الزمن بدون أن تسجل تفصيلا وتعرف
معرفة صادقة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا تزيف فيها ولا تحريف ،
ولا نقص فيها ولا اسراف فلاستمر فيما أنا فيه والله المعين •

تقرير لجنة ملنر

باريس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

اليوم قدم ملنر تقرير لجنته - الى حكومته - التى تعتبره أعظم
وثيقة رسمية مدروسة لأعظم /مشكلة سياسية تواجهها فى الوقت
الحاضر وسينشر التقرير وتعرف كل تفصيلاته مع قرار الحكومة

البريطانية بشأن مقترحاته في النصف الثاني من فبراير سنة ١٩٢١ . وأن السبب في تأخير نشره هذه المدة الطويلة هو الرغبة في ترجمته الى اللغة العربية لكي ينشر في لندن والقاهرة في وقت واحد ، وسترسل بعض النسخ من التقرير الى اللبى في مصر ليتولى المترجمون تحت اشراف رجاله القيام بالترجمة في سرية تامة ، حتى اذا تمت الترجمة وطبع التقرير باللغة العربية أمكن نشره واذاعته .

قصة عجيبة

أصبح الزعيم سعد حبيسا في مسكنه لا يستطيع الخروج منه لاشتداد برد الشتاء الى خمس درجات تحت الصفر ونزول الثلج هذه الايام . وفي اثناء تناولى الشاي معه عصر اليوم أخبرنى بتصرف غريب مثير من عبد العزيز فهمى . قال :

((عندما كنا في لندن حضر عندى عدلى وكان غاية في التودد والتواضع ، وكان معى عبد العزيز فهمى ومحمد محمود ومصطفى النحاس وواصف غالى ، فرويت لهم حادثة وقعت لى ، وهى شروعى فى شراء اطيان من الدائرة السنية وعدولى عن الشراء لأن صديقا حميما لى أخبرنى عند توجهى لشرائها بأن البيع قد فاجل فى هذه الاطيان ، وقال « لا تتعب نفسك بالذهاب » فرجعت واشترائها هو فى الحال)) .

ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه جريمة تستحق العقاب لأنها نوع من النصب والاحتيال » فقال عبد العزيز فهمى : « ان القانون لا يحمى العبطاء » .

فأجاب الرئيس : « لا عباطة هنا . وانما هى ثقة صديق بصديقه » فقال عبد العزيز فهمى : « لا تؤاخذنى ، وأورد مثلا ثم ختمه بقوله : « ان العبطاء لا تحميهم القوانين » . هذا سكت سعد وأطرق قليلا ثم قال لى :

« لاحظت وشعرت أن عبد العزيز فهمى كان يقول هذا الكلام مجاهدا شعورا فى نفسه يحاول منعه من هذا القول . ولكن شعورا آخر كان يدفعه اليه . وكأنه أراد أن يقول لعدلى : « انظر كيف أستخف بمكانة هذا الرجل وأعدده من العبطاء » . ثم سكت الرئيس مرة أخرى وأطرق كأنه يعالج خواطر اليمه تزعجه أو شعورا بالغيت يحاول كتمانها . ثم رفع رأسه وقال لى فى ألم ظاهر :

الاعتراف الثامن عشر

« لقد كظمت غيظي وقلت في نفسي سبحان الله ما أضعف نفوس بعض الرجال وما أسخف عقولهم ، لقد عجبت من أمر هذا الرجل الذي يطهح الحقد من صدره ، ولكنني عدت فحمرت الله إذ رأيت أن هذا من العلامات الطيبة على أن الفضيلة التي يحسدني عليها راسخة في . ثم رثيت لحاله لأن الحسد سيأكل نفسه حتى يهلكها ، بينما الحقد يضرني ويشقيني وينوبه ثم يفنيه » .

وانما رجل الدنيا وواحسدها من لا يعول نى الدنيا على أحد

سمعت هذا الكلام الذى فيه من الحزن والكمد أضعاف ما فيه من الغيظ والغضب ، وبدأ على التأثير الشديد والانفعال الذى اغالبه فيغلبني . وأقاومه فيهنمني . ولم يخف ذلك كله على عين سعد النافذة . فقال باسمه أبتسامة فلسفية : « ما رأيك يا كامل : فقلت وكأني صحت من غاشية » أنا يا سيدى فى دهشة وذهول : أن هذا الرجل ظالم . فما فى الأمر بلاهة أو عباطة . وما كنت أتصور فيه سلاطة اللسان والتهجم الى هذا الحد أو الى حد ، بل كنت أعتقد أنه رجل عالم فاضل عظيم التواضع جم الادب متزن يتكلم بحساب شأن كل رجل قوى واثق من نفسه » .

فقال سعد : رأيت الآن مبلغ خطئك فى رأيك وعقيدتك فى هذا الرجل ، ومن يدري فلعل كثيرين مثلك يرون رأيك هذا فيه .

ثم سكت دقيقة أو دقيقتين قضاهما فى اطرأق وتفكير . ومن عادتي أن أسكت ولا أتحرك أقل حركة كلما رأيته مطرقاً ومفكراً فى هدوء وسكون ، وذلك حتى لا يشعر بوجودى فينصرف الى تأملاته كما يشاء : ثم رفع رأسه ، ونظر الى وقال :

« ما رأيت رجلاً مغروراً بنفسه فى تواضع ولا خبيثاً فى صالح ، ولا عسوفاً فى عادل ، ولا كذوباً فى صادق ، ولا جباناً فى شجاع ، ولا متغلباً فى ثابت ، ولا مرأياً فى صريح أكثر من هذا الرجل ، عبد العزيز فهمي » .

وهنا أخرجت مسرعاً القلم من جيبى - وسجلت هذا الحكم الفريد ، فى هذا الأسلوب الجديد ، كتبه ثم تلوته عليه لاستوثق من صحة كل كلمة قلها . فابتسم وقال : « أنت أشبه بالفونوغراف سجلت كل كلمة ولم تفتك كلمة واحدة . ما أقوى ذاكرتك . . . »

سعد زغلول وعبد العزيز فهمي في الميزان

١٠ من ديسمبر ١٩٢٠ :

سعد زغلول وعبد العزيز فهمي أقوى شخصيتين مصريتين عرفتهما في حياتي حتى الآن ، ولا يقارن بهما أى مصرى آخر فى مصر إلا رجحت كفتهما وأثبتت المقارنة أفضلية هذين الرجلين ، وامتيازهما البارز على كل من عداهما .

والعجيب أنى أحبهما حبا جما رغم ما بينهما من تفاوت فى المذهب ، واختلاف فى النظرة وفى السياسة .

ان أوجه الشبه بينهما كثيرة :

فكلاهما ذكى مفرط فى الذكاء ، فصيح اللسان بليغ البيان الى أقصى درجات الفصاحة والبلاغة .

وكلاهما صريح لا يتردد فى التعبير عن رأيه والدفاع القوي عن وجهة نظره . ولعل سعدا أصرح وأقوى منه .

وكلاهما قوى الشكيمة قوى الشخصية عنيف الكفاح ولعل سعدا أقوى وأعنف .

وكلاهما محام بارع ضليع درس القانون وتفقه فيه وتعمق ، ولعل عبد العزيز فى ذلك المحق .

وكلاهما حاضر البديهة شديد السخيرية فتاك المنطق عظيم الاعتداد بنفسه وهما فى ذلك فرسا رهان .

وكلاهما مناقش لا يمل ، ومجادل لا يكل ، ومجادور مداور بالمنطق المتين والعقل المكين ، ولا يلين ولا يستكين .

وكلاهما متعصب لرأيه لا يحيد عنه قيد أنملة ، حبه للأقناع أضعاف أضعاف استعداده للأقتناع .

وأوجه الخلاف بينهما قليلة العدد : ولكنها كبيرة فى الوزن والشأن والخطر وبعد الأثر .

فسعد خطيب مصقع يهز المنابر . ويؤثر فى النفوس أبلغ تأثير ، فى المتعلمين والجماهير على حد سواء ، وعبد العزيز فهمي لا يسمو الى هذه المرتبة بل هو دونها بمراحل فليس له سمته ولا صوته ولا روعته .

وسعد زعيم أمة وصاحب رسالة ورئيس رجال ثورة واسمه يفعل في مصر مثل السحر وزيادة ، وعبد العزيز فهمي زعيم أغلبية من أعضاء الوفد .

وسعد يرفض مشروع ملنر وينادي بالتحفظات ويتمسك بالاستقلال .

وعبد العزيز فهمي يقبل مشروع ملنر ويستخف بالتحفظات ويعتبر الاستقلال محالا في الظروف الراهنة .

وسعد يريد تحقيق ما يريد تنفيذا للتوكيل الذي حصل عليه من الأمة ، فيجد في عبد العزيز فهمي وأصحابه وعدلى العقبة الكأداء والصخرة الصماء .

وعبد العزيز فهمي يريد تحقيق ما يريد فيجد في سعد المارد الذي يستحيل التغلب عليه .

من هنا نشأت الكراهية بين هذين الرجلين العظميين .

كلا الرجلين العظميين النابهين (سعد زغلول وعبد العزيز فهمي) يريد التخلص من صاحبه اللدود اللجوج حتى يخلو له الجر فيحقق ما يريد ، ولكن ليس الى الخلاص من سبيل حتى الآن .

حديث الرئيس مع عبد الملك حمزة واسماعيل كامل

١١ من ديسمبر :

حضر لزيارة الرئيس صباح اليوم عبد الملك حمزة واسماعيل كامس ، وبعد خروجهما مرا بمكتبي وبقيتا معي نصف ساعة . وعرفت منهما أنهما من رجال الحزب الوطنى ولا يعجبهما حال الوفد ورجاله . وفى أثناء تناولى الشاى مع الرئيس فى الساعة ٣٠ رء بعد الظهر سألته عما وقع فى نفسه من أمرهما فقال الرئيس :

« ان الشك يخامرني فى أمر هذين الشبايين لأنى مع كونى أطلعتهما على كثير من الأدلة الكتابية وغيرها التى تدل على ضعف عدلى واستخفافه بالاهداف الوطنية ، وميله الى تعصيد ملنر ، فأنهما لم يتأثرا ، واستمرا يتكلمان عن ضرورة الاتفاق معه رغم الفوارق السالف ذكرها » .

ثم سكت الرئيس فى حزن بالغ وبعد قليل استأنف كلامه فقال : « لقد تكلمت معهما طويلا ، وقلت لهما ليس من الغريب بأن أعارض المشروع الذى ينسب الى ملنر ، وأن يدافع عدلى عنه ،

ولم ينسبه أحد إليه • وقلت لهما ان عدلى ضعيف جدا ، ولا يمكن ان يركن اليه فى مهمة تقتضى صداما وكان يروج أفكار ملتر عندما ، بدل ان يروج أفكارنا عند ملتر •

» ومع ذلك فانهما لم يتأثرا وسكتا •

» ثم قلت لهما فى كمد وضيق ظاهر ان زملائي الذين كان من المنتظر ان يكونوا معى فى خدمة قضية الاستقلال يريدون اليوم ابعادى عن المفاوضات المقبلة • ولكنهم لا يجراون على التصريح بذلك خشية ان ينكشف أمرهم أمام الامة ويظهروا على حقيقتهم مؤيدين للمشروع فتلفظهم الامة وتلبسهم ثياب العار والشنار • قلت لهما ذلك ، ومع ذلك لم يتأثرا أو على الأقل لم يظهر عليهما التأثير الذى كنت أنتظره وأثرا السكوت والاطراق •

» فلما سألتهما رأيهما صراحة قال أحدهما ان الحالة محزنة ، وقال الآخر يجب عمل الممكن والمستحيل لتلافي وقوع أى انقسام فى الامة أو فى الوفد • فقلت : « وماذا تقترحان ؟ » فعجزا عن الجواب ، فقلت لهما : « أرجو أن تفكرا فى الوسيلة والسبيل لتحقيق استمرار الوحدة وتلافي الانقسام ثم تشرفانى بزيارة أخرى لأعرف منكما الجواب » •

فوعدا بذلك وانصرفا ..

الاعتراف التاسع عشر

١٢ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

دخلت على الزعيم سعد صباح اليوم ومعى كالعادة ما ترجمته الى العربية عن المنشور فى الجرائد الانجليزية (التيمس والوستمنستر جازيت والديلى هيرالد) عن « الازمة القطنية فى مصر » فوجدته مكبا على الكتابة بيده ، وهذا نادر جدا ، لانه لا يحبه ويفضل أن يملأ على ما يريد تسجيله كتابة أو يريد ارساله الى من يختار ويشاء •

فلما استقر بى الجلوس دقيقة رفع رأسه والتفت الى وقال :

« هل تريد أن تعرف ماذا أكتب الان ؟ » • وعقل الرئيس فى التفكير أسرع من يده فى التحرير •

فقلت : « اذا أطلعتنى عليه كان ذلك منك تفضلا كبيرا » .
 فقال : « اذن فاسمع بعض خوالج نفسى . وقرأ على ما يأتى :
 (عجب امرى ، أكون رئيس أمة بأسرها وجميع أبنائها يمجّدون
 اسمى ويعظمون قدرى ، ويشيرون بذكرى ، ويهتفون بحياتى ،
 ويهتزون لكلماتى ، وينفذون رغباتى ، ولا أجد فيمن حولى من
 اصطفيه الا من بعد عنى فيوافينى وأوافيه . غريب جدا أن يكون
 أغلب من يجتمع بى ويشهد قريهم منى أبعد الناس عن موافقة رأيى .
 ولقد كثرت ملاحظتى لهذه الحالة ، وطال بحثى عن سببها وما
 اهتديت اليه . فحصدت نفسى فحصا جيدا لأقف فيها على ما ينفر
 الغير منها وما يعميه عما يصدر عنها فوالله ما عرفتة . واعتقد
 تمام الاعتقاد أن هذا الفحص كان فى غاية الإخلاص ويقصد الوقوف
 على حقيقة الأمر حتى أعمل على تلافيه ، لأن الغاية التى أرمى
 اليها هى المصلحة العامة ، والوسيلة اليها هى كل طريقة تكون
 شريفة » .

أثر الاعتراف فى نفسى

تأثرت غاية التأثر من هذا الكلام الصادر من أعماق أغوار
 قلبه . ونظرت اليه فوجدته ساهما مطرقا فى كمد ظاهر ، وفى
 حيرة . لا يعرف الخلاص منها . فآثرت السكوت . وماذا عسى
 أن أقول وأنا فى حيرة مثله ؟ ان قلت إنه على حق فى دقة بحثه
 وفى فحصه وتحليله وتعليله لخوالج نفسه ، كان ذلك غباء منى
 لانى بذلك أقرر أنه على صواب فى رأيه من أن البعيدين عنه
 يحبونه ويوافقونه ، والقريبين منه يكرهونه ويخالفونه .

وان قلت إنه على خطأ ووهم ، كان ذلك استعلاء منى وكأنى
 أدرك للأمور وأكثر فهما لها وأنفذ بصيرة منه . ومعنى هذا أيضا
 أن البعيدين عنه والقريبين منه على السواء فى حبسه وتقديره
 والاعجاب به ، وهذا ما يخالف الحقيقة والواقع .

لم أجد كلاما أقوله فسكت ، ولم يجد سعد غير الحسرة والكم
 فسكت .

ولكن السكوت اذا طال كان مزعجا للاعصاب ، فنطقت بكلام
 على البديهة ومن غير سابق تفكير . فقلت : « يا سيدى لا تتشام

ولا تحزن • ماذا يضيرك اذا خالفك عشرة أو مائة ووافقك وأحبك الملايين ، انت زعيم أمة فمن الطبيعي جدا أن يكون لك حساد وكارهون •

فأجاب الرئيس : « يا كامل انت لم تفهم قصدي ، ان المسألة ليست مسألة عددية حسابية بين الموافق والمخالفين ، وانما المسألة ظاهرة نفسية : القريب مني يخالفني وقد أنفر منه ويتفر مني ، والبعيد عني يوافقني ، فنترامل ويصطفيني وأصطفيه •

« أجد الراحة والطمأنينة مع البعيدين ، وأجد المتاعب والضيق مع القريين • لا شك ان في النفس البشرية عيوباً كامنة فيها ، وأريد الاهتداء اليها ، والخلص منها فأريح وأستريح • »

أى والله ما أصدقه وما أنفذ نظره ، ما أرهف حسه وأدق بصره • أثرت السكوت لان الله لم يفتح على بكلام مفيد فى هذه اللحظة • والسكوت من ذهب أحيانا عندما يصعب على المرء الكلام الصادر عن روية وتفكير •

واستمر سكوت الرئيس وأطرقه : أطراق الفيلسوف المفكر ، لا أطراق الخائر الحائر •

ثم قفز الى لسانى سؤال أمارط اللثام عن بعض النواحي :

قلت : ((ان أنصار عدلى من أعضاء الوفد مفهوم أمرهم ، فهل صدر من أحد أنصارك شيء يريبك أو يكدرك ؟)) •

الاعتراف العشرون

فقال الرئيس سعد : ((عندى كثير مما لا تعرفه • ومما أكتمه على مضض •

((فواصف غالى سريع الانفعال عظيم الكبرياء •
((وسينوت حنا رجل خطر وداهية •

((وعلى ماهر ميال للمساملة ولكنه يكثر من انتقادی ولا يوافق على شيء فى صراحة ، فهو مسالم مساوم ويجب إمساك العصا من الوسط •

((ولا ينبغي لى أن أعول على مثل هذه الحال ودوامها من المحال))



واصف غالى



عبد العزيز فهمى

لم أدهش لشيء لما قاله عن واصف غالى ، لاني كنت أعتقد حتى هذه اللحظة أنه أشد الناس ولاء له وإخلاصا ، وأنه أعظم الناس هدوءا وتواضعا .

رأى الرئيس فى واصف غالى

فقلت : يظهر يا باشا أنى لا أفهم الناس على حقيقتهم ، وأن الظواهر ما زالت تخدعنى ، كل شيء ممكن ومحتمل الا واصف غالى ، فهو عندى أقل الناس طمعا وأكثر الناس تواضعا ولا أعرف بين المصريين من هو أكثر منه وداعة ورقة وأدبا وإخلاصا وتفكيراً . وهو الى الفيلسوف أقرب منه الى الرجل العادى .

فسكت الرئيس وأطرق كعادته ، وفكر وأطال التفكير ثم قال :

((واصف غالى متواضع فى كبرياء . ساكن فى حركة . شديد الحساسية . قوى فى عاجز ، ماهر فى بساطة ، قليل الكلام ، كثير التفكير ، واسع الخيال ، بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متعصب ، وعنده فى نفسه أحسن رأى)) .

هنا فقط أدركت مبلغ حيرة الرئيس وعزلته ووحشته .

وهنا فقط أدركت مدى خيبة أمله فيمن حوله من الانصار .

وهنا فقط أدركت مصدر حرجه وكمدته وسر رغبته فى البحث والتنقيب عن الحقيقة فى طوايا نفسه وفى خبايا أعماقه ، عسى أن يهتدى بعد البحث والدرس والتنقيب عن العيب الكامن فى نفسه فيصلحه فينصلح الحال .

ولكن الرئيس الحائر عاجز عن الاهتداء وهذا سر أساء ومصدر
بلواه .

معركة كلامية بين عبد العزيز فهمي وسعد

١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

صحوّت اليوم والجو بارد شديد البرودة ، على أنى ما كدت أترك
البانسيون فى طريقى الى مقر الوفد فى الساعة الثامنة والنصف
صباحا حتى واجهت برذا لا عهد لى به ، فهذه هى ((صبارات الشتاء ،
وعنبراته)) كما يقول العرب . وقد نزل الثلج بغزارة أمس وأول

أمس كالقطن المندوف أو العهن المنفوش ، وكسيت أسطح المنازل
والابنية والشرفات والشوارع بطبقات ثلجية بيضاء تسر الناظرين .

واليوم تهطل الامطار وتدوى الريح ، وبوارق الرعد تخطف
الابصار ، والسماء تتكاثف غيومها تارة وتتمزق ، وتومض تارة
أخرى ، والسكوت شامل لا يعكسه غير جلبة الرعد وخشخشة المطر
وهو ينهمر على النوافذ والشرفات ، ولكن هيهات هيهات أن تملأ
الطرق .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر محمد على علوبة الى مقر الوفد ،
وسألنى عما فى جرائد لندن هذا الصباح فقلت : ((فيها صفحة
كاملة عن الالعاب الرياضية ومبارياتها فى التنس وكرة القدم
والرجبى ، وليس فيها سطر واحد عن مصر والسودان ، ولا عن سعد
أو عدلى ، أو المحاكمات العسكرية الجارية فى مصر هذه الايام)) .

وهنا حضر عبد اللطيف المكباتى وعلى ماهر وعبد العزيز فهمي
ومحمد محمود ، ثم وافاهم حمد الباسل وسينوت حنا ، حتى اذا
وصل الزعيم سعد زغلول جرى حديث شامل أبرز ما فيه ما وجهه
عبد العزيز فهمي الى الرئيس سعد عندما قال .

((أسقطت يا سيدى من حسابك ومن تفكيرك أمورا أربعة على
أعظم جانب من الأهمية :

- ١ - قوة بريطانيا الهائلة ونفوذها الطاغى وسلطانها الواسع
بعد أكبر انتصار أحرزته فى تاريخها وتأثيرها فى الدول جميعا .
- ٢ - ضعف مصر الهائل وسيطرة الانجليز عليها سيطرة تامة
شاملة .

٣ - عدم وجود المعين لمصر في أية دولة في الارض ، ومصر في عزلة تامة .

٤ - ان مشروع ملنر مفيد لانه على الاقل ينقذ مصر من حالتها الحاضرة التعسة الشنيعة ويمنحها شيئاً من القوة والقدرة على استئناف الجهاد والقيام بثورة في المستقبل)) .

فأجاب سعد في احتقار ظاهر :

((كيف يجوز لك ان تزعم اني أسقطت كل هذا من حسابي وتفكيري . أنت تتكلم في بديهيات بعضها ظاهر وبعضها مضال ، انما أنت واخوانك الذين أسقطتم من حسابكم ومن تفكيركم أمراً واحداً على الاقل وهو على أعظم جانب من الاهمية والخطورة وبعد الاثر . وهو)) ان في أعناقكم أمانة ، وهي السعي والجهاد للحصول على الاستقلال التام . وليس لكم ان تقبلوا أول شيء أو أي شيء يعرض عليكم مادام انه دون الاستقلال بهراجل . أنتم تتلمسون المعاذير ، وتستطيرون طريق الجهاد وتريدون خيانة الأمانة عن عمد وسبق اصرار)) .

وهنا ضج الاعضاء بالغضب وقال عبد العزيز فهمي : ((باريس ، حاسب فلسفت أنت الوطني الوحيد الذي أنجبته مصر)) .

فقال سعد في انفعال : انتم تغضبون وتثورون لاني وصفت أعمالكم وسلوككم بالاولصاف الصحيحة ، ثم تعجبون لغضبي وثورتني على أعمالكم نفسها ، وعلى سلوككم الشاذ)) . فاضطربت الجلسة ، وخرج عبد العزيز فهمي ساخطاً فخرج الاعضاء وراءه وانتهت الجلسة .

وفي المساء نزلت كالعادة بعد العشاء الى كافيه فوكيه ، وبعد قليل حضر محمد علي علوية وجلس معي ثم قال : ((رأييت يا أستاذ كامل هذا الاسلوب في المناقشة والمعاملة ، ان سعد باشا يرمى في وجوهنا أشنع التهم ويستخدم أقسى الكلمات والعبارات . وينتظر منا أن نحتمل كل ذلك ونسكت عليه ، بينما هو لا يحتمل منا حتى مجرد ذكرنا للحقائق كما نراها ، ولا يحتمل منا أخف الكلمات والعبارات حين نصف البواعث والملابسات لتصرفاتنا ، هل يرضيك هذا ؟)) .

واستطرد صاحبي وقال :

((خذ مسألة أخرى . كتب واصف غالي مقالة في مجلة فرنسية

حلل فيها مشروع ملنر واعتبره حماية سافرة حقيقية ، واستقلالا لفظيا مزيفا . ولا شك أن المقالة موحى بها من سعد باشا بدليل أنها نشرت في اليوم التالي في جريدة الديبا .

((وبعد يوم واحد من نشرها أقام الرئيس مادبة غداء في فندق الكونتنتال للمسيو ديناليس رئيس تحرير جريدة الديبا وحضرها جميع أعضاء الوفد ، وأعلن الرئيس في صراحة أنه موافق على كل ما جاء في هذه المقالة ، هذا مع العلم بأنه يعارض أشد المعارضة في مبدأ أن للأعضاء الحق في الإدلاء بأحاديث للصحف أو كتابة مقالات في الجرائد والمجلات وهكذا يكيل بكيلين .

((ينتظر منا أن نقبل كل ما يرضى عنه ويهواه .

((ولا يقبل منا أقل اعتراض أو مخالفة .

((فهو ينتظر الكثير . أكثر مما نحتمل ، ولا يحتمل منا القليل وهو أقل ما ننتظر))

وهنا سكت صاحبي .

فقلت هذه ((هذه أروع خاتمة ومن يدري فلعلها كلمة الحق قد خرجت من لسانك في هذه الخاتمة البديعة . وإن فيها سر المتاعب والبلاء . فاغتنبط صاحبي بما قلت وافترقنا بسلام وقلت لنفسى حذار أن تصغر انسانا في عين نفسه بكلمة جارحة أو نظرة ساخرة أو فعل ينم عن استخفافك بشأنه .

الفصل الثانى

سعد يقول : لا أثق فى أعضاء الوفد

باريس فى ١٩ من ديسمبر :

ورد اليوم تلغراف بالشفرة من مصر بامضاء مصطفى النحاس ووصفا واصف والدكتور حافظ عفيفى وهذا نصه :

((ان الحكومة الحاضرة تبذل جهودها فى استمالة الامة الى السلطات بكل وسائل الترغيب والترهيب واحضار الوفود من الاقاليم لزيارة قصر عابدين ، وفى البلاد تيارات قوية استعدادا للدخول فى مفاوضات رسمية ، وعلى رأس العاملين لذلك محمود سليمان باشا وأولاده ولفيف من أعضاء اللجنة المركزية . ولاخبار الانقسام فى الوفد أسوأ الاثر فى الامة نرجوكم تلافى الانقسام ، وانتهاز فرصة المفاوضات الرسمية بما يليق مع الكرامة والشرف)) .

ما كدت أفرغ من حل رموز هذه البرقية وما كاد الرئيس يطلع عليها حتى قال فى غضب :

((انهم يقدمون الى النصيح والارشاد مع علمهم بكل التفاصيل الخاصة بالمفاوضات التى كانوا شهود انقطاعها ، وهم اما جاهلون بحقيقة الخلاف والانقسام فى الوفد ، واما عارفون ولكنهم عاجزون عن تقدير الاحوال قدرها . وهنا يستوى الجهل والمعرفة ولست أدري أيهما شر من الآخر)) .

وكان حاضرا مع الرئيس كل من على ماهر ووصف غالى وسينوت حنا ، فحاولوا التماس الاعذار لأصحاب تلك البرقية ، فإزداد الرئيس غضبا ، وبعد انصرفهم قال لى الرئيس :

((ان عجبى من هؤلاء الثلاثة لا يقل عن دهشتى من أولئك الثلاثة

أصحاب البرقية ، ولا يدري إلا الله مقدار ما نفعه في نفسه هذه التصرفات ، وهذه الصغائر . وأنا الآن بين أعوان أكثرهم مشاكسون يخالف مبدؤهم مبدئي ولا يصدر منهم إلا كل تعطيل للعمل ، ونحن أمام خصوم أقوىاء أشداء نهائين للفرص .

خطاب من عدلى باشا

٢٠ من ديسمبر :

ورد خطاب من عدلى يقول فيه :

((انه وجد البلاد في حالة عسر شديد ، وأن الوزارة الحاضرة تسير على سياستها القديمة من الارهاق والاعنات ، والحكومة الانجليزية على ما يظهر جاهلة مصير الاتفاق بين الامتين المصرية والانجليزية ، وفي البلاد الآن حركة شديدة بعضها ظاهر وأكثرها خفي للتأثير في الرأى العام وتوجيهه وجهات أخرى)) .

فلم يشأ الرئيس أن يرد على هذا الخطاب بخطاب منه ، وبعد تفكير وتردد فضل أن يرسل اليه برقية موجزة هذا نصها :

((كل البرقيات الواردة الى من شتى الجهات تدل على روح عالية في البلاد ، وأن الانجليز لا ينبغي لهم أن يجهلوا ان الامة لا تقبل أى اتفاق يؤيد الحماية أو لا يحقق الاستقلال)) .

ولا يخالجنى شك فى أن هذه البرقية لطمه لعدلى سيشعر بعدها بشئ من الحق أو الضيق ، ولهذا حملنى فضولى الى سؤال الرئيس وأنا أتناول الشأى معه : ((لماذا فضل ارسال برقية الى عدلى بدل أن يرسل اليه خطابا ردا على خطابه)) فقال : ((ميزة البرقية أنها موجزة ولا تظهر فيها عواطف الانسان وتعبير عن القصد تماما بغير أن تكشف الحالة النفسية ، فضلا عن خلوها من زيف المجاملات والتحيات)) .

مقال فى جريدة المورننج بوست !

٢١ من ديسمبر :

نشرت جريدة المورننج بوست صحيفة المحافظين فى افتتاحيتها ما يأتى :

((ان الشعب المصرى قد أصبح الآن منقسما على نفسه : فريق يؤيد زغلول باشا ، وفريق يؤيد عدلى باشا ، وبعد أن كان الشعب المصرى كله واقفا خلف زغلول باشا يناصره ويؤيده ويهتف بحياته فانه ما حدث الآن يعتبر ظاهرة كبيرة المعنى . والملاحظ أن أنصار عدلى باشا أخذوا يتزايدون قوة وعددا وبسرعة تلفت الانظار فى الشهرين الاخيرين ، وأن المتطرفين من أنصار زغلول باشا بدأ نفوذهم فى الضعف . ونجمهم فى الافول ، ولا يمكن أن تنجلي الحالة جلاء واضحا الا بعد الوقوف على رأى الحكومة البريطانية . وقد تنقل مراسل الجريدة فى الريف المصرى وتحدث الى كثير من الاعيان فوجدهم كما وجد الفلاحين ، غير مباليين بالسياسة وقضية الاستقلال أقل مبالاة ، وأزمة القطن هى شاغلهم الشاغل وهى موضوع أحاديثهم فى الصباح والمساء)) .

رسائل من مصر الى بعض أعضاء الوفد

وحضر فى المساء عدد من أعضاء الوفد لزيارة الرئيس فى مسكنه ، وهم : لطفى السيد والمكبائى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعلى ماهر ومحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، وبعد ساعة واحدة انصرفوا متفرقين .

ودخلت على الرئيس بعد خروجهم فوجدته مطرقا ظاهر الاسى والكمد ، فلما جلست ليحلى على خطابا ينوى ارساله الى سعيد زغلول . بدأ حديثه معى بقوله :

الاعتراف الحادى والعشرون

((انى أصبحت لا اثق بأحد من أعضاء الوفد ولا أعتمد الا على الله ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها)) .

فقلت : ((ماذا جرى . هل رأيت جديدا ؟)) .

فقال : ((أطلعنى بعض الاعضاء على خطابات وردت اليوم من مصر ، أرسلها اليهم أصدقاؤهم وكلها ترسم صورة سوداء تدعو لليأس ، فالشعب فى نظر كاتبها ضعيف متخاذل ، والحكومة مستبدة والسلطان أخذ يتنقل فى المديرىات ويستقبل بالحفاوات ، والركود الاقتصادى وأزمة القطن وأخبار انقسام الوفد كلها قد

بليت الافكار ، وما الى ذلك من الهراء والخزعبلات التي يراد منها التأثير في ، وعلى أمل أن أؤيد علنا على ، والجميع هنا يتكلمون بلسان واحد ، ولا فرق الآن بين من كانوا معي على الدوام ومن كانوا مع عدلى حتى الآن . ولا أستبعد أن تكون هذه الخطابات موحى بها من أصحابنا هنا في باريس للتأثير على)) .

فقلت : ((يظهر أن نفس البريد الذى حمل خطاباتهم . قد حمل خطابا من صديقى الشيخ أحمد أمين ، وكنت مترددا فى اطلاعك عليه لأنه هو الآخر يرسم صورة قاتمة عن الحالة فى مصر ولكن من منظور آخر)) .

فقال الرئيس : اقرأ خطاب صاحبك أحمد أمين فانى فى حاجة للاستماع الى مصدر لا أشك فى اخلاصه ، ولا أشك فى الباعث على ارسال خطابه ، كما لا أشك فى المرسل اليه .
تلوت الخطاب فى تودة ووضوح ، وهذا نصه :

خطاب من أحمد أمين

١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

أخى كامل ..

((سلام عليك - سأكتب اليك مهما قصرت فى الكتابة الى .. فقد كنت تكتب الى مهما قصرت فى الكتابة اليك ، أرجو أن تكون بخير .
استولى على الناس فى أيامنا هذه حالة نفسية تشبه حالة اليأس ، وأكثر الناس الما المفكرون راذ يرون أننا اقتربنا الى الغاية وبقليل من الجد والتلاحم ندرکه ثم لا جد ولا تلاحم فأسفهم كأسف من يسابق فى الجرى وقد كان يسبق كل من معه فلما قرب من الغرض أدركه الاعياء فسبقه من كان يتأخر عنه . ويرجع هذا يا كامل الى أسباب ثلاثة على ما أفهم :

١ - جد الحكومة فى مناهضة الحركة واستعمال الشدة المتناهية وتضييق القول والفعل على الناس بكل ما أوتيت من قوة ، ومن أكبر مظاهر ذلك التشديد على المديرين بسوق الناس الى السلطان ليظهروا له الولاء فيذهبون الى ذلك مضطرين أو طامعين وينتج من هذا المنظر يأس المخلصين .

٢ - خلو المكان الذى كان يشغله عبد الرحمن فهمى فلم يملأ أحد مركزه ، ولم تقم جماعة بما كان يقوم به وحده ، وقد كان الرجل

في الحقيقة قوة عاملة كبيرة وأهم مميزاته العزم والتعجيل بامانة الشر وهو وليد ، وجعله نفسه مركزا للعاملين حوله .

٣ - طبيعة المصري الملل وحببه للنتيجة السريعة ، فهو اذا تاجر أراد أن يفتنى دفعة واحدة ، والا لا يتاجر ، وهو في وطنيته ووليد الامس فشأنه فيها شأن الوليد .

ما أكثر ما أتمنى أن يتساهل الانجليز فيقبلوا النص على الغاء الحماية ونتخلص مما نحن فيه من الشرور .

في البلد اليوم حركة يراد منها التعجيل في الدخول في المفاوضات قبل النص على الغاء الحماية ولسان القائمين بها محمود عزمى صاحب جريدة الافكار ، ويعرف الناس أن من هذا الرأى عدلى وثروت واسماعيل صدقى وتوفيق دياب ونحوهم ولهم حجج على ذلك خلاصة لا حاجة الى ذكرها ، وقد سمعت انضمام محمود باشا سليمان الى هذا الرأى - لست أوّمن ايماناً تاماً بسخافة رأيهم ولكن أوّمن أنها ثلثة في الاتحاد .

في هذه الايام يسعى بعض الناس في ضم الاحزاب جميعها الى الوفد وخصوصاً الحزب الوطنى وهو شيء مفيد لان الحزب الوطنى مع أن تاريخه خير منه لا يزال له أثر في نفوس البعض بحكم تاريخه ، فكل شخص تكسبه الى جمهور الامة يزيد من قوتها . أصلح الله الحال وأمد الامة بروح منه حتى لا تفشل في آخر لحظة من جهادها والسلام)) .

أخوك أمين

تعليق الرئيس على الخطاب

وقع هذا الخطاب في نفس سعد موقعا أليماً ، وكان مظهر الالم في نظراته ، لا في كلماته ، وفي سكوته وعدم اشراقه ، لا في تعقيبته وانطلاقه .

ثم التفت الى بعد قليل وقال :

((لا شك أن في مصر أزمة قطنية وأزمة اقتصادية ، وللانجليز يد في هذه وتلك لانهم يشترون عادة ثلاثة أرباع القطن المصري

وبالاسعار التي يحددونها هم ، وهم يسيطرون على الحالة الاقتصادية في البلاد تمام السيطرة ، فاذا كفوا أيديهم عن الشراء أو هبطوا بالاسعار الى الحضيض وقعت أزمة قطنية لا محالة وصاحبها في الحال أزمة اقتصادية . هذه إحدى وسائل الاستعمار وحيله الشيطانية لكي يبلبلوا الافكار ويصرفوا الناس عن التفكير فيما هو أجدي وأنفع وهو الحياة العزيزة الكريمة في ظل الاستقلال الذي لا تجوز فيه هذه الحيل والالاعيب ، والمسألة الآن مسألة صراع بيننا وبين الانجليز في ميدان آخر : الميدان الاقتصادي الى جانب الميدان السياسي ، ويجب أن يفتن المصريون الى ذلك ، ويدركوا الحقائق على وجهها الصحيح . أما القلق والضيق والشكوى والتظير والالام فهي مظاهر تدخل على قلوب الانجليز السرور أقصى السرور . . وتشعرهم بأنهم نجحوا فيما هدفوا اليه وهو تدويخ المصريين وصرْفهم عن قضية الاستقلال ، وأنا من ناحيتي لا أعتقد أنهم سينجحون في هذا السبيل ، وما أنا من المنتظرين ولكني من المؤمنين)) .

فقلت : ((اذن هذه أزمة مفتعلة خلقها الانجليز خلقا لينالوا بها مأربا في الازمة السياسية ، هذه حقائق رائعة وسأبلغها الى صديقي الشيخ أحمد أمين فورا ، وأنا واثق من أنه سيعمل على نشرها في الصحف وفي المجالس بعد التوسع فيها والتعليق عليها)) .

فأجاب الرئيس : حسنا تفعل .

ولم تمض ساعة واحدة حتى فرغت من تحرير خطاب الى صاحبي بكل هذه المعاني .

برقيات احتجاج من مصر بمناسبة ذكرى اعلان الحماية

٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

في اليومين الاخيرين تسلم الرئيس عددا كبيرا من البرقيات الواردة من مصر ، وكلها تحمل الاحتجاج الشديد بمناسبة ذكرى اعلان الحماية البريطانية على مصر في ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، واكثرها يحمل الموافقة على خطة الوفد في تشبثه بعدم الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل النص على الغاء الحماية . وقد اغتبط الرئيس بذلك أشد الاغتباط ، ومما زاد في اغتباطه وانتعاشه أن أمثال هذه

البرقيات أرسلت الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية . وملتر
والجرائد الانجليزية الكبرى ، وقد نشرت بعض الجرائد الانجليزية
خلاصات من تلك البرقيات وهذه الجرائد هي (التيمز والديلي
نيوز والوستمنستر جازيت والمورنينج بوست والديلي هيرالد) .

خطاب من سعد الى ملتر

واليوم أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملتر يلفت نظره الى أهمية
هذه البرقيات وختمه بتهنئته بعيد الميلاد .

وثلاثة خطابات من مصر . .

٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

تسلم الرئيس اليوم ثلاثة خطابات من مصر : من مصطفى النحاس
وطاهر اللوزي وسعيد زغلول وكلها تنطوي على شيء غير قليل من
القلق والسخط لان السلطان أصبح كثير التنقل الآن في المديریات،
والاعيان والفلاحون ملزمون باستقباله استقبالات حافلة بالزيينات
يرفعونها ، والتهنئات يرسلونها عالية مدوية، والمدير الذي يعجز عن
أرسال الوفود الى سراي عابدين لدعوة السلطان الى زيارة مديريته
لا يرضى عنه ، وقد رفت فعلا أحدهم وهو قطري باشا - مدير
الدقهلية وعين بدله وكيل الداخلية .

ويظهر أن وزارة توفيق نسيم طويلة العمر وليس في نية الانجليز
حتى الان حملها على الاستقالة ، ويقولون في خطاباتهم ان الاشاعات
رائجة بأن وزارة توفيق نسيم هي التي ستتولى اجراء الانتخابات
وايجاد هيئة يقال عنها انها تجمع ممثلي الامة الحقيقيين ، وهؤلاء
يقبلون مشروع ملتر على علته وبهذا تقبل الامة الحماية ، ويسقط
الوفد بحجة أنه أقل تمثيلا من هذه الهيئة الملفقة التي يراد خلقها
على صورة تمثيلية وبمؤامرات شيطانية . يتنبأ بذلك كثيرون في
مصر ويزعم كثيرون من أنصار عدلي أن السبب الوحيد لهذه الحالة
التمسكة هو أن الوفد أو بعارة أدق (الرئيس سعد) قد أعلن
صراحة أنه لا يؤيد أية وزارة تدخل في مفاوضات رسمية قبل إلغاء
الحماية ، وان هذا هو السر في أن الانجليز لا يفكرون الآن في
طرد توفيق نسيم من الحكم واقامة وزارة برياسة عدلي .

هذا وقد جاء في خطاب مصطفى النحاس أن الرقابة منعت نشر شكر الرئيس للامة على ما اظهرته من الوطنية الطاهرة الصادقة الداوقة ، بالبرقيات التي ارسلتها الى جميع الجهات المختصة احتجاجا على بقاء الحماية وبمناسبة ذكرها الاليمة ، وتأييد الوفد في قراره الذي يقضي بعدم الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل ان تقبل التحفظات وفي طلبيتها النص على الغاء الحماية .

٢٥ من ديسمبر ١٩٢٠ :

اخبرني الرئيس في اثناء تناولى الشاي معه ، انه تناول الغداء مع حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتى ، وكانوا يظهرون له كثيرا من الاحترام والتزلف على غير العادة ، وزعموا جميعا انهم أصبحوا من رايه ومذهبه بالنسبة لمقاطعة المفاوضات الرسمية ما لم تقبل تحفظات الامة سلفا ، وان حمد الباسل قال له بعد انصراف صاحبيه : ((ان فيك صفات باهرة لا توجد في غيرك ، ولا يمكن لاحد انكارها)) . فشكره الرئيس على تحيته وان كان قد اعتبرها لونا من الملق والدهاء .

الامير يوسف كمال يقيم

مأدبة غداء لعدلى :

٢٦ من ديسمبر :

قرأ الرئيس في بعض الجرائد المصرية التى وصلت صباح اليوم خبرا لفت نظره وهو منشور في جريدة الاهرام الصادرة بتاريخ ١١ من ديسمبر ويتلخص في أن الامير يوسف كمال سيولم وليمة غداء غدا أى في يوم ١٢ من ديسمبر تكريما لعدلى بمناسبة عودته الى مصر ، وانه قد وجه الدعوة لحضور هذه الوليمة الى فتح الله باشا بركات ومصطفى النحاس وغيرهما ، وفي اثناء تناولى الشاي مع الرئيس بعد ظهر اليوم تحدث الى في شأن هذا الخبر . وقال :

((أنا لا استبعد أن تكون لهذه الوليمة علاقة بالبرقية الشفوية التى ارسلها الى مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف بتاريخ ١٩ من ديسمبر ، واغلب الظن عندى أن هذه الوليمة ان لم

تكن مدبرة لاستمالة البعض ، فان هذه الاستمالة لا شك واقعة
او انها ستكون من نتائجها المنتظرة)) .

وبعد ان سكت دقيقة في اطراق وتفكير ، قال في شئ من المرارة:
((ان استمرارى هنا مع كون من معى أغلبهم ضدى ، ضرب من
الحمق ولا يترتب عليه اقل فائدة ، بل هو تعذيب لى ، وليست
فيه خدمة للامة)) .

رأى سعد

في الصحافة المصرية

٢٧ من ديسمبر ١٩٢٠ :

فرغ الرئيس من قراءة اكوام الجرائد المصرية التى حملها اليها
البريد أخيراً من مصر ، وفى اثناء تناول الشاى سألته عن رأيه
فيها فقال :

((فى مصر جرائد تخدم الانجليز ومصالح الانجليز ، وهذه
الجرائد قسمان : قسم يستخدمه الانجليز صراحة ، مثل جريدة
الوطن وجريدة المقطم ، ويزودهما الانجليز بالمال وبالاخبار
والتوجيه فيرسومون لهما خط السير فى الكتابة ويحددون لهما
نوع الموضوعات التى تنشر وتبحث ويدافع عنها او تهاجم .

((وقسم يخدم الانجليز ومصالحهم عن غير قصد ، وذلك
بالتطرف فى الطلبات المستحيلة والسخرية بالعاملين المجاهدين ،
ومن هذا القسم جرائد الحزب الوطنى وجريدة الاهالى . وهذه
الجرائد لا هم لها الا مهاجمة الوفد وتقويض ثقة الامة فيه ، واتهامه
يومياً بأنه متهاون فى حقوق البلاد ومقصر فى الدفاع عنها ومنافق
ومخادع ومتقلب فى طلباته من الانجليز وما الى ذلك من الهراء .

((والقصد من كل ذلك تجريح الوفد ورئيسه ومحاولة اسقاط
توكيله بدون أن يتقدم فرد آخر او جماعة للحلول محل الوفد .
فعمل هذه الجرائد هدم لا بناء ، وهل بعد هدم الوفد خدمة
للانجليز ؟)) .

ثم سكت الرئيس دقيقة او اكثر حتى ظننت أنه انتهى من كلامه
ولكنه استطرد فقال : ((وفى مصر الآن جريدتان تتناطحان يومياً :
جريدة الاخبار وجريدة الافكار ، الاولى تدافع عن الوفد وخطته ،

والثانية تدافع عن عدلى وسياسته ، يحزر الاولى أمين الرافعى ،
ويحزر الثانية محمود عزمى .

((جريدة الاخبار تستنكر الدخول فى أية مفاوضات رسمية
الا بعد قبول التحفظات وبغير ذلك لا تقوم المفاوضات الرسمية الا
على أساس مشروع ملئ وهو مشروع حماية لا مشروع استقلال ،
وترد جريدة عدلى بان هذا التزام بما لا يلزم ، وانه لا ضرر مطلقا
فى الدخول على أساس مشروع ملئ ، ثم العمل اثناء المفاوضات
على تهديله بالتحفظات وما على الامة الا الانتظار فى امل ، فان
نجحت المفاوضات فيها ونهضت ، وان فشلت فان الاتحاد يبقى
سليما بين صفوف الامة ، ويمكن حينذاك استئناف الجهاد ضد
الانجليز .

وتعود جريدة الاخبار فتفند هذا الكلام وتبين ما فيه من
سخف وهراء وتقول : ((ان اصحاب هذا الراى مخطئون)) . . . :

((أولا : لانهم يحبذون الدخول فى مفاوضات رسمية على أساس
مشروع ملئ والتحفظات هادمة لكثير من اركان هذا المشروع
وليس من المعقول أن يدخل الانسان على أسس تهدم هذا
الاساس .

((ثانيا : لا معنى لترويج مشروع وفى الوقت عينه اعلان النية
عن تعديله .

((ثالثا : ليس لدى اصحاب هذا الراى وعد ولا شبه
وعد يستندون اليه فى الزعم بإمكان قبول التحفظات فيما بعد .

((وتعود جريدة عدلى تتهم اصحاب هذا الراى بالتطرف وسوء
الظن وتطلب التريث وعدم التسرع لان السياسة العملية تقتضى
ذلك وظروف الاحوال فى بريطانيا تستلزمه ، وما الى ذلك من
الخرعبلات والمهاترات التى تنغمس فيها جريدة الافكار .

((وجريدة الاهالى يومية تهاجم الجريدتين وتتهمهما بالخداع
والتظاهر بالمشاجرة فيما بينهما والخلاف على مسألة النص على
الغاء الحماية ، وتصرخ منادية ((واين باقى التحفظات ، وما هى لا
وتزعم متحمسة بأن بقية التحفظات لا تقل أهمية عن مسألة النص
على الغاء الحماية ، وأن الوفد أهملها . ثم تهاجم هذه الجريدة
— التى يشرف عليها محمد سعيد باشا — الوفد ورئيسه واللجنة
المركزية والاعضاء الثلاثة الذين عادوا أخيرا من باريس)) .

فسالت الرئيس عن اسم المدير المسئول عن تحرير هذه الجريدة (أى جريدة الاهالى) فقال : ((عبد القادر حمزة)) وهو يكتب بوحى من محمد سعيد باشا ورجاله ، ثم سألته : هل يكتب فى جريدة الاهالى كتاب بارزون تعرفهم ؟ فقال : كثيرون يكتبون فيها مجتهدون مشروع ملنر ومروجون لسياسة عدلى ، وفى طليعة من كتبوا اسماعيل صدقى باشا وعبد الحميد بدوى وصالح يونس)) .

لم أشأ أن أستمع فى أزواجه بهذه الاسئلة الصغيرة فسكت . ولكنه أثر الكلام فى مسألة كبيرة فقال : ان مستوى الصحافة فى مصر لم يصل بعد الى الرضا والاطمئنان ، وأبرز العيوب التى أراها فيها خمسة :

١ - ان بعض الصحفيين لا يمتازون بثقافة مالية ولا هم متخصصون فى موضوعات معينة ، ولكنهم كتاب يجيدون اللغة العربية الى حد ما ، ويعتمدون على ذكائهم أكثر من اعتمادهم على علمهم عندما يكتبون . والاصل فى الكاتب أن يكون استاذ القارئ ينوره ويوجهه ويرشده وما الاستاذ هنا بخير من التلميذ .

٢ - وبعض الصحفيين يميلون الى السرعة فى الكتابة ولا يخفى هذا العيب على كل من له دراية بالاساليب وفن الكتابة . فهو يتبين هذه السرعة فى كل سطر يطالعه لهم ، وكأنهم يعتبرون هذه السرعة دليلا على الذكاء والمهارة والثقة بالنفس ، ويعتبرون الابطاء دليلا على الغباء والجهل وعدم المران . وهذا ضلال كبير اذ عيب السرعة انها تنتج كلاما عاما وكتابة فيها أقل ما يمكن من المعانى فى أكثر ما يمكن من الالفاظ ، وأفكارها سطحية مهوشة لا عمق فيها ولا تركيز ولا يستفيد منها القارئ شيئا يؤثر فى فكره تأثيرا حميدا أو مفيدا . وبعض رؤساء التحرير وكتاب الصحف يفاخرون بأنهم يكتبون مقالاتهم فى دقائق معدودات .

ثم استطرد الرئيس فقال : ((أخبرنى مصطفى النحاس أن أمين الرافعى يكتب مقالته الافتتاحية كل يوم فى ربع ساعة وحوله ضيوفه وزائروه يتحدثون بأصوات عالية ويحادثهم ويحادثونه فى اثناء الكتابة ، ولا يعوقه هذا عن عمله والفراغ من مقالته الافتتاحية فى سرعة عجيبة تلفت الانظار . هذا وقد سألت النحاس ((هل أنت تمدحه أو تلمه ؟)) فقال : بل أمدحه وأعجب به . فقلت له : بل أنت تلمه أبشع الذم ، اذ كيف يستطيع انسان أن

يفكر ويحدد معانيه في تسلسل منطقي سليم ويختار الالفاظ المناسبة التي يجب أن يزنها بميزان الذهب حتى يقنع القارئ ويحظى باعجابه ؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك وهو لا يحصر ذهنه فيما يكتب ، ويظل موزعا بين ما يكتب وما يسمع وفي وسط الضوضاء ؟ .

٣ - ولغيف من الصحفيين يميلون الى النقد . والنقد اسهل انواع الكتابة والكلام ، اذ ما على الفرد الا أن يرى عيبا أو ما يظنه عيبا في موضوع أو مشروع أو انسان وما أكثر العيوب ومظاهر العيوب ، حتى ينحني عليه في سرعة فائقة وينهال عليه تشنيعا وتجريحا ، ويثخن صاحب العيب ذما وشتما وسبابا ، والصحفي المصري في هذا الميدان لا يجارى ولا يبارى .

٤ - ومع ميل الصحفيين الى النقد ، فانهم يجهلون فن النقد ، والنقد نوعان : نوع مفيد صالح ولا بد منه ، وهو الانتقاد الموضوعي البناء .

ونوع ضار فاسد ولا خير فيه ، وهو الانتقاد العاطفي الشخصي الهدام .

((بعض الصحفيين يميلون الى هذا النوع الثاني من النقد ويمارسونه على الدوام ، لانه نقد سهل ورخيص ولا يحتاج الى علم أو دراية ، ذلك لان السب والشتم والقذح والبذاءة والتشنيع والتجريح ليست في الكتب والمجلدات ، وانما هي تنبع من النفس المصابة بمركب النقص ، والمريضة بالغيظ والحقد وشهوة الانتقام والكلمات تنهمر كالطر في خدمة هذه الحالات وهذا يتفق مع السرعة التي يحبونها ولا يستغنون عنها . وبهذا يسودون الصفحات الطوال ويعتبرون انفسهم كتابا بارعين وصحفيين مطبوعين . وهذا الوعي الذي يصنعونه لا خير فيه على الاطلاق ، ولا فائدة منه على التحقيق ، اذ ليس فيه غذاء للعقل وليس فيه تهذيب وتنوير .

أما النوع الاول من النقد وهو النوع المفيد الصالح فهم لا يعرفونه أو لعلمهم يعرفونه ولا يميلون اليه لنقص ثقافتهم وعجزهم وقصورهم . ذلك لانه نقد يستلزم الاسلوب الهادئ العف والمهذب الذي يتناول الموضوع وحده فيبين مزاياه أولا ويعلق عليها بكلمة تقدير ، ثم يتناول العيوب والنقائص فيبين ما فيها من خطأ أو اضرار ، ويقترح في الوقت عينه علاجها واصلاحها ويحدد نوع العلاج وطريقة الاصلاح وما ينبغي أن يكون ، ولكن هذا كله يحتاج

الى الوقت والثروة كما يحتاج الى العلم والتفكير وضبط النفس .
وهذا مالا يملكونه ولا يطبقونه ، فضلا عن أنه لا يتفق مطلقا مع
السرعة الخاطفة التي اعتادوا عليها ويفخرون بها ويتنافسون
فيها .

٥ - وأخيرا ليس لمعظم الصحف مراسلون أكفاء في الخارج
أو في داخل البلاد يقدونها بالانباء الصحيحة والتعليقات المفيدة
ويقدمون الى جرائدهم اقتراحات عملية للإصلاح والتجديد ، وأغلب
ما يفعله المراسلون الحاليون القليلون هو الاقتصار على ابلاغ
جرائدهم بانباء الجرائم وتنقلات رجال الادارة وأعمالهم)) .

هذا هو رأى الزعيم سعد في الصحافة والصحفيين ..

أو هذه محاضرة القاها على من فيض خاطر عنها وعنهم ..
القاها وكأنه يقرأها من كتاب ، أو يتلوها من مذكرة ، أو
يستعيدها من محفوظات الذاكرة ..

ولكنها البداهة الملهمة والموهبة المنظمة والعقل الرصين والمنطق
المتين .. والبصيرة النافذة والمقدرة الفذة على حسن العرض
وكمال التحليل والتعليل ..
انه سعد زغلول وكفى ..

خطاب من ملنر الى سعد :

٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

في يوم ٢٣ من ديسمبر أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر .
واليوم ورد الرد من ملنر ، فرفع الرئيس خطابه الى لا ترجمه الى
العربية وهذا نصه :

((عزيزى زغلول باشا :

((أشكرك جزيل الشكر على خطابك غير المنتظرو على جميل تهنتك
لى بعيد الميلاد .

((اننى لست ضعيف الأمل فى الوصول الى نتيجة مرضية ، وانى
عارف تمام المعرفة مدى الشعور القوى الموجود فى مصر ازاء الحماية
ولكنى مع ذلك أعتقد اعتقادا جازما بأن معاهدة تبني على الاسس
التي وضعناها معا ستضع حدا فى الواقع للحماية ، وأما الفناء

الحماية فطرحه الآن عسير ، وهو أشبه بوضع العرب أمام الحصان ، ولا أستطيع أن أتصور حكومة بريطانية تستطيع النزول عن الحماية دون أن تعرف بل وقبل أن تتأكد مما سيحل محلها . والزم من كاف حل كثير من المشكلات إذا مهد كل منا طريق التفاهم والصداقة بين البلدين : بريطانيا ومصر .

((واني أبعت اليك بأصدق تحياتي وخالص احترامي .

المخلص ملنر

وقبل ظهر اليوم حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فاطمهم الرئيس على خطاب ملنر ، وأخذ على ماهر صورة منه ليطلع عليها الاعضاء الآخرين .

أما الخطاب ذاته فقد كان وقعه في نفس سعد غير أليم وغير سار ، بل بين بين ، وهو الى الفتور أميل ، وأما وقعه في نفوس الاعضاء الثلاثة فكان مدعاة للتفاؤل وهو الى الغبطة أميل .

سفر الدكتور حامد الى إنجلترا :

٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

سافر الدكتور حامد محمود فجأة الى لندن صباح اليوم ، وقد قابلته مصادفة في الطريق فأخبرني بأنه ذاهب الى لندن لان عفشه قد حجز عليه بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الدخل وانصرف مسرعا فضحكت لان هذا كلام غير معقول .

ولما وصلت الى مكتبي وشعر الرئيس بوصولي ناداني فدخلت عليه في حجرته وقال لي أنه تسلم خطابا من مستر بلنت ورفعته الى لترجمه الى اللغة العربية وهذا نصه :

((عزيزي زغلول باشا :

((لو كنت في شيء من الصحة والقوة لحضرت بنفسى الى باريس لأحظى بمقابلتك والتحدث اليك ، ولكنى أصبحت شيخا منهكاً بالصحة لا أقوى على الاسفار والانتقال فلعلك عاذري ، وانك لتعرف مبلغ اعجابي بك واجلالى لك ، ومبلغ حبي لمصر وعطفى على قضيتيها وجهادها للاستقلال . وقد سبق أن كتبت الى اللورد مالنر خطابا مطولا رجوته فيه أن يتساهل في مفاوضاته معكم ، وأن يعالج المسألة

المصرية بشيء من الكرم والسماحة ، فإن مصر قد تعذبت كثيرا ،
وآن لها أن تستريح وتنعم بالعزة وكرامة الاستقلال .

((وقد أرسل الى لورد ملنر رده على خطابي ، واني اكون شاكرا
اذا تفضلت فبعثت الى برسول تثق به حتى اسلمه الخطاب الخاص
الذي وصلني من لورد ملنر وحتى أدلى اليه بحديث ينقله اليك .
واليك يا عزيزي اصدق تحياتي وأخلص تمنياتي)) .

المخلص جدا . . . بلنت

وتطوع الرئيس فاخبرني فورا بانه أرسل الدكتور حامد محمود
الى انجلترا اليوم لهذا الغرض !! وفي الساعة الحادية عشرة صباحا
حضر واصف غالي وسينوت حنا ثم حضر علي ماهر بعد قليل وأطلعهم
الرئيس على خطاب مستر بلنت .

فأخذ علي ماهر صورة منه ليطلع عليه الآخرين من الاعضاء .

الرئيس يطلب

ألف جنيه فيرفض طلبه :

٣١ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

كلفني الرئيس أن اذهب الى محمد علي علوبة أمين الصندوق
وأطلب منه مبلغ ألف جنيه فرنكات فرنسية لحاجة الرئيس اليهم
في الصرف على بعض شئون الوفد .

فذهبت ، وقابلته ، وطلبت مبلغ الالف جنيه ، ((للصرف على
بعض شئون الوفد)) .

فسألني : وماهي هـذه الشئون ؟ فقلت : لا أدري . . فقال
أنا أرفض اعطاء مبلغ كهذا بغير قرار من الوفد وبغير أن أعلم أولا
مصلحة الوفد في صرف مبلغ كبير مثل هذا المبلغ ، لابد من وجود رقابة
على التصرف في أموال الوفد .

فقلت : « هذا كلام واضح وحاسم ، وما على الرسول الا البلاغ »
وعدت الى الرئيس وأبلغته الخبر مخففا ملطفا اذ قلت :

((ان أمين الصندوق مستعد لصرف المبلغ اذا تفضل الرئيس
بإبلاغه ماهي شئون الوفد الذي سيصرف فيها ، وذلك لكي يأخذ
قراراً من الوفد بالموافقة على الصرف))

فقال الرئيس غاضبا : ((لا هذا ولا ذاك)) . ثم اتخذ اجراءين حاسمين :

الأول : أملى على برقية لارسالها الى ابراهيم سعيد باشا أمين صندوق الوفد بالقاهرة ونصها : ((أرجو أن تودعوا البنك الاهلى مبلغ خمسة آلاف جنيه باسمى لكى يرسلها الى هنا فى باريس)) .

ثم نزلت وأرسلت البرقية بنفسى حتى لا يعلم أحد سرها ، ولما عدت اليه وجدته مفتطبا وقال لى : ((لست فى حاجة الى هؤلاء الناس أصحاب الوجوه الكالحة والنفوس الصخرية والأفكار السقيمة والعقول العقيمة الساعين الى غير مصلحة البلاد)) .

الثانى : كتب الى بنك الكريدى ليونيه بباريس خطابا طلب فيه أن يطلعه على حساب المنصرف من أموال الوفد شهرا شهرا فى الستة الأشهر الأخيرة، وجورج دومانى هو الذى تولى تحرير صيغة الخطاب وحمله بنفسه الى البنك ، وسيعلم بذلك حتما محمد على علوية لأن دومانى لا يستطيع كتمان سر كهذا .

نظرة عامة على حالتنا الحاضرة :

أول يناير سنة ١٩٢١

هذا أول يوم فى العام الجديد ١٩٢١ فلا بد فيه من وقفة ألقى فيها نظرة عامة على حالتنا الحاضرة وأسجل عناصرها وأحاول التنبؤ بمصيرها ، هل هى تتقدم وتتحسن ، أو هى سائرة فى طريق السوء والتأخر .

ان من طبيعة الحياة فى الانسان والحيوان والنبات التغير المستمر والتطور المطرد ، فصحتك اليوم أحسن مما كانت عليه أمس أو أكثر ذبولا . لان الصحة والحياة فى تحول دائم . وهذا النبات أكثر ازدهارا مما كان أمس أو أكثر ذبولا ، والازدهار والذبول فى تحرك مستمر . التغير واقع لا محالة وقد يكون محسوسا ملموسا أو غير محسوس أو ملموس ولا تدركه الابصار . وأما بقاء الحال اليوم كما كان بالأمس أو فى الأسبوع الماضى . فذلك محال .

ولذلك قالوا ((دوام الحال من المحال)) لان التغير والتحول والتطور من قوانين الحياة وطبيعتها الاصلية .

وينطبق هذا تماما على حالتنا الحاضرة فهي سيئة وتزداد سوءا وحادة وتزداد حدة ، ومعقدة وتزداد تعقيدا ، حتى أصبحت أشعر أننا نعيش على خافة بركان ومن فوق رأسى سحب كقطع الليل ، وتحت أقدامى هزات زلازل خفيف . . وبعد قليل يبدأ انفجار البركان وثوراته .

وأهم ما أراه فى عناصر الحالة الحاضرة ما يأتى :

١ - روح الكراهية والخصومة والجفاء والقطيعة قد بلغت أقصى مداها فى نفس الزعيم ونفوس الأعضاء .

٢ - لم يجتمع الوفد مرة واحدة فى جلسة علنية أو سرية منذ أكثر من شهر .

٣ - انقسام الوفد أصبح على ما يظهر نهائيا وحاسما ولا رجعة فيه الا اذا حدث ما ليس فى الحسبان ، كان ينزل أحد الفريقين عن رأيه ، أو يعدل عن موقفه . . ولكن هيهات . .

٤ - انقسام الامة ازداد ظهورا وبروزا بسبب المعركة الجدلية الحامية الوطيس بين جريدة الاخبار السعدية وجريدة الافكار العدلية .

٥ - نشرت الجرائد الانجليزية اليوم انباء وردت اليها من مراسليها فى القاهرة بأن عددا غير قليل من الأعيان وأعضاء الجمعية التشريعية والمحامين قد خرجوا على الوفد وأعلنوا سخطهم على استمرار الازمتين الوطنية والسياسية فى مصر ، وعلى انقسام الوفد وركود نشاطه وعجزه عن العمل المفيد ، كما أعلنوا رغبتهم فى المفاوضات الرسمية لالنتهاء من القضية المصرية .

٦ - الخطابات المتبادلة بين سعد وملنر ومستربلنت وعدم اطلاع الاعضاء عليها الا بواسطة على ماهر لا عن طريق عقد جلسة للوفد .

كل ذلك أوغر صدور الاعضاء وزادهم غيظا وشعورا بأن الرئيس يستخف بهم .

٧ - سافر الدكتور حامد محمود الى لندن ثلاث مرات على حساب الوفد والقيام بنشاط سياسى فى إنجلترا بغير علم أعضاء الوفد

٨ - طلب الرئيس ألف جنيه من أمين الصندوق للصرف منها على « بعض شئون الوفد » فلم ينفذ هذا الطلب .

٩ - طالب الرئيس من البنك أن يطلعه على حساب المنصرف من أموال الوفد شهراً شهراً في الستة الأشهر الأخيرة ، عمل فيه اشعار بعدم ثقة الرئيس بأمين الصندوق .

١٠ - تصميم أغلبية أعضاء الوفد على العودة فوراً الى مصر وشعورهم بأن بقاءهم في باريس عبث في عبث وشر من العبث .

وبعد العشاء أمس نزلت الى « كافييه فوكيه » فوجدت هناك محمد علي علوبة والمكبائي وحمد الباسل ، وبعد قليل قال لي المكبائي في سخرية لاذعة : « ألا تفكر في العودة معنا الى مصر لاسيما انه قد اتضح الآن أن سعد باشا والدكتور حامد محمود فيهما الكفاية لتمثيل مصر والجهد في سبيل الاستقلال » .

فضحكنا جميعاً ، ولكنه ضحك كالبكاء .

ثم حاول المكبائي أن يجرنى الى الكلام في السياسة فقلت له :

يا سيدي . . ألا تريد أن تنعم بجلسة هادئة ، وأن تريح أعصابنا ونحن على أبواب السنة الجديدة ، وما جدوى الكلام في السياسة والخلافات وهي حلقة مفرغة ممدوخة ، ألا تريد أن نستريح ونشعر أن في الدنيا جمالاً وفيها ما هو خير من السياسة والمناقشات

ومن عجب أن كلماتي هذه كان لها وقع السحر في نفوسهم فوافقوا عليها بالإجماع وأخذ كل منهم يتحدث عن بعض تجاربه ومتعه في الحياة وكان حديثاً خفيفاً لطيفاً ممتعاً .

وعند الانصراف قال لي صاحبي محمد علي علوبة : ((بعد يوم أو يومين سيتسلم سعد باشا خطاباً منا . وقد وجهنا اليه تهمة معينة محددة وسيجد صعوبة في الدفاع عن نفسه)) . فقلت : كان الله في هوننا جميعاً ، وياليتك لما أخبرتنى حتى أعود الى فراشي قرير العين بهذه الجلسة اللطيفة .

فقال : ((كن قرير العين دائماً وأنتك الفيلسوف والحياة كفاح))

وافترقنا وانصرفنا بسلام ، وفي الحق أني لم أشعر بحزن أو قلق ولكنني شعرت ببعض الانقباض ، والعاقل من يقبل الدنيا كما هي لا أن ينقل لما يجب أن يكون ، وأنت مدرك قانون الطبيعة الذي يقضي بالتقدم أو التأخر . التقدم من حسن الى أحسن أو التأخر من سيئ الى أسوأ . أما الثبات على حال فلا تعرفه الطبيعة ، فلا معنى للاسي والاسف لانعدام الثبات ، واستمرار التغير والتطور هذا هو الحق .

الفصل الثالث

خطاب خطير الى سعد :

١٣ من يناير سنة ١٩٢١

قبيل ظهر اليوم تسلم الرئيس خطابا شديدا اللهجة واضح
الخفاء امضاه مرسله وهم : عبد العزيز فهمي واحمد لطفى السيد
ومحمد محمود ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتي وحمد
الباسل .

وقد نسبوا فيه الى الرئيس امورا ابرزها غير الخطاب الذي
ارسله الى ملتر ما يأتى :

الاول : انه استمر فى المده الاخيرة السير على « سياسة انفرادية »
وانه ممتنع عن استشارتهم فى أية مسألة ، وانه فى حالة اضراب
تام عن التعاون معهم وعن المجيء الى مقر الوفد أو عقد أية جلسة
لوفد منذ أكثر من شهر .

الثانى : انه ارسل الدكتور حامد محمود الى انجلترا ليقابل
مستر بلنت ويقوم بنشاط سياسى لا طاقة له عليه . وقد تم
ذلك بغير موافقتهم بل حتى بغير علمهم أو استشارة أحد منهم ،
وكان الواجب ان يرسل أحد أعضاء الوفد لانه مسئول عن أعماله
امام زملائه وامام الامة .

الثالث : ان الرئيس يتحمل وحده تبعة انقسام الامة على
نفسها هذه الايام وذلك بتشجيعه بعض العناصر التى تعمل فى
الخفاء وبمحاولاته المستمرة فى اظهار الوفد كانه منقسم على
نفسه وليس الوفد منقسما بسبب مبدأ من المبادئ بل الاجماع
منعقد بين الامضاء على ضرورة قبول التحفظات كشرط أساسى
لدخول الوفد فى المفاوضات الرسمية ، فاذا لم تقبل رفض الوفد

الدخول فيها أو حتى الاشتراك فيها ، هذا مبدأ مقرر ، وكانت ذلك كفيلا بالمحافظة على وحدة الوفد وعلى اتحاد الأمة ، ولكن الرئيس لا يطبق المعارضة لرأيه ، وهذا لا يتفق مع المبادئ الديمقراطية .

الرابع : ليس لرئيس الوفد وحده أن يرسم سياسة الوفد ويحددها وينفذها بنفسه ، وإنما يجب أن يكون ذلك كله بالمشاورة بينه وبين الأعضاء ، وأن تتخذ القرارات بالأغلبية المطلقة . ذلك هو قانون الوفد والعمل طبق لأئحته الداخلية . ولكن الرئيس جرى في المدة الأخيرة على سياسة انفرادية ، فخالف بذلك مبدأ الشورى .

الخامس : أن الحالة أصبحت لا تطاق وإذا كان الرئيس لا يحدد موعد جلسة قريبة لانعقاد الوفد لكي يتبادل الرأي في الظروف الحاضرة التي تكتنف البلاد ، ولكي يتشاور الجميع فيما يجب عمله لتفادي انقسام الأمة وبلبله أفكارها وتدهور الموقف السياسي وسير الأمور العامة من سيئ إلى أسوأ . فان أغلبية أعضاء الوفد ستري نفسها مضطرة إلى العودة إلى مصر . .

وبهذا ينتهي الوفد كهيئة شعبية عاملة ممثلة للبلاد . هذا الخطاب يحمل في معناه ومبناه ومرماه كل معالم الانذار ومظاهره وتهديداته ، فكيف يكون وقعه وأثره ؟ ذلك ما سأعلمه مساء هذا اليوم نفسه . .

كان عند الرئيس وقت وصول الخطاب على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا فتلاه عليهم الرئيس ، وكانت مظاهر التأثر والفضب بادية عليه ، واستمر اجتماعهم ساعة كاملة ثم انصرفوا للفداء ولبعض الشؤون على أن يجتمعوا مرة ثانية في الساعة الخامسة مساء .

ودعاني بعد انصرافهم فوجدته في أشد حالات الفضب والانفعال ، فدفع إلى بالخطاب لأطلع عليه ، فقرأته ووعيت معانيه .

مشروع رد أعه الرئيس وعدل عنه !

وبدأ الرئيس يملئ على مشروع الرد الذي يريده وهو لا يخرج عن النقاط الآتية :

١ - أنه مستعد أن يتحمل مسئولية ما فعل وما يفعل في الحاضر والمستقبل .

٢ - أن خطابه الى ملنر لم يكن في حاجة الى الاستشارة في أمره لانه لم يكن في الحقيقة وواقع الامر الا تنفيذا لقرارات سابقة للوفد .

٣ - انه لم يطلب عقد جلسة للوفد ولم يذهب الى مقر الوفد لعدم الحاجة الى ذلك ولان الوفد سبق أن قرر السياسة التي يجرى عليها الان .

٤ - وانه لولا أن ضحى بالكثير مما يعتز به ووطد العزم على تحمل أكثر من ذلك لتأثر بالجفاء البادى في عبارة الخطاب والاسلوب غير العادى من فاتحته الى خاتمته .

٥ - واذا كانوا يريدون اجتماعا فليكن ذلك غدا في الساعة العاشرة صباحا .

هذه خلاصة وافية لمشروع الرد .

ولكن الرئيس ما كاد يفرغ من املائي آخر كلمة فيه حتى عاوده الغضب والهياج وقال : ((هات ما كتبت .. ثم مرقه .. واستطرد قائلا : انا لا اكتب ردا اليهم ، أن هذه اللهجة منهم لا اقبلها بحال من الاحوال فلست موظفا عندهم ولا مسئولوا امامهم ولا اريد على من يتهجم على)) ثم طلب الى الانصراف للغداء والعودة بعد الظهر كالمعتاد ، فانصرفت .. ولم انبس ببنت شفة ، وأدركت مبلغ الاسى والغيف والغضب والكمد الذى يعصف بنفسه العصبية وبعد هذا الانذار من أغلبية أعضاء الوفد .

كل هذا كان منتظرا .. توقعته وانتظرتة .. فلما وقع لم أدهش له كثيرا .

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا

فلما دهتنى لم تزدنى بها علما .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وكان الرئيس فى مكتبه ينتظر مقدمهم .

وكان مكبا على الكتابة بخط يده كأنما كان يعد مشروع رد آخر . والرئيس لا يكتب بيده كثيرا الا اذا أراد أن يحدد بعض النقاط التى يريد أن يتناولها فى الحديث أو يريد أملاء موضوعها على فيما بعد .

واستمرت هذه الجلسة الرباعية ثلاث ساعات متتاليات علمت في ختامها أن الرئيس وافق على عقد جلسة للوفد في الساعة العاشرة في صبيحة ٥ يناير في مقر الوفد (أي بعد غد) .

ونخرج على ماهر مسرعا ليبلغ أعضاء الاغلبية نبا موعد الجلسة وانفراج الازمة ولكن .. هل انفرجت الازمة ؟ .. لا اظن . . .

اشتدى أزمة تنفرجى !

٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

((اشتدى أزمة تنفرجى)) كذا يقول العرب .

وقد بلغت الازمة اقصى شدتها بانذار الاغلبية ، فبدات بوادر الانفراج وكان لابد من قارعة تهل النفوس الى أعماقها فكان الانذار هو القارعة ، ووجد سعد نفسه أمام تهديد ((بانتهاء الوفد كهيئة عاملة ممثلة للبلاد)) انها لمصيبة ، انها لنكبة ، انها لمسئولية خطيرة غاية الخطورة !! من ذا الذى يجرؤ على تحملها والتعرض لنتائجها وعاقبتها ؟ لقد جفل منها الرئيس سعد فيما اعتقد واضطرب لها أشد الاضطراب وأشعر أنه كان حكيما عندما قرر دعوة الوفد الى الاجتماع في شكل جلسة كسابق العهد . وان تكون الجلسة بعد مرور يوم كامل من ورود الانذار . لا في اليوم التالى مباشرة للانذار وذلك حتى تهدأ النفوس قليلا ويتاح لها بعض الوقت للتفكير فيما ينبغى أن يقال وما لا ينبغى أن يقال ، عسى أن يدخل على الازمة الحالية الحادة بعض التخفيف والتحسين ، فنتنقل من سيىء الى حسن ، بدل أن تنتقل من سيىء الى أسوأ .

ولهذا أرى وأشعر أن هذا الانذار قد أدى أهم أغراضه وهو قرب اجتماع الوفد في شكل جلسة قد تعقبها جلسات بعد القطيعة والجفاء والخصومة الشديدة المرارة والاضراب الكامل .

وفي الساعة العاشرة صباحا حضر واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا واجتمعوا بالرئيس وتناقشوا وتداولوا في موضوع خطاب الاغلبية وكيف ينبغى أن يكون الرد عليه .

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر انصرفوا جميعا وانصرفوا للغداء .

وحضرت مبكراً بعد الظهر عسى أن يكون الرئيس في حاجة الى . وكانت الساعة الثالثة والنصف ، وقد بكر الرئيس كذلك فخرج من حجرة نومه الى حجرة مكتبه في الساعة الرابعة تماماً . وبعد قليل دعاني لتناول الشاي معاً كعادته . . فدخلت وفي يدي كتاب تعمّدت أن يلاحظه معي فوضعتُه أولاً على المائدة بجوار فنجان الشاي ثم نقلته الى جانبي كاني أدركت خطئي ، فقال الرئيس : ((ما هذا الكتاب)) ؟ (وهذا ما تمنيت على الله أن يسألني عنه) فقلت : ((هذا كتاب علم النفس فرغت من قراءته منذ نصف ساعة وهو يتناول التفكير السليم وشروطه ، والتفكير الفاسد ومظاهره)) .

الرئيس : (هل وجدته مفيداً وجديداً ومرشداً ومنيراً للطريق ؟)

فقلت : ((أجل انه بديع وقد عزمت على ترجمته الى اللغة العربية)) .

الرئيس : اذن لخص لي ما علق في ذهنك من شروط التفكير السليم ومن مظاهر التفكير الفاسد .

هنا شعرت بالارتباك قليلاً لان من السهل جداً أن يلخص الانسان الحوادث والاخبار ، ولكن من العسير جداً أن يلخص الانسان الافكار ثم يجب على الاطيل واسهب ، فان وقت الزعيم وصبره لا يحتملان سماع محاضرة في هذا الموضوع . فسكت وأطرقت وفكرت لاستخرج من ذاكرتي ما رسب فيها ، وتركت أمامي فنجان الشاي مليئاً لا المسه ولا اقربه ولا أنظر اليه . فقال الرئيس : ((اشرب أولاً حتى لا يبرد)) . فشكرته وشربته وأنا لا أدري ان كان شاياً أو حساء أو ماء ساخناً لقد كنت ذاهلاً . ثم قلت

للتفكير السليم شروط أربعة أو خمسة :

الاول : هدوء العقل والعواطف : فلا تحمس ولا تسرع ولا رتباك ولا حرج في أثناء فترة التفكير ، أي لا يكون العقل متحمساً رغبة شديدة ملحة ولا تكون العواطف هائجة أو جارفة أو حارقة .

الثاني : الاهتمام بدروس حقائق الموقف والعقبات الموجودة في الطريق

الثالث : الاهتمام برسم الخطط العملية للتغلب على العقبات أو يرى فيها الخير كل الخير .

الرابع : تقدير العواقب والنتائج مقدما حتى لا يفاجأ الانسان بنتيجة لم تكن في الحسبان .

الخامس : الاقدام بشجاعة على تنفيذ ما استقر عليه الرأي والمثابرة في العمل للحصول على أحسن نتيجة ممكنة .

فقال الرئيس : « الشرط الاول غير معقول كيف لا يكون التفكير سليما اذا كان الانسان متحمسا لفكرة غريبة أو مفيدة أو يرى فيها الخير كل الخير . »

فقلت : المؤلف يقول ان المتحمس لرغبة شديدة أو المحموم بعاطفة جارفة ثائرة ينصرف حتما الى خدمة هذه الرغبة وهذه العاطفة ، ويسعى حثيثا لتحقيق أهدافه منهما ولا يبالي حينذاك بالامر الواقع ولا بالعقبات ولا بالعواقب والنتائج ، والتفكير السليم يستلزم التوفيق بين الرغبة والعاطفة من جهة وهذا الامر الواقع من جهة أخرى ، وهذا عسير أو مستحيل لان الحالة النفسية المنفعلة المضطربة لا تقبل المساومة مهما تبلغ استحالة تنفيذ الرغبة وتحقيق العاطفة .

فقال الرئيس : « لا .. يفتح الله . هذا كلام غير معقول ، في الحياة أمور لا تقبل المساومة » .

فقلت : « يظهر يا سيدى أنى أسأت التعبير أو أسأت التلخيص » .

الرئيس : كلا . أنت أحسنت التعبير وأحسننت التلخيص ، ولكن الفكرة لا تعجبني في عمومها ، والآن حدثنى عن مفسدات التفكير كما قرأتها ..

فقلت : التفكير السليم هو تفكير العقل الهادئ والعواطف الهادئة والهدوء شرط أساسى ، أما التفكير العقيم فهو تفكير الهوى - كما سماه المؤلف - ومظاهره التى تدل عليه كثيرة أخص بالذكر منها ما يأتى :

١ - أن يقرن التفكير باضطراب النفس نتيجة عاطفة جامحة جارفة ثائرة .

٢ - الاهتمام المطلق بأرضاء العاطفة المستبدة مهما تكن النتيجة المنتظرة .

٣ - عدم الاكتراث بالعقبات ولا بحقائق الواقع ولا يقيم لها الانسان أى وزن فى حسابه .

٤ - عدم الاهتمام بالعواقب اكتفاء بما يسمى (ارضاء الضمير) ، وما هو فى الحقيقة الا ارضاء الرغبة الشديدة الملحة أو العاطفة الجامحة الجارفة والنزول على حكمها دون غيرها .

٥ - مقابلة الفشل عند ظهور النتيجة بالشكائم والسباب والانفعال .

٦ - اعتبار العقبات والفشل من مكائد ومؤامرات الأعداء والخصوم والكائدين .

٧ - استمرار الشكوى والانفعالات والشكائم بدل القيام بعمل حاسم .

هذا هو تفكير الهوى وهو تفكير فاسد ، وهذه مظاهره التى تفضح وتدل عليه ..

فقال الرئيس : « بعض هذه المظاهر مقبول ومعقول ، وبعضها مرفوض ومنقوض ، وبعضها عرضة للمناقشة وفيه قولان » .

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنا وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر ، فحمدت الله على وصولهما وشعرت أنى خرجت من امتحان عسير .. ثم وصل على ماهر فعقدت جلسة من الاربعاء لاستئناف مباحثات الصباح ، واستمرت حتى حوالى التاسعة ليلا .

الجلسة الاولى للوفد بعد خطاب الاغلبية

٥ من يناير ١٩٢١ :

صحوت مبكرا هذا الصباح فى الساعة الخامسة بدل السابعة كالعادة ، وظللت أفكر فيما فعلت أمس هل أنا أحسنت أم أسأت بحديثي أمس مع الرئيس ؟

وفى الساعة الثامنة والنصف كنت فى مكتبى فى مسكن



سعد زغلول مع أعضاء الوفد في باريس

سعد زغلول وعلى يساره محمد علي علوبة وحمد الباسل وسينوت حنا . .
والواقفون : مصطفى النحاس وحافظ عفيفي ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتي
واحمد اطفى السيد وجورج خياط . . وفي الصورة من أعلى : واصف غالى
وويصا واصف .

الرئيس وأنا أشد ما أكون شوقا الى رؤية الزعيم . وأشد
ما أكون رهبة منه ، رهبة في شعوره نحوى بعد حديثي معه
أمس ، ثم شوقا لمعرفة حالته الصحية والنفسية قبل أن ينتقل
الى مقر الوفد ليرأس أول جلسة للوفد بعد خطاب الاغلبية
وانذارها الخطير .

وفي الساعة التاسعة ظهر الرئيس رآنى ونادانى : وقال لى
بعد أن سألته عن صحته وكيف نام الليلة الماضية :
« لقد نمت جيدا . . نمت ثلاث ساعات متتاليات ، وأنا اليوم
في صحة طيبة » . ثم استطرد فقال : « هل تعرف أن جملة
واحدة من كلامك أمس أثرت في نفسى تأثيرا طيبا وهي :
« ان التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف الهادئة »

ولذلك أنا اليوم هادئ العقل والعواطف معا وسأستمر كذلك
وسننظر ماذا يكون « فابتهجت وانتعشت ، وقلت : « أذن أنت
منتصر عليهم جميعا لا محالة ولو كان بعضهم لبعض نصيرا
وظهيرا » .

فقال الرئيس : « لقد رتبت في ذهني ما أقوله وما لا أقوله ،
وأنا منتصر بأذن الله لأنني على حق ، ولأن الله قد عودني على أن
ينصرني على الدوام » .

فقلت : « الحمد لله . هل تحب يا سيدي أن أنتظر
هنا حتى انتقل معك الى مقر الوفد ، أم أذهب الآن لأرى
أعضاء الوفد وأرى حالتهم النفسية قبل الجلسة حتى أسجلها
في مذكراتي ؟

فقال : « يمكنك أن تذهب الآن الى مقر الوفد فان علي ماهر
قادم لرافقتي » .

فقلت : « حفظك الله ورعاك » ، وخرجت .

وقبيل الساعة العاشرة بعشرين دقيقة كنت في مكتبي في
مقر الوفد ، وبعد دقائق بدأ الأعضاء يفدون ويتسلسلون ، حضر
على التوالي :

حمد الباسل ومحمد علي علوبة والمكباني ولطفی السيد وعبد
العزیز فهمی ثم محمد محمود ، وكانوا جميعا متهللين باسمين
الا لطفی السيد وعبد العزیز فهمی فكانا واجمين . وفي الساعة
العاشرة الا دقيقتين حضر الرئيس سعد ومعه علي ماهر وواصف
غالي وسينوت حنا . وبدأ السلام باليد والسؤال عن الصحة في
هدوء ووقار ، وكانوا جميعا آية في اللطف والمجاملة وفي حسن
المعاملة .

ثم بدت الجلسة التاريخية المنشودة ، بدأت في جو رهيب
مرهوب ، فيه ثوب وتحفز .

من ذا الذي يستطيع أن يبدأ بالاساءة او الاستفزاز في جو
كهذا الجو ؟

وما جدوى الاساءة والاستفزاز على كل حال ، ولا سيما
في هذه الحال ؟

لقد شعر الجميع بأن ما وقع من اساءات واستفزازات حتى الآن كثير جدا وفوق ما يحتمل فلا مزيد بعد ذلك لمزيد ، هكذا كان الشعور العام .

فليس بعجيب بعد ذلك أن تبدأ الجلسة وتستمر وتنتهى فى غير اساءة أو محاولة اساءة ، وفى غير استفزاز أو محاولة استفزاز . فكانت جلسة مثالية من أولها الى آخرها . . قرابة ثلاث ساعات ولم يعقد الوفد جلسة مثلها فى سابق الزمان ولا فى أى مكان . .

أما خلاصة ما حدث وجرى فى هذه الجلسة فهو ما يعينى الآن بيانه وتسجيله فى شيء من التفصيل الذى يكشف المعالم وطبيعة الحوار وأطراف الصراع :

قال الرئيس سعد :

((اننا مجتمعون اليوم بناء على خطاب ورد الى بامضاء ستة من حضرات الاعضاء رغبوا فى عقد هذه الجلسة . وكان من الممكن عقد هذه الجلسة أو أى جلسة فى أى وقت اذا رغب فى ذلك أى عضو فى الوفد، ولكن شاء حضرات الاعضاء الستة أن يتقدموا بذلك مجتمعين ومتضامنين متضافرين ، وخطابهم يمكن تقسيمه الى قسمين :

القسم الاول : اسلوبه ولغته وفيهما شيء غير قابل من العنف أو عدم المجاملة ، ولكنى أتجاوز عن ذلك لأن الكلام والعتاب لا يجديان فى مثل هذه الظروف والايام ، ومادامت لغة الانسان واسلوبه هما مرآة لحالته النفسية فهم اذن معذورون ، ولا تكلم فيما هو أجدى وأنفع .

القسم الثانى : موضوع الخطاب نفسه وهو عبارة عن خمس تهم تفضلوا بتوجيهها الى شخصى . وهذا ما لا أتجاوز عنه بحال من الاحوال وما أريد مناقشته فى الحال .

التهمة الاولى : هى أنى أسير على سياسة انفرادية فى المدة الاخيرة . فما هى هذه السياسة الانفرادية التى تشيرون اليها وتشكون منها ؟ أنى أرجو أن يتولى أحدكم الاجابة والتبيان . .

عبد العزيز فهمى :

لعل حضرة الرئيس يذكر أن آخر جلسة عقدها الوفد كانت فى ٢٣ نوفمبر من العام الماضى ونحن الآن فى ٥ يناير فى العمام

الحالى اى أننا لم نجتمع فى جلسة للوفد حوالى الشهر والنصف . . وكان الاعضاء خلال هذه المدة الطويلة يسرون فى الشوارع او يطالعون الكتب والجرائد او يتسكعون فى المقاهى صاطلين مضيعين لا عمل لهم ولا صنعة ، وكثيرا ما كنا نتساءل لماذا نحن هنا الآن فى باريس بلا عمل ولا أمل ؟ ولماذا نستمر نعيش فى ملل وفى ألم ؟ هذا وكان الرئيس من ناحيته يعيش فى واد آخر قد وضع لنفسه سياسة جديدة ونفذها : وهى اهماله للوفد وأعضائه واضرابه عن عقد الجلسات وامتناعه عن زيارة مقبر الوفد . ثم انفراده بالعمل المستقل عنا . يكتب الى ملر وmlر يكتب اليه ويتراسل مع مستر بلنت . ثم يرسل الدكتور حامد محمود طبيبه الخاص لمقابلة مستر بلنت والقيام بنشاط سياسى فى انجلترا لا نعرف نيته ومعناه ولا نعرف كنهه ولا نعرف مداه ، فهل هذه الحالة يمكن الاستمرار عليها ؟ وهل هذا يليق بنا ؟ اليس فيه المساس بكرامتنا ومصلة البلاد أن ينحى المسئولون عن العمل ويكلف بالعمل غير المسئولين . . كالدكتور حامد محمود ؟

لهذا قلنا فى خطابنا أن هذه حالة لا تطاق وأن الرئيس اذا لم يحدد جلسة لاجتماع الوفد فاننا عائدون لا محالة الى مصر ، ولينته الوفد شكلا كما انتهى فعلا .

الرئيس سعد :

ان حضرة الاستاذ لم يقتصر على الكلام فى التهمة الاولى بل تناول كل التهم دفعة واحدة واعاد على مسعنا نص ما ورد فى الخطاب المرسل الى ، وكأنه كان يقرأ علينا مرة ثانية ، ومع ذلك فقد فهمت الان قصده من عبارة (السياسة الانفرادية) ، ويخيل الى أن هناك امورا مازالت خافية عليه او لعله لم يعرفها شيئا من عنايته وتقديره .

فى طبيعة هذه الامور التى هى فى حكم الحقائق الثابتة : طبيعة موقفنا هذه الايام من لجنة ملر ومن التقرير الذى تزمع تقديمه قريبا جدا الى الحكومة الانجليزية ، فنحن بحكم الظروف القاهرة مضطرون الى الانتظار ، والوفد لا يرى مناصا ولا فكاكا من هذا الانتظار حتى يصدر هذا التقرير ونطلع على ما فيه ونعرف مراميه ، هذه هى الحقيقة المرة التى لا يجوز نسيانها

أو التهوين من شأنها ، ولا بد من النزول على حكمها طائعين
أو كارهين .

انظروا ماذا يحدث لو أن الوفد أهملها وأغفلها ولم يهتم لها
وزنا ولم يعتبر لها وجودا ؟

لو أن الوفد أظهر نشاطا في محاربة الانجليز بكل ما لديه
من وسائل الدعاية ، لقلل لنا أننا أضعنا بذلك ما كسبناه في
المفاوضات وأفسدنا ما أصلحناه وأن النتائج كانت أصلح وأحسن
وأفيد لمصر أولا أن الوفد قد تسرع في اظهار العداء وإعلانه ،
والتشجيع على تصرفات الانجليز في مصر .

أو لو أن الوفد عمل العكس وأظهر نشاطا في خالق جو ودى
في مصر لمصلحة التفاهم المشترك بين مصر وانجلترا ، والتمهيد
للمفاوضات الرسمية قبل صدور التقرير ثم صدر التقرير بعد
ذلك وفيه من الاساءات لمصر ، ومن القيود والاغلال التي تتعارض
مع الاستقلال ، لقلل لنا أننا تسرعنا في التفاؤل بغير حق أو مسوغ
وهدمنا روح الكفاح في الشعب بسبب الحماقة وقصر النظر
والتهور في حسن النية إزاء الانجليز تهورا يصل الى حدود
السذاجة والبلاهة .

فنحن على الحالين عرضة لاهلانة ، فليس أمامنا والجمالة
هذه الا طريق واحد نسلكه ولا ثاني له وهو التريث والانتظار
حتى يصدر ذلك التقرير وينكشف المستور ويظهر النور ، وإذا
كان أعضاء الوفد في هذه الفترة يسبرون في الشوارع ويتسكعون
في المقاهي كما يقول الاستاذ عبد العزيز فهمى بك ، فانا كذلك
أسير في الشقة التي أسكنها وأتسكع بين المقاعد والكتب والجرائد
.. (وهنا ضحك الأعضاء جميعا وسرت في الجلسة روح خفيفة
منعشة صفا بها جو الجلسة بعد كدر واسترخت بها الأعصاب
بعد توتر) .

سكت الزعيم سعد قليلا كمن يسترجع أنفاسه أو يستجمع
أفكاره ثم قال : إذا كانت فترة التريث والانتظار هذه قد
جاوزت الشهر فما في ذلك حيلة لي أو لكم، وما دمنا قد احتملنا
الكثير فلا بد من أن نحتمل القليل الباقي منها .

وفترة التريث والانتظار من طبيعتها الركود والجمود
وقد جاءت في فصل الشتاء والشتاء فاضيف الى طبيعتها

الانكماش والرفود : ركود العمل ورقوده ، لهذا لم أر داعيا لعقد جلسة للوفد ، أذن ليس أمامنا عمل ولا موضوع للبحث أو المناقشة فيه . ولم يرجع عدم عقد جلسة الى سياسة انفرادية وضعتها لنفسى كما تقولون ، فاذا كان أحد حضراتكم قد رأى داعيا لعقد جلسة ، فلماذا لم يقترح على ذلك حتى اذا رفضت اقتراحه كنت أذن الملموم أما الآن فلا لوم ولا عتاب .

ومع ذلك فقد زعم بعضكم انى انتهزت هذه الفرصة فجريت على سياسة انفرادية وأهملت شأنكم واستشهدوا على ذلك بالادلة الآتية :

ان مستر بلنت ارسل الى خطابا وطلب أن ارسل اليه رسولا .

ارسلت اليه الدكتور حامد محمود ولم ارسل عضوا مسئولا من أعضاء الوفد .

والآن فلننظر في هذه الادلة ثم ننظر اليها في مجموعها . .

أما خطابى الى ملتر فكان خطاب مجاملة وتهنئة بعيد الميلاد حتى يشعر أن جو الود وحسن التفاهم الذى يرجو أن يخالقه في مصر موجود على الأقل في نفوسنا . فيعدل عن بعض عنته وينزل عن بعض تشبثه في معارضة الامة وتحفظاتها ، ثم انى انتهزت تلك الفرصة فلفت نظره الى مئات البرقيات الواردة الى واليه في مصر احتجاجا على بقاء الحماية وذكرها الاليمة ، وجاء رد ملتر الى وارسائه اليكم مع الاستاذ على ماهر لتطلعوا عليه .

هل لاحد منكم اعتراض على كلمة واحدة جاءت في رد ملتر بسبب مكاتبتى اليه ؟

انى ارى على العكس ان رد ملتر لم يأت بجديد سوى ما اظهره من روح المسالة وفتح باب الامل .

أما مستر بلنت فهو صديق قديم لى أعرفه وأعرف فضله واخلاصه من زمان طويل ، ارسل الى خطابا رقيقا فاطلعتكم عليه بواسطة الاستاذ على ماهر فلم اخف عنكم شيئا ، ثم ارسلت اليه الدكتور حامد وهو يجيد الانجليزية ولم ارسل اليه عضوا مسئولا في الوفد لان سفر أى عضو في الوفد الى انجلترا أمر

يلفت الانظار وتنتقل به الاخبار الى مصر وتحوم حوله الظنون والاهام .

وماذا عسى أن يفعله الرسول أكثر من أن يحمل الى خطابا خاصا من ملئ ويسمع حديثا ثم ينقله الى ؟ وساطلكم بطبيعة الحال على كل ذلك عندما يعود الرسول .

((هذه هي أدلتكم على (سياستى الانفرادية) وما هي الا مجموعة من التصرفات التى تعتبر تنفيذا للسياسة العامة للوفد

ثم ماذا بعد كل هذا ؟

تقولون أن مظاهر هذه السياسة الانفرادية انى ممتنع عن استشارتكم فى أية مسألة ، وأنا لم أجد مسألة واحدة تستحق أن استشيركم فيها طوال هذه المدة ، وقلتم انى فى حالة اضراب عن الذهاب الى مقر الوفد طوال هذه الفترة .

فهل الذهاب ، مجرد الذهاب ، غاية يجب أن احرص على رعايتها ؟ هل نسيتم انى أعيش فى سجن من الشيخوخة والامراض ولا أقوى على برد الشتاء هنا فى باريس ، وأية ذلك انى لم أخرج من مسكنى مرة واحدة طوال هذه المدة ، انكم بتأويلكم أسوأ تأويل كل حركاتى وسكناتى وكل لفتياتى وتصرفاتى ، لتثبتون أن الثقة والتعاطف وحسن النية قد ضعفت كلها وهزلت الى درجة تستحق الرثاء ، اليس كذلك)) .

محمد على علوبة :

انك يا سيدى الرئيس أرسلت الى البنك تسأله من وراء ظهري أن يطلعك على حساب المنصرف من أموال الوفد شهرا بشهر خلال الشهور الستة الاخيرة ، ولم تتفضل بسؤالى أنا ، فما معنى ذلك ؟ وما الدامى اليه ؟ اليس فى ذلك معنى عدم الثقة بى كأمين للصندوق ؟

سعد :

انكم تهددونى بالعودة الى مصر ، وأنا مصمم على استمرار الجهاد هنا فأردت أن أعرف متوسط ما يتكلفه الوفد شهريا من المصروفات حتى أرتب شئون الإقامة وظروف العمل ومصاريف الجهاد .

محمد على علوبة :

ولماذا لم تطلبني لمقابلتك أو تسألني لأعطيك فكرة عن ذلك كله ؟

سعد :

لقد طلبت منك ألف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت

محمد على علوبة :

أنا لم أرفض بل طلبت معرفة (شئون الوفد هذه) حتى أعرضها على اخواني أعضاء الوفد ، ونتخذ قرارا بذلك في الوفد . . فرفضت أنت طلبى وامتنعت عن تنويرى وعدلت عن طلب الالف جنيه ، فلماذا ؟

الرئيس :

لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية للمستمر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والاقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى إنجلترا ، واعتبرت طلبك تشككا فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وانك لتعلم - أو يجب أن تعلم - أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة من الجماعات يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال للتصرف فيه لخير الجماعة وصالح العمل ، ومكافأة كل من يؤدي خدمة جليلة للغاية المشتركة . وما أردت أن أناقش أو أعاتب ، لان المناقشة والعتاب لا يكونان الا عند توافر الثقة بين الطرفين وعند الرغبة المشتركة فى استمرار العمل والتعاون .

ثم استنرد الرئيس فقال : والآن بقيت تهمة وحيدة خطيرة جدا ، وهى اتهامى بأن تبعة انقسام الامة تقع على كاهلى وحدى . . وهنا قاطعه الاستاذ على ماهر وقال :

((يا سيدى الرئيس : لقد تكلمت طويلا والقيت النور على كثير من النواحي والمسائل ، وأنا واثق أن الجو قد تحسن كثيرا بعد بياناتك وتفسيراتك)) .

فهل لى أن أرجو تأجيل الجلسة الى موعد آخر لا سيما أن الساعة قد قاربت على الواحدة بعد الظهر ؟

فسكت الرئيس ، ووافق الاعضاء جميعا على اقتراح التأجيل
ماعدا عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فقد سكتا .

حمد الباسل :

ما الموعد الذى يناسب سيادة الرئيس للجلسة القادمة ؟

الرئيس :

كما تشاءون ، وكل موعد يناسبنى ، وليكن غدا اذا شئتم .

على ماهر :

اننا نريد أن نعالج مشكلة انقسام الامة وهذا موضوع دقيق
وشائك وخطر ومعقد ويحتاج الى التفكير الطويل ، فهل لي ان اقترح
ان يكون التأجيل لمدة اسبوع ، بل اقترح ان نجتمع مرة كل اسبوع
لتبادل الآراء الى ان يصدر تقرير ملئ ؟

فسكت الرئيس وسكت عبد العزيز فهمى ولطفى السيد .

وتكلم الآخرون بما لا يخرج عن الموافقة على الاقتراح

فتقرر ان تكون الجلسة القادمة يوم ١٢ من يناير سنة ١٩٢١ فى
الساعة العاشرة والنصف صباحا فى مقر الوفد .

انتقال الاعضاء الى مسكن الرئيس لتحيته

٦ من يناير سنة ١٩٢١

صحوت اليوم فوجدت الصباح جميلا رائعا والشمس ساطعة
ولست أدري لماذا جعل العرب الشمس مؤنثة ، والقمر مذكرا ،
بينما الانجليز والفرنسيون والغربيون جميعا جعلوا الشمس مذكرا
والقمر مؤنثا ، ما هى قاعدة التذكير والتأنيث ، وما علاقتهما فى
حالة كهذه ؟ لست أدري ، ولا اظن أحدا يدري ، وانما الذى أدريه
وأشعر به شعورا عميقا هو فرحتى برؤية الشمس هذا الصباح
وهذا النهار كله بعد أن ظلت شهرا كاملا غائبة مستورة وراء السحب
الكثيفة السوداء التى لم أر من آثارها الا هطول الامطار حينها
ونزول الثلوج حينها أخرى ، ثم انقباض يساور النفس التى اعتادت
رؤية الشمس طوال أيام العام كله مثلنا فى مصر .

ما أجمل الشتاء فى مصر ، بل ما أجمل كل شيء فى مصر ، ارفسها

وسماءها وماءها وهواءها ، صيفها وشتاءها ، نباتها وحياتها ، حياتها الهادئة الرتيبة الوديعه العجيبة .. ها دق جرس الباب ودخلت الخادمة الباريسية تحمل الى طعام الافطار فقطعت على حلم اليقظة وهذا الحنين الدافئ الى مصر وكل ما في مصر وانتهت حلمي وحنيني بجملة واحدة : ان مصر جنة الله في أرضه اولا الاحتلال وويلات الاحتلال .

وفي الساعة الثامنة والنصف تماما كنت في مكتبي بمقر الوفد اتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة عسى أن أجد فيها شيئا عن مصر اترجمه الى العربية للرئيس ، فلم أجد شيئا لا مقالة ولا خبرا .

وحوالي الساعة العاشرة توافد الاعضاء على غير انتظار منى : حمد الباسل ومحمد على علوبة وعلى ماهر وسينوت حنا وواصف غالى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود والمكباني .

فسألتهم : اتعقدون جلسة هذا الصباح ؟

فقال حمد الباسل : جلسة غير رسمية .

فسألت : وما الفرق بين الجلسة الرسمية وغير الرسمية ؟

حمد باشا الباسل : الجلسة غير الرسمية ، جلسة لا يحضرها الرئيس .

فقلت : لا تؤاخذنى انى غبى

فقال حمد الباسل (ضاحكا) : بل انت تتغابى وقد وصفك الشاعر العربى بقوله :

ليس الغبى بسيد فى قومه ولكن سيد قومه المتغابى

فقلت له ياسيدى : ان بديهتك الحاضرة لا يعادلها الا سماحتك وكرم اخلاقك ولا يزيد على كل ذلك الا عجزى عن شكرك .

وسمع بعض الاعضاء هذه المحاوره واشتركوا فيها باسمين منشرحين ثم انتقلوا من مكتبي الى قاعة الجلسة بعد أن أخبرنى صديقى محمد على علوبة أنهم يريدون أن يتداولوا فى مسألة « انقسام الامة » وطريقة علاجه .

فسألته : ما رأيك فى جلسة الامس وفى بيانات الرئيس ؟

فأجاب : سعد باشا كان متجليا وكان هادئا ليته يستمر على

ذلك وقد تحسن الجو تحسينا كبيرا وزال سوء التفاهم ، وسننتقل بعد انتهاء الجلسة لزيارته في مسكنه لتحيته فقد عادت المياه الى مجاريها .

فقلت : أنا ذاهب الان لمقابلة الرئيس ، هل أبلغه كلامك ، فقال :
افعل ما تشاء

فقلت : أحب أن أثقل الاخبار السارة التي تزيد الجو تحسنا ،
وتزيد النفوس انتعاشا .

ثم تبادلنا البسمات والتحيات وانصرفنا ولكن الى لقاء قريب جدا .

وفي الساعة العاشرة والنصف كنت مع الرئيس وأخبرته بكل ما رأيت وسمعت وأظهرت اغتباطى بتوفيقه أمس في إزالة كل أسباب سوء التفاهم .

فقال : أجل كنت موفقا ثم هز رأسه مفكرا مهتما وقال : ولكن كل شيء الى حين ، ان المسألة ليست مسألة سوء تفاهم يمكن أن يزول ، وانما المسألة أدهى من ذلك وأمر . ولا يمكن أن تزول بالشرح والبيان ، هي مسألة عدم ثقة وأهداف مختلفة وخطط متباينة وبواعث لا سبيل الى التوفيق بينها ، ان الامر لا يستطيع اصلاحه . .

فقلت : انهم سيحضرون بعد قليل لزيارتك وتحيتك ولاشعارك بان ما كان هناك من جفاء قد زال وان المياه قد عادت الى مجاريها ، ألا تريد أن تقابلهم في منتصف الطريق كما يقول الانجليز في مثل هذه المواقف ؟

فقال الزعيم : ((أجل لابد من ذلك لا سيما وهم في بيتي فلهم على حق المجاملة والملاطفة ، على أن كرم الضيافة شيء وصلاح الحال بعودة المياه الى مجاريها شيء آخر ، انى أشعر بأنهم يريدون مهادنتى ولكنهم ياتمرون بى ويتربصون ، وانهم يطلبون مسالمتى وتهمدتى قبل عودتهم الى مصر . وانهم لعائدون الى مصر عاجلا أو آجلا ، فهم يفعلون ما فعل عدائى قبل عودته ، فقد زارنى وسألنى حتى يضمن من المصريين حسن الاستقبال له وقد نجح في ذلك نجاحا ملحوظا ، وهم يريدون مثل ما أراد لكى يصلوا الى مثل ما وصل من حسن استقبال المصريين لهم عند عودتهم ، ولكنى لا أتعجل الامور ولن أشعرهم بحقيقة أفكارى ولا بحقيقة مشاعرى ، والكتمان احدى

بى وأوجب ، ولا سيما فى مثل هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيها » .

فقلت : ما أحكمك ياسيدى وما أبعد نظرك .

وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا حضر على ماهر واختلى بالرئيس دقائق معدودات ثم حضر الأعضاء جميعا : عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، حتى عبد اللطيف المكباتى ، وظلوا مجتمعين ساعة كاملة ، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر خرجوا وانصرفوا باسمين وفى غبطة ظاهرة .

وسألت الاستاذ على علوبة عن خلاصة رأيه فى هذا الاجتماع فقال : « كانت جلسة طريفة خلت من السياسة وكثرت فيها الملح والنكات والنوادر والشعر » .

وسألت الرئيس سعد عن رأيه فقال : « جاءوا لتحييتى والسؤال عن صحتى ، وكانوا جميعا فى غاية اللطف ، وكان اظرفهم حميد الباسل بحكاياته الممتعة واسلوبه الطريف الطريف » .

عودة الدكتور حامد محمود من انجلترا

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل الدكتور حامد محمود عائدا من انجلترا واختلى بالرئيس سعد ساعة كاملة . ولما خرج مر بى فى مكتبى للتحية فقلت له وعلى وجهى ابتسامة مأكرة : « أرجو أن تكون قد وفقت فى استعادة عفشك المحجوز عليه بسبب امتناعك عن دفع ضريبة الدخل !! » فضحك واستغرق فى الضحك وقال : « تم كل شىء على مايرام » . وانصرف بعد أن تواعدنا على اللقاء بعد العشاء فى « كافية فوكيه » .

شخصية الدكتور حامد محمود وأعماله فى الميزان

صديقى الدكتور حامد محمود شخصية عجيبة فريدة لا أعرف لها مثيلا فى جميع المصريين الذين اختلطت بهم فى مصر أو فى الخارج حتى الآن . . فقد عاش فى انجلترا أكثر من نصف عمره وهو الآن فى الثامنة والثلاثين وعاش منها فى انجلترا عشرين سنة بعد أن تخرج فى جامعة أدنبرة فى اسكتلنده وحصل على إجازته فى الجراحة وقد تطوع فى خدمة الجيش الانجليزى « جراحا » فى الحرب العالمية الاولى وتوطدت له صلات بكثيرين من الانجليز ، ولم يحصل على

شهادة مصرية عالية ولا يكاد يعرف اللغة العربية ، ويجيد الانجليزية كلما اكثر مما يجيدها كتابة ، ومن نوادره الطريفة اننا خرجنا مرة للنزهة في غابة بولونيا مع الرئيس سعد واذا به يصرخ في دهشة لفتت نظر الرئيس ونظري قائلا : يا باشا ((هذا ابو اوى)) فضحك الرئيس واستغرق في الضحك وقال « ام اوى يا دكتور » فقال حامد « ولماذا يقولون اذن « ابو كاتو » واستمر الرئيس في ضحكه وقال : افوكاتوا ، اتريد تغييرها الى ام كاتو على هذا القياس ، واستمر هذا الخلط فترة غير قليلة وسعد يضحك من هذه الخفة والسداجة اللطيفة .

وفي حامد ، مكر ودهاء ، ولكن مكره يبدو في سداجة عجيبة ودهاؤه يظهر في شكل « عبط » ، وهو يجد لذة فريدة في الظهور بمظهر العبيط او الساذج ويرى في ذلك منتهى المكر والدهاء والخداع وحمل الناس على الاطمئنان اليه . وعدم الشك فيه او التخوف منه . وبعد ان يجردهم من أسلحة الحذر والتحفظ معه يعرف منهم ما يريد ان يعرف ، ولا يعطيهم ما يتوقون الى معرفته منه ، فهو الكاسب دائما وهم الخاسرون . هكذا يظن وعلى هذا النمط يعيش ويعامل الناس ، هذا فضلا عن انه يجمع مع هذا المكر والدهاء طبعاً يميل الى الساءة الظن بالناس وهو قلما يشق بانسان ، والرأى عندى ان الدكتور حامد محمود قد اكتسب من حياته بين الانجليز ومعاشرته الطويلة لهم بعض الصفات والمزايا النفسية ، اخص بالذكر من هذه وتلك ما يأتى :

المكر والدهاء والميل الى الخداع وعدم الصراحة والتظاهر بالسداجة .

حمل الناس على الاطمئنان اليه وعدم الشك فيه بمظهره الفريد في اللطف والسداجة .

اساءة الظن بكل الناس والميل الشديد الى الكتمان فلا يمكن ان يذيع سرا .

ضبط النفس فلا يثور او يفضب مهما يكن مبلغ الاستفزاز الواقع عليه ، وكان يقول لى ونحن في انجلترا : ان ضبط النفس للانسان كالفرملة للسيارة ، والسائق يكون معتوها اذا قاد سيارة بلا فرامل ، لانه يكون خطرا على غيره وعلى نفسه ، وكذلك المحروم من مزية ضبط النفس فهو رجل بغير فرامل وهو خطر على غيره وعلى نفسه .

والمصري العادى لا يتمتع بهذه الصفات وهذه المزايا النفسية. وهو فى الغالب حسن النية سليم الطوية يحسن الظن بالناس ولا يضبط عواطفه لان « قلبه أبيض » واذا استفزه انسان أو اهانه غضب وثار وسب وشتم وانفجر كالبركان .

هذا وترى الدكتور حامد لاول وهلة فتظننه انجليزيا فى عامة مظهره ، فى بياض لونه ونعومة شعره وأناقة هندامه ولمعان حدائه وطريقة مشيته وحركات رأسه ويديه ونظرات عينيه، وهو حليق الدقن والشارب ، كثير التدخين للبيئة التى لا تكاد تفارق شفثيه وعنده من « البيبات » ما يزيد على العشر ، واذا سئل سؤالا محرجا أو صعبا احتفظ « بالبيئة » فى فمه حتى يفكر بهدوء ولا يرفعها من فمه الا اذا اراد الكلام أو الاجابة ، ثم هو يوجز غاية الاجاز ولا يميل الى الثثرة كما يفعل الكثيرون ، وهو فى هذا كله انجليزى قح ، ولكنه الى جانب هذا أو قبل هذا كله مصرى صميم ووطنى غيور ، حبه لمصر وغيخته القومية واخلاصه لقضية الاستقلال وحبه وولاؤه للرئيس سعد وحبه وعطفه على الفلاحين كلها من الطراز الاول ، ولا تترك بعدها زيادة لمستزيد . هذا فضلا عن أنه خفيف الروح الى الدرجة القصوى ومن العسير جدا الا تحبه أو لا تميل اليه فهو خفيف الظل حلو الابتسامة التى لا تكاد تفارق وجهه ، ولعل هذه المظاهر والمزايا المصرية الصميمة فيه هى التى قربته الى قلب الرئيس سعد .

كيف اتصل الدكتور حامد بالرئيس سعد

بعد أن وقع الاختيار على لان أكون سكرتيرا خاصا للرئيس سعد زغلول سافرت من مصر ووصلت الى باريس فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ ولم يمض شهرا واحدا أو خمسة أسابيع أى فى يناير سنة ١٩٢٠ حتى حضر الدكتور حامد محمود على رأس وفد يمثل جمعية الطلبة المصريين فى بريطانيا لتحية الرئيس سعد ولتأييد الوفد فى جهوده ومساعيهم فى خدمة قضية الاستقلال ، فأكرم الرئيس وفادتهم وسرته حماسهم ، وبعد انصرافهم تخلف الدكتور حامد وقال للرئيس انه يريد أن يتطوع لخدمته وخدمة الوفد وخدمة مصر وقضية الاستقلال ، وأن معرفته بانجلترا وبالانجليز لابد أن تكون نافعة وهو يضعها بين يدى الرئيس ، ثم قال ان الدكتور طلعت باشا عمه .. لم يكن الدكتور حامد فى حاجة الى أن يقول

أكثر من هذا ، فسعد باشا صديق حميم للدكتور طلعت باشا وفي الدكتور حامد نفسه مزايا لا يستهان بها .

ولهذا لم يتردد الرئيس لحظة واحدة في الاقبال عليه والترحيب به وتعيينه فورا سكرتيرا ثانيا ، وقد أحسن سعد بفراسته التي لا تخيب أنه سوف يكون في حاجة الى رجل كحامد يعرف انجلترا مثل معرفته ، فقد نقضى الضرورة بإرساله الى انجلترا في مهمات كثيرة ولاغراض شتى ، وقد صدقت فرائسة سعد (الرئيس البعيد النظر) ، وأصبح الدكتور حامد نافعا جدا في خدمة هذا الغرض ، ولكن مصرية الدكتور حامد تجلت في حبه وولائه للرئيس سعد وفي كرهه وسخطه وحققه على أعضاء الوفد الذين يخالفون الرئيس ، وكان أعضاء الوفد يستخفون ظله أول الامر لسذاجته الظاهرة ويداعبون به بالنكات الخفيفة اذ كانوا يشعرون أنه نصف مصري ونصف انجليزي لقلة معرفته للعربية ، ثم سذاجته الخلافة الخداعة قد اعتبروها نوعا من العبط الذي يداعب ويسخر منه ، وكان الدكتور حامد يسرف معهم في مظاهر سذاجته ومظاهر انجليزيتته ، فيزيد مرحهم وأقبالهم عليه ، ولكن الأعضاء في المدة الأخيرة تنكروا له وسخطوا عليه .

ويمقدار ما ازداد حامد قريبا من قلب الرئيس سعد ازداد بعدا من قلوب الأعضاء جميعا فساء مركزه بينهم .

النشاط السياسي للدكتور حامد محمود

ولسائل أن يسأل : هل أحسن سعد وأصاب في تعيينه الدكتور حامد محمود سكرتيرا ثانيا له ؟ وهل نجح الدكتور حامد في النهوض بالمهمات التي كلف بها ؟ وهل أدى خدمات تستحق الذكر لقضية الاستقلال ؟

وأنا أجيب بالإيجاب على هذه الأسئلة الثلاثة من غير تردد أو تحفظ ، فإن الدكتور حامد محمود ملاً ، وما يزال ملاً فراغا لا يستطيع أحد غيره من المصريين أن يملأه ، وأنه أدى وما يزال يؤدي خدمات عظيمة لقضية الاستقلال لا يستطيع أحد غيره من المصريين أن يؤديها .

وفيما يلي بعض الأدلة :

١ - أن جريدة الديلي هيرالد (جريدة حزب العمال) قد أصبحت تدافع عن قضية استقلال مصر وتطالب بالفناء الحماية

البريطانية من مصر ، بفضل صداقة الدكتور حامد لمستر ايوار رئيس قسم السياسة الخارجية في هذه الجريدة ، ومستر لانسبوري رئيس التحرير نفسه . فالدكتور حامد يعرفهما معرفة صداقة شخصية قديمة . وبفضل الدكتور حامد ومساعدة ذلك حضر مستر ايوار الى باريس عدة مرات لمحادثة الرئيس وسماع آرائه ، وقد نشر للرئيس حديثين كاملين غاية في الاهمية .

٢ - ان عددا كبيرا من الاسئلة البرلمانية التي قدمت في مجلس العموم عن مصر ولصالح مصر كان الدكتور حامد هو الموحي بها ولا ننسى انه صديق حميم لمستر مالون ومستر سبور عضوي مجلس العموم ، بل صديق حميم لمستر رامزي ماكدونالد نفسه رئيس حزب العمال وزعيم المعارضه . وبفضل الدكتور حامد وحده وحسن علاقاته بهم قد اصبحوا جميعا يعطفون على قضية الاستقلال .

٣ - استطاع الدكتور حامد بجهوده الشخصية ان ينشئ في لندن ((لجنة)) تسمى ((اللجنة الانجليزية المصرية)) وساعده في تكوينها صديقه الحميم مستر لانجسدون دافيز وهو صاحب مطبعة مشهورة ومستر رامزي ماكدونالد نفسه ، واللجنة مكونة الآن من عشرين عضوا من حزب العمال في البرلمان الانجليزي وبعض كبار الصحفيين امثال لانسبوري وايوار وسكرتير هذه اللجنة مستر لانجسدون دافيز نفسه صاحب المطبعة الذي تفضل بمساعي الدكتور حامد ان يصدر شهريا نشرة من اربع صفحات عن مصر وقضية مصر وعود الانجليز بالجلاء ، وما الى ذلك مما يريده الدكتور حامد ويوحى به الرئيس سعد .

٤ - ومن هذه النشرة ومن بيانات الدكتور حامد كان أعضاء اللجنة الانجليزية المصرية يستمدون نشاطهم ويلقون خطبهم ويقدمون اسئلتهم لخدمة مصر وقضية مصر . من غير الدكتور حامد محمود كان يستطيع ان يحقق كل هذا ؟ لقد أصبحت مصر في بريطانيا افلام تكتب ، وأصوات ترتفع ، وقلوب تعطف ، وجهود تبذل لخير مصر وخير قضيتها ، والقائمون بهذا كله من الانجليز الاحرار انفسهم ، والفضل في هذا كله للدكتور حامد محمود وحده .

الم اقل ان الرئيس سعد احسن واصاب بتعيين الدكتور حامد وان فراسة الرئيس وحسن اختياره كانا توفيقا من الله .

لقد نجح الدكتور حامد في نشاطه السياسي في انجلترا اعظم نجاح ولا ارى ان اعضاء الوفد على حق حين يخشون ويتطيرون من هذا النشاط الذي يجرى من غير علمهم ومن وراء ظهورهم كما يقولون في شكوى واثنين واحتجاج ..

الدكتور حامد في المصيدة !

٨ من يناير سنة ١٩٢١

في المساء بعد العشاء نزلت الى ((كافية فوكيه)) وجلست في ركن وحدي افكر في يومي وامسي ، وبعد قليل مر صاحبي محمد علي علوبة فرآني فجاء وجلس معي ثم حضر المكباتي وحمد الباسل فجلسا معنا ، وبهذا ضاعت خلوتي ووحدتي وخابت فكرتي . وبعد دقائق معدودات حضر الدكتور حامد محمود ليجلس معي فتلقوه جميعا بالبرود وتلقيته بالحفاوه والابتسام . وقد حاول الدكتور حامد اول الامر ان يسلم ثم ينصرف ولكنهم امسكوه والحووا عليه في الجلوس فجلس مكرها وهو لا يقوى على المقاومة ، واعلمهم ظنوه فريسة وقعت في المصيدة .

سأله حمد الباسل : ((ماذا فعلت في مهمة بلنت وما اخباره الخاصة عن ملنر)) ؟

الدكتور حامد : ((انا مش فاهم انت بتقول ايه !!)) .

حمد الباسل : ((انت سافرت الى انجلترا اخيرا لمقابلة بلنت)) .

حامد : ((مش صحيح مين قال لك كده ؟))

المكباتي : ((انا قرانا خطاب بلنت الى سعد باشا وفيه يطلب ارسال رسول اليه)) ..

حامد : ((روح اسأل سعد باشا ليه انت تسألني انا . .))

(هكذا ظل الدكتور حامد يراوغ في الاجابة الصحيحة الصريحة وظل يتكلم العربية برطانة الانجليزى وكان ظاهر الكذب والارتباك فاشفقت عليه) .

فقلت : ((هل هذه جلسة تحقيق أو لجنة فرعية للوفد تبحث وتنقب ؟))

فقال المكباتي (غاضبا) : ((أنا نوجه سؤالاً بسيطاً فلا نسمع غير الكذب والانتكار)) .

حامد : ((اسمحوا لي : ده راجل بيتكلم كلام ناشف . أنا عندي ميعاد مع صديقتي مدموازيل جاكين وانا أفضل أن أكون معها)) .

ثم قام الدكتور حامد ودخل قال : وكانت بانتظاره رفيقته الباريسية الحسنة ، وانفجرتنا جميعاً بالضحك من أسلوب الدكتور حامد في الكلام ومن طريقته في الانصراف حتى المكباتي الذي قال ((هل رأيتم غيظاً أكثر من هذا ؟ هل يصح أن يرسل مثل هذا المخلوق إلى إنجلترا في مهمة سياسية بدل أن يسافر على ماهر مثلاً ؟)) .

ثم أخذ الأعضاء الثلاثة يتحدثون بالتعليق والتنكيث والسخرية لمحاولات الدكتور حامد انكار شيء لا سبيل إلى انكاره واخفائه أمر لا معنى لاخفائه ، وبعد نصف ساعة قام المكباتي ودخل صالون المقهى ثم عاد وقال ((انه ما يزال مع رفيقته)) .

وبعد قليل استأذنت في الانصراف وانصرفت وفي نفسي إشمزاز من أسلوب هذا الرجل في الكلام وخشونته وعدم مراعاته لعواطف الآخرين . لم أشأ أن أرد عليه فالحديث مع مثله لا يفيد بل يضر ولا ينفع وأعمال العقلاء تترفع عن العبث الذي لا خير فيه على الإطلاق ، وهو رجل فيه ميل إلى الشراسة ولا يخالجنى شك في أن الرئيس سيسألني غداً أن أصف له بدقة ما حدث بعد أن يشكو إليه الدكتور حامد مما لقي هذا المساء ، ولا شك عندي في أنه سيفضب أشد الغضب . وهكذا لا يكاد يتحسن الجو في الوفد قليلاً حتى يعود فيسوء كثيراً ، وكل خطوة إلى الامام تعقبها خطوات إلى الوراء .

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

قابلت الرئيس صباح اليوم وكان عنده الدكتور حامد محمود فسألني عما وقع فوصفت له كل ما وقع فأنفعل واشتد انفعاله كما انتظرت وقال :

((لست أدري لماذا لا يسألوننى أنا ، ويسلكون هذا المسلك الكريه انهم يتلفون الاخلاق بعملهم هذا . ان الدكتور حامد مكلف بالكتمان وهم يعلمون ذلك أو يجب ان يعلموه . ياويحهم !! انهم يكتبون الى بالامس القريب خطابا شديدا منفرا ثم يصلحوننى بزيارتى فى مسكنى وهذا منهم اعتذار صامت وغير مباشر ، واليوم يعودون الى اساءاتهم الى ثم يريدون ان نعمل معا لاصلاح الانقسام فى مصر قوم ، متخصصون يريدون التوفيق بين متخصصين آخرين ليس هذا من السخرية الا نبدا باصلاح انفسنا وتقويم اعوجاجنا أولا)) .

وهنا دخل على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فقص عليهم الرئيس ما حدث أمس مع الدكتور حامد ، فلم يتأثروا ولم يظهروا استياء بل ضحكوا واعتبروا المسألة فكاهة لا تستحق غضبا ولا كدرا .

وفى اثناء الشاى قال لى الرئيس فى شيء من الكمد : ((لعل أكبر ما يكدرنى الآن ضعف أملى فى نجاح شيعتى وفقدان ثقتى فى كثيرين منهم لقد ألم بنفوسهم هزال شديد وخصومى كثيرو العناد وسيجدون دائما انصارا من الطامعين فى المناصب من ضعاف القلوب وهم كثيرون)) .

فقلت : ((يا سيدى : ما عددهم ؟ مهما يبلغ عددهم فلن يكونوا شيئا يستحق الذكر اذا قورنوا بالملايين التى تلف حولك وتصرك ويفعل اسمك فيهم فعل السحر ، ان الانبياء انفسهم لم ينجوا من عناد المكابرين ودسائس المارقين وكيد الخائنين وتخاذل المستضعفين)) . فرحب الرئيس بهذا الكلام الذى هو فى نظرى من البديهييات ومع ذلك وجد طريقه الى نفس الرئيس فأراحها والى عقله فأرضاه .

الدكتور حامد يفهم المكباتى

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح كالعادة الى مكتبى فى مقر الوفد لاتصفح الجرائد والمجلات الانجليزية وحضر حمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود ولطفى السيد والمكباتى ثم عبد العزيز فهمى وكانهم على ميعاد ، ولم يحضر انصار الرئيس سعد (على ماهر

وواصف غالى وسينوت حنا) ، وبعد قليل خرج حمد الباسل من قاعة الجلسة وزارنى فى مكتبى وكان معى الدكتور حامد محمود فسلم على وسألنى عن أخبار مصر فى الجرائد الانجليزية، ثم رفق الدكتور حامد بنظرة شذراء وجره معه الى الاعضاء داخل قاعة الجلسة ، وحامد لا يسأل ولا يقاوم ولا يعارض ولا يستفسر عما يريد منه حمد الباسل ، بل سار الى جانبه فى وداعه محبيه واستسلام غريب . كالحمل الوديع ، فلما استقر مجلسه دقيقة واحدة بين الاعضاء فتحت باب القاعة ودخلت لاشهد ما يعملون وكأنى خشيت أن يفتكوا بالدكتور حامد أو كأنى شعرت بأن الدكتور حامد عاجز عن الدفاع عن نفسه. لست أدري ! وإنما بحركة آلية ومن غير تفكير رأيت أن أشهد ما يجرى مع أن احدا لم يطلب الى الحضور.. هكذا تصرفت. وهكذا أقحمت نفسى بالدخول والجلوس ، فلمحنى الدكتور حامد وابتسم وقال : بالانجليزية ((هالو كامل)) ، فضج الحاضرون جميعا بالضحك .. ألم اقل أن الدكتور حامد آية فى خفة الروح والتظاهر بالسداجة التى تجرد الخصم من سلاحه ؟

بدأ الكلام محمد محمود باشا فسال الدكتور حامد عن مهمته الاخيرة فى انجلترا وعن مقابلته لستر بلنت وعن خطاب ملتر اليه وعن نشاط الدكتور السياسى فى الفترة الاخيرة فى انجلترا ،

فاجاب الدكتور حامد بكل صدق وصراحة وقال كل شيء وذلك لأن الرئيس سمح له بذلك اذ لا فائدة من الكتمان الآن .

فقال المكباتى : ولماذا انكرت أمس فى المقهى حين سالناك ؟

حامد : لان المقهى ليس مكانا للكلام فى السياسة . وانا لم انزل الى المقهى لاضاعة الوقت فى الكلام معك بل كنت على موعد يهمنى كثيرا . (ضحك من الجميع) .

ثم قال الدكتور حامد فى شيء من الجسد : اجبتى أنت على سؤال أوجهه اليك :

لماذا لم تذهب الى الرئيس وتسأله عما تريد وفضلت أن تسألنى أنا ، وأنت تعلم أنى مكلف بالكتمان ؟ ((

المكباتى : ((ولماذا هذا الكتمان اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : ((أنت لم تجب على سؤالى ، بل وجهت الى سؤال آخر ، اجبنى أولا على سؤالى وأنا اجيبك بعد ذلك على سؤالك)) .
(ضحك من الجميع) .

المكبتي : ((سنسأل سـعد باشا يقينا حين نقابله ، ولكننا رايناك أمس فاستعجلنا معرفة الحقائق)) .

حامد : ((لا تستعجل مرة أخرى ، وخذ الاخبار من اصحابها لا من الجيران)) . (ضحك من الجميع) .

المكبتي : ((لقد اجبتك على سؤالك اذن اجبنى على سؤالى))
حامد : ((وما هو سؤالك ، انى نسيت)) .

المكبتي : لماذا تعمدت الكتمان والانكار أمس اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : اننى اطلعتكم الان على كل التفاصيل وعلى كل اعمالى فى انجلترا ، هل ترى انها بريئة ومفيدة للبلاد ؟ او انها اجرامية وضارة بالبلاد ؟ (ضحك من الجميع) .

المكبتي : ((انه يتكلم كثيرا ، لماذا كان الكتمان أمس ؟))

حامد : ((صحيح انى اتكلم كثيرا ، ولكن انت تتكلم اكثر منى ومن كل الاعضاء)) (ضحك من الجميع)

ثم قال حامد : ليه كده انت عايز تضايقنى وتزعمنى ، (ضحك من الجميع) الرئيس كلفنى بعمل قمت به ، روح أسأله هو مش أنا ..

المكبتي : ((ولماذا اذن تكلمت اليوم وذكرت كل التفاصيل)) .

حامد : لان الذى سألنى هو محمد محمود باشا وأنا احبه ، وسألنى فى حضور أعضاء الوفد وفى مقر الوفد لا فى مقهى عام ((ولا فى الليل)) ، وأنا تكلمت بدل الرئيس علشان أريحه فلا يتعب فى ذكر كل هذه التفاصيل أمامكم مرة ثانية . هل عندك أسئلة كمان تحب تسألنى وتزعمنى ، والا بزيادة كده ؟ (ضحك من الجميع) .

هكذا انتهت الجلسة التى ترأسها الدكتور حامد محمود ،

وهكذا تحول الحمل الوديع الى اسد بديع ، وفتك بالنمر المريع !!
وصدق من قال ((يضع سره في أضعف خلقه)) .

خرج حامد من الاجتماع وخرجت معه وهناته من أعماق قلبي
على شجاعته وصراحته وعلى قدرته الفائقة في الاقناع ، مقدرة
جاوزت الاقناع الى الافحام ، ثم ذهبنا معاً لمقابلة الرئيس في
مسكنه . . ولما دخلنا عليه قال له الدكتور حامد : ((يا باشا أنا
قتلت المكباتي)) فقفر سعد من مقعده صارخا : هل مات ؟؟ فقلت
مفنداً ((مات أدبيا)) وطلب مني أن أروي له ما حدث فرويته
كما سجلته آنفاً فاغتبط الرئيس أولاً كل الاغتباط . ثم تجهم
وجهه وقال ((اذن لن أتكلم معهم في هذا الموضوع بعد الآن)) .
وشعرت بالفيظ يملأ صدره ويظهر في عينيه لان الأعضاء أجروا
هذا التحقيق والتدقيق في سؤال حامد ومناقشته ومحاسبتها
من وراء ظهره ومن غير النظر لسماع بياناته في هذا الموضوع .

لو استقبلوا من الامر ما استدبروا

١٠ يناير سنة ١٩٢١

١ - أهم ما لفت نظري في خطاب ملنر الى مستر بلنت رجاؤه اليه
في أن يستخدم ثقة الرئيس فيه ليقنعه بأن طلبه الغاء الحماية
البريطانية قبل المفاوضات الرسمية واعتباره ذلك شرطاً لموافقته على
المفاوضات الرسمية من شأنه أن يسقط مشروع ملنر كله . وأن
يؤكد لرغول باشا بأن الأمل غير معدوم في نجاح المفاوضات
الرسمية وتحقيق آمال المصريين القومية .

٢ - وأهم ما لفت نظري في حديث بلنت مع الدكتور حامد - هو
الحديث الذي نقله حامد الى الرئيس سعد - هو استجابته لهذا الرجاء ،
ثم دعوة بالعمل وبذل كل مجهود من جانبه لالغاء الحماية البريطانية .
ذلك الالغاء الذي لا بد منه اذا أريد الاستقرار للحالة ، وتحسين
العلاقات البريطانية ووضعها على أساس سليم .

٣ - وأهم ما لفت نظري في جلسة أعضاء الاغلبية التي تكلم
فيها الدكتور حامد أمس ارتياحهم العظيم لما ورد في خطاب ملنر
الى بلنت ، وما ورد في حديث بلنت مع الدكتور حامد محمود .

٤ - وخيل الى أن أعضاء الاغلبية قد أصبحوا الآن في مركز أقوى
مما مضى في يدهم الآن حجة جديدة من ملنر وبلنت صديق مصر

تحميلهم على التفاؤل بالمفاوضات الرسمية وتأييد الدخول فيها من جانب عدلى حتى قبل قبول التحفظات ، ولا سيما النص على الغاء الحماية الذى يتشبهت به الرئيس ويعلق عليه أكبر الأهمية .

٥ - ويخيل الى أنهم مغتبطون الآن أشد الاغتباط بمراسلات الرئيس مع ملنر وبلنت ، وبارساله الدكتور حامد محمود لمقابلة بلنت بعد أن كانوا مستائين لذلك أشد الاستياء .

والخلاصة أنى أشعر فى ضوء النتائج التى ظهرت فيما بعد بأن خطاب أعضاء الأغلبية الذى أرسلوه الى الرئيس بالشكوى من مسائل معينة ثم ختموه بالتهديد والانداز كان فى غير موضعه ولا مبرر له على الإطلاق ، ولو علموا أو لو استقبلوا من الأمر ما استدبروا لكان خطابهم هذا شيئا آخر على خط مستقيم ، إذ كان يجب أن يشتمل على الإشارة بهذه المسائل المعينة وأن يختتموه بالشكر والثناء .

بداية النهاية

١١ يناير سنة ١٩٢١ :

١ - نشرت الجرائد الانجليزية أن لورد ملنر سيستقيل قريبا ومدحته كثيرا كل الجرائد وأثنت عليه ثناء عاطرا ، ويرى الرئيس سعد أن هذه قد تكون مناورة انجليزية للتأكد من المصريين واكتشاف حقيقة شعورهم اذا ملنر ومشروع ملنر ومبلغ تمسكهم بالتحفظات ، ويرى بقية أعضاء الوفد أن ملنر رجل لا يمكن لبريطانيا الاستغناء عنه فى الظروف الحاضرة ، وأنه فى الغالب سيكون على رأس المفاوضات البريطانيين فى المفاوضات الرسمية القادمة ((وكل يغنى على ليلاه)) .

٢ - وصل أمس الى باريس عبد الملك حمزه واسماعيل لبيب وهما من رجال الحزب الوطنى وقد حضرا من مصر فى مهمة سياسية على ما يظهر إذ يريدان أن يطلعا الوفد على الحالة الحاضرة فى مصر وبيان مدى الانقسام الخطير فى صفوف الأمة وفى رأى العام المصرى وذلك لكى يعمل الوفد على تلافيه ، ومعهما خطابات على جانب عظيم من الأهمية الاول من مصطفى النحاس والثانى من عدلى باشا والثالث من ابراهيم سعيد باشا يعبر فيه عن رأيه الخاص ورأى اللجنة المركزية للوفد عامة .

٣ - ومن طريف المصادفات أن بريد اليوم قد حمل الى الرئيس طائفة من الرسائل تتحدث كلها عن مسألة انقسام الامة وانقسام الوفد وخطر ذلك ، والتوسل الى ضم الشمل وإزالة الانقسام وكل أسبابه محافظة على وحدة الامة وسلامة قضيتها . أخص بالذكر من هذه الرسائل ما يأتي :

خطاب من أمين الرافعي ، وخمسة خطابات من أعضاء في الجمعية التشريعية ، وثلاثة خطابات من جورج خياط ومحمد محفوظ باشا وحسين هلال بك المحامي ، وعريضة موقع عليها من ٣٥ من أعيان البلاد من الوجهين البحري والقبلي يرجون فيها الاكتفاء بما هو معروض الآن على الوفد ، ويلحون في ضرورة الاسراع بالموافقة على تأليف وزارة تطمئن اليها الامة وتمهد الطريق للمفاوضات الرسمية .

هذه الرسائل وقعت في نفس الرئيس أسوأ وقع ، وطلب الى أن أجمعها وأضعها في مظروف خاص أكتب عليه ((رسائل من دعاة التردد والهزيمة)) أو أكتفي بعبارة موجزة وهي ((مثبطات لهم)) .

٤ - في الساعة الحادية عشرة صباحا حضر الزائران (عبد الملك حمزة واسماعيل لبيب) الى مقر الوفد بشارع مارييف ، وقابلا أعضاء الوفد وتصادف أنهم كانوا جميعا مجتمعين ما عدا واصف غالي ، وشرحا لأعضاء الوفد حالة البلاد السيئة في الفرقة والانقسام وتبليبل الافكار وحيرة الناس فيما يسمعون وفيما يصدقون ، وقد وجدا من الأعضاء آذانا صاغية وقلوبا واعية ، بل لعلهما زادا أعضاء الأغلبية حجة جديدة قوية يقيمونها في وجه الرئيس سعد في جلسة الغد .

٥ - وفي المساء حضرا الى فندق الكونتنتال وقابلا الرئيس سعد وقضيا معه ساعة كاملة ، ولم يشأ الرئيس أن يناقشهما أو يحاول اقناعهما ، بل اكتفى ببضعة أسئلة وجهها اليهما ليستنير بالاجابة ويستعد بها لجلسة الغد كذلك .

٦ - ليس من المصادفات العجيبة أن يحدث كل هذا في اليوم السابق لجلسة الوفد المخصصة لمناقشة مسألة ((انقسام الامة وطريقة علاج هذا الانقسام)) !!؟؟

الجلسة الاخيرة الحاسمة

١٢ يناير سنة ١٩٢١ :

تصور الحالة النفسية :

أكاد أميل الى الاعتقاد بأنه لولا انتظار ظهور تقرير ملنر لما ظل أعضاء الوفد متماسكين في هيئة واحدة حتى اليوم ، ذلك لان كثيرين منهم يريدون العودة الى مصر ويرون ان البقاء في باريس عبث لا طائل تحته . ومضيعة للوقت والمال ، وتغدير للناس بجلب الآمال .

وملنر قد رفع تقرير لجنته الى حكومته في ١٠ من ديسمبر كما نشرت جريدة التيمس ذلك في الشهر الماضي والتقرير يترجم في مصر الى العربية هذه الايام حتى اذا تمت الترجمة نشر في مصر وفي لندن في يوم واحد فالكلمة الآن للمترجمين في مصر .

ومع أن النشر قد أصبح منتظرا بين وقت وآخر فان الاعضاء قد نفذ صبرهم .. وأصبحوا لا يطيقون الانتظار وهم يريدون العودة ولكن بعد محاولة يائسة أخيرة عسى أن تنتج هذه المحاولة بعض الخير ، وهو تلافي انقسام الأمة بشكل من الاشكال وهذه المحاولة ستكون في جلسة اليوم .

هذه كانت خواطري وأنا أسير صباح اليوم من مسكني الى مكتبي وشعرت بأن كل فريق في الوفد يشكو من الانقسام ويطمع في الاتحاد والوثام ويخشى الشماتة وظهور الخصام ، اذن لابد من الكلام واستمرار الكلام ثم العودة الى تكرار الكلام ، ولا ملل من الكلام ولا يأس من عبث الكلام ، فعسى الله أن يحدث بعد ذلك أمرا .

كنت أول من وصل الى مقر الوفد فأشرفت على اعداد قاعة الجلسة مع صديقي الدكتور محمد صبرى السوربونى ، ثم توافد الاعضاء وهم متجهجون عابسون الا حمد الباسل وسينوت حنا فهما باسمان مشرقان ، دخل حمد الباسل قاعة الجلسة وكأنه داخل الى حجرة الطعام ، وكذلك كان صاحبه الرشيق الهندام ، ودخل عبد العزيز فهمى قاعة الجلسة وكأنه داخل قاعة محكمة للمرافعة في جريمة قتل عقوبتها الاعدام ، ودخل محمد على علوبة كمن يحمل بين يديه

سندات الادانة وصواعق الحجج وقوارص الكلام ، ودخل الرئيس سعد وعلى وجهه ملامح الاسد ونظراته وكأنه داخل لمصارعة الثيران ، ودخل المكباتى منتفخ الوجه مفتول العضلات كأنه ملاكم أو مصارع أو كبير الثيران ، ودخل الفيلسوفان لطفي السيد وواصف غالى وكلاهما مهموم كمن يفكر فى حضارة الدنيا وسخافة الانسان ، ودخل الصاحبان محمد محمود وعلى ماهر وكلاهما مهموم كمن يخشى معركة فيها ضرب وطعن ونيران .

فى جو الجلسة رهبة ورغبة وأمل ويأس وعواطف مكبوتة مخنوقة مكتومة مستورة ولكنها معروفة كأنها منشورة غير مقبورة .

فى جو الجلسة توتر وحذر وهذه هى الخلاصة بكل ايجاز فى التصوير .

وفى هذا الجو عقدت آخر جلسة للوفد فى باريس .

عقدت فى الساعة العاشرة والنصف صباحا وانتهت فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

قال الرئيس سعد :

((ان جدول اعمال هذه الجلسة يشتمل على مسألة واحدة هى مسألة ((انقسام)) ، انقسام الوفد على نفسه ، وانقسام الامة ، اما مسألة انقسام الوفد فالكلام فيها معاد وعبت لا طائل تحته . واما مسألة انقسام الامة فقد شاء بعضكم أن يلقي تبعثها على كاهلى وحدى وهى التهمة الوحيدة فى خطابهم الباقية من غير تنفيذ ، ولكنها اوهى التهم جميعا لانها باطلة ظاهرة البطلان ولا تحتاج الى كبير عناء لدحضها وتنفيذها . ان الذى يتمسك بمبدأ الاستقلال ويسعى جاهدا فى خدمته وفى سبيل تحقيقه تنفيذا لتوكيل الامة للوفد ، لا يمكن أن ينسب اليه اتهام بتقسيم الامة .

هذه التهمة الخطيرة انما تلبس كل من يجيد عن مبدأ الاستقلال أو لا يؤمن بفكرة الاستقلال أو لا يعتقد بإمكان الحصول على الاستقلال ثم يحاول التقرير بالامة على أن تقبل ما هو دون الاستقلال فيستميل اليه فريقا من ابنائها المستضعفين والهازلين والطامعين فى المناصب والمستعجلين لكسب المغنم ، والذين ليس لهم جلد على الجهاد وعلى ملاقات الصعاب فى خدمة قضية الاستقلال ، وقد ظهر

هذا الفريق في الامة بفضل صاحبكم عدلى ومساغبه الظاهرة والغفبة،
وفى الوفد فريق من الاعضاء يؤازرون عدلى . ويتمتعون بعطفه
وتشجيعه ويلحنون لحنه ويتجهون اتجاهه ويهدفون الى غايته ، ثم
وجد هذا الفريق الجرأة على اتهامى وحدى بتقسيم الامة وسبجلوا
ذلك فى خطاب أرسلوه الى) .

ثم قال الرئيس ساخرا : ما اصدق المثل العربى ((رمتنى
بدائها وانسلت)) .

عبد العزيز فهمى :

((أرجو أن يتسع صدر الرئيس لنشرح له الموقف كما نراه وكما
هو فى الواقع واضعا للامور فى نصابها ، ولنحدد الحقائق التى نتفق
عليها والحقائق التى نختلف عليها ، ولا حاجة بنا الى الكلمات
الغاضبة والانفعال العقيم ، نتكلم أولا عن الوفد وانقسامه .

كلنا نعرف ونعترف ان الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات
فى الماضى .

الاول : عند مناقشة مسألة ، هل يفاوض الوفد لجنة ملنر
أو لا يفاوض .

والثانية : عند مناقشة مسألة ، هل ينتقل الوفد الى لندن
بعضه أو كله .

والثالثة : عند مناقشة مسألة ، هل تقطع المفاوضات أو لا تقطع
عند تسلمنا مشروع ملنر .

والرابعة : عند مناقشة مسألة ، هل أسفرت استشارة الامة
عن رغبات أو تحفظات .

((هذه كانت أهم دواعى الانقسام فيما مضى ، وانى أعلن الآن بكل
صراحة وتأكيد أنها زالت جميعا بسلام وانتهت على خير وجه ، وأصبح
الوفد متحدا الآن كما كان يوم تأليفه)) .

الوفد متحد وموافق بالاجماع على الحقائق الآتية :

١ - أن مشروع ملنر وحده لا يحقق الاستقلال فلا يمكن قبوله
بوضعه الراهن .

٢ - ضرورة قبول التحفظات كلها وهي ليست مجرد رغبات
يكتفى بتحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

٣ - عدم دخول الوفد في المفاوضات الرسمية المقبلة أو حتى
الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطاني تعديل مشروعه على
أساس هذه التحفظات وفي طبيعتها النص الصريح على الغاء الحماية .

٤ - الحرص على التوكيل الذي حدد مهمة الوفد ، أى السعى
لتحقيق استقلال البلاد استقلالا تاما .

٥ - زوال سوء التفاهم الاخير بين الاغلبية والرئيس بسبب
ما اعتبرته الاغلبية ((سياسة انفرادية)) جديدة يجرى عليها
الرئيس ، وبهذا زال آخر خلاف وآخر انقسام فى رأى بفضل
بيانات الرئيس فى الجلسة الماضية .

فكيف يقول الرئيس بعد هذا كله ان انقسام الوفد مسألة
الكلام فيها معاد وعبث لا طائل تحته ؟

الخلاف فى رأى والانقسام فى الجماعة شيء طبيعى تستلزمه
حرية المناقشات وحرية رأى وحرية الاعتقاد فيما يراه الفرد خيرا
للبلاد ولصالحها العليا .

وزوال الخلاف وزوال الانقسام فى الجماعات شيء طبيعى
مادام الافراد لا يهدفون الى غير مصلحة البلاد العليا .

والخلاصة انه لا يوجد انقسام فى الوفد الآن ، لانه لا يوجد
اقل خلاف على غاية أو مبدأ ولا على خطة للوفد أو وسيلة لتحقيق
اغراضه ، وليس لاحد أن يشكو مما مضى من خلاف أو انقسام ، فما
فات مات ولنا الساعة التى نحن فيها .

وأما الخلاف الوحيد الباقي فليس هنا وإنما هو فى مصر ،
والانقسام الوحيد الباقي فليس هنا وإنما هو فى الامة المصرية
نفسها . وهذا هو ما يشغل بالنا الآن ويقض مضاجعنا ، ولا بد
للوفاة من عمل حاسم يقوم به لوضع حد لهذا الانقسام واعادة الاتحاد
بين صفوف المصريين)) .

سعد :

وما سبب هذا الانقسام فى الامة وما علاجه فى رأيك ؟

عبد العزيز فهمى :

فريق من أبناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى
مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة
التي ترهق الشعب بالمظالم وتقتل الحريات وتخضع للانجليز خضوعا
اعمى فيه اذلال للشعب وتضييع للحقوق الخاصة والعامه .

ثم فريق آخر من أبناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل
الانجليز اولا التحفظات ، ولكل فريق حججه التي يتحجج بها ،
والشعب موزع بين الفريقين وفى حيرة من أمره .

سعد :

((وأى الفريقين تؤيد ؟

عبد العزيز فهمى :

انا اؤيد الفريق الاول .

سعد :

انا اؤيد الفريق الثانى ، وهكذا عاد الانقسام الى الوجود مرة
أخرى .

محمد على علوبة :

((ليس هذا انقساما وانما هو مجرد خلاف فى الموازنة والمعارضة،
مقارنة بين الفوائد والاضرار ، وبين المزايا والخسائر . وكما زال
كل خلاف فيما مضى سيزول هذا الخلاف كذلك ان شاء الله باعادة
الوحدة الى صفوف الامة كما عادت الوحدة الى صفوف الوفد)) .

سعد :

وما هو الاقتراح العملى الذى تقدمونه لتحقيق هذه الغاية
السامية ؟ .

عبد العزيز فهمى :

((ان يستنكر الوفد فى بيان قوى صريح بقاء وزارة توفيق نسيم
فى الحكم وتصرفاتها الفاشمة فى حكم البلاد ، وان يطالب بقيام

وزارة تكون موضع ثقة البلاد واطمئنانها . وترعى مصالح الاهالى وحررياتهم وحقوقهم ، وتمهد الطريق لاجراء مفاوضات رسمية بعد التفاهم والتعاون مع الوفد فى خدمة قضية الاستقلال . ان بياننا يوضح وينشر على اساس هذه الخطوط العريضة ، من شأنه أن ينقى الجو وينهى حالة التوتر والحيرة والبلبلة والانقسام ، ويعيد الى الامة الوحدة والسلام والوثام .

سعد :

((لو ان المسألة كانت مقصورة على بيان ينطوى على مجرد استنكار وزارة قائمة ظالمة كريمة ، والمطالبة بالخلاص منها ومن تصرفاتها واجلائها عن الحكم واحلال وزارة أخرى مكانها ترعى الحقوق وتحترم الحريات وتحكم بالعدل والانصاف ، لما ترددت لحظة واحدة فى الموافقة على اصدار بيان بهذا كله ، رحمة بالبلاد وبالعباد ، ولكن للمسألة ناحية أخرى ليست بسيطة ولكنها خطيرة وسيكون لها آثار بعيدة المدى على قضية الاستقلال)) .

المكباتى :

((وما هى هذه الناحية التى تخشاها ؟)) .

سعد :

((ان الهدف الذى ترمون اليه هو التمهيد لقيام عدلى بتأليف هذه الوزارة الجديدة ، وليس فى مصر كلها ولا فى بريطانيا نفسها من يرى غيره رئيسا للوزارة المقبلة ، فالجميع يعرفون هذا تمام المعرفة ، وأرى أن اصدار بيان على الاسس التى تقترحونها معناه فى الحقيقة والواقع اعلان الثقة بعدلى بطريقة غير مباشرة ومن غير حاجة الى ذكر اسمه ، وقيام عدلى برئاسة الوزارة معناه فى الحقيقة والواقع توليه امر المفاوضات الرسمية بغير الشروط والقيود التى وضعها الوفد لضمان صلاحية هذه المفاوضات .

وانكم لتعلمون كما أعلم ، أن عدلى راض عن مشروع ملنر وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بإمكان الحصول على الاستقلال ، فترك الامور بين يديه مع تأييدنا له واعلان الثقة به بطريقة غير مباشر فيه خطر شديد على قضية الاستقلال وعلى

مكانة الوفد وسمعته ، ولا عذر لنا في ارتكاب أخطاء خطيرة كهذه ونحن نعلم سلفا كل ما سيصدر منه وينجم عنه وما سيكون . فهل هذا يرضى ضمائركم ؟)) .

انى أسالكم بكل اخلاص وأدعوكم الى التأمل والتدبر بهدوء فيما أقول)) .

عبد العزيز فهمي :

((ما دمت قد لجأت الى ضمائرنا بالسؤال ، فهذا هو ضمائرنا تتولى الجواب وتعلن في صراحة واخلاص أن عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة في هذه المرحلة التى تجتازها البلاد وقضية الاستقلال ، وذلك للأسباب أو الاعتبارات الآتية :

١ - أن عدلى رجل شريف ونظيف ولن يحكم البلاد بالظلم والاعتساف والجبروت ولن يخضع للانجليز في سياستهم القائمة على السلب واذلال أهل البلاد ونشر الرعب والارهاب في كل مكان .

٢ - أن عدلى بشخصيته وأعماله وتعاونيه مع الوفد هذه المدة الطويلة قد أصبح موضع احترام وثقة من المصريين والانجليز على السواء .

٣ - أن عدلى أكثر فهما لقضية البلاد من كثيرين بل من جميع المصريين الذين يصلحون لرياسة الوزارة في الوقت الحاضر ، ولا أعرف أحدا في مصر الآن مثله أو يدانيه في حسن السياسة وحسن الأسلوب وفهم ظروف المفاوضات كلها .

٤ - أن عدلى لن يقبل مشروع ملز الآن بعد أن علم علم اليقين أن الوفد بالاجماع لا يقبله الا بالتحفظات ، ومحال على مثل عدلى باشا أن يتحدى الوفد ورئيس الوفد والامة المصرية فيقبل ما دون الاستقلال كما يفعل غيره لو كان رئيسا للوزارة في الظروف الحاضرة .

٥ - أن عدلى أقدر من غيره على اغراء الانجليز على التساهل ، والانجليز أميل الى التساهل معه لاجابهم به وتقديرهم له .

٦ - أن ما بيننا وبين عدلى من صداقات وصلات كفيلا باستمرار التعاون بيننا وبينه .

وانى أستطيع يا سيدى الرئيس أن أسرد مزيدا من الاسباب والاعتبارات التى ترجح كفة عدلى على غيره ، ولكنى أكتفى بما قلت فلعل فيه بعض الاقناع)) .

سعد :

((اذا صح أن لعدلى كل هذه الحظوة لدى الانجليز ، وأنه أقدر من غيره على حمل الانجليز على التساهل معه وأن الانجليز أكثر ميلا الى التساهل معه لحسن أسلوبه الذى أثار إعجابهم وإعجابكم ، فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملتر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . . انه اذا صرح بذلك فانى أعلن فورا تأييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو أنى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية . فهل هو مستعد لأن يدلى بحديث كهذا ؟

أما اذا ظل مشروع ملتر لم يعدل بالتحفظات ، أو اذا لم يعد من الآن بأنه سوف يعدل على أساسها ، فانى أشعر بأنى أخضع الامة وأغرر بها حين أضع ثقتى فى من يتقدم للدخول فى المفاوضات الرسمية بغير شرط أو قيد)) .

محمد على علوبة :

((ان الوفد سبق أن قرر أنه لا يدخل فى أية مفاوضات رسمية أو يشترك فيها ما لم تقبل تحفظات الامة وفى طبيعتها النص على إلغاء الحماية .

ولكن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فيها من المصريين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرى أن الوفد مقيّد بتوكيله وهو السعى للحصول على الاستقلال التام ، وقد وضع شروطا وقيودا لاشتراكه فى المفاوضات الرسمية ولكن ليس معنى هذا ولا من مستلزماته أن يحارب الوفد كل مصرى يعمل ويسعى للحصول على الاستقلال بطريقته الخاصة ومن غير أن يلتزم بشروط أو قيود ، وليس للوفد فيما أعتمد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده . وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقا لآرائه ومعتقداته)) .

سعد :

((أنا لا أفهم مطلقا كيف يمكن للوفد أن يجرى على سياستين متناقضتين كل التناقض متباينتين كل التباين :

الاولى : سياسته الخاصة التى تقوم على أساس رفضه للمفاوضة الرسمية الا بشروط .

الثانية : سياسته ازاء عدلى وتأييده للقيام بالمفاوضة الرسمية من غير شروط .

ان العقل والواجب والمصلحة كلها تقضى بضرورة اتباع السياسة التى هى أنفع وأصلح وأحكم ، فإذا كانت خطة عدلى وسياسته خيرا من خطة الوفد وسياسته ، فلماذا لا يدخل الوفد التعديل اللازم على سياسته وخطته حتى يتم التلاؤم والتوافق ويمتنع التباين والتناقض ؟)) .

المكباتى :

((ان الوفد يجب أن يتمسك بسياسته وخطته محافظة على ((الايديال))

احمد لطفى السيد :

((ما الضرر من الدخول فى المفاوضات الرسمية بواسطة هيئة أخرى غير الوفد ؟ ان الوفد يشترط شروطا معينة لقبول هذه المفاوضات ودخوله فيها منفردا أو بالاشتراك مع غيره ، وهذه الشروط غير مقبولة الآن من الجانب الانجليزى ، ونحن نعلم أن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشيء ما مقدما ، فما هو الضرر من ترك مسألة التحفظات الى المفاوضات الرسمية نفسها بدل التشبث بضرورة قبولها قبل هذه المفاوضات ؟

نحن نعلم أن ملنر قال انه لا يمكن رفض أية مسألة أو أى طلب لا ينطبق على روح المشروع ، وفى المشروع استقلال ، والاستقلال لا يوجد مع الحماية ، وقد فهمت الامة من المشروع سقوط الحماية . بهذا كله يستطيع المفاوض المصرى الرسمى أن يورط الانجليز ويحملهم على القبول)) .

سعد :

((ان كلام الاستاذ لطفى السيد لا يعتبر ردا على ملاحظاتي .

لقد قلت انه من السخافة أن يجرى الوفد على سياستين مختلفتين متناقضتين ، يقبل المفاوضة بشروط ، ويبيحها لعدلى بغير شروط .
ان هذا الاختلاف وهذا التناقض لا يستسيغهما العقل .

أما كلام لطفى بك فلا يخرج عن مجرد التساؤل .
وما هو الضرر من اتباع سياستين مختلفتين متناقضتين ؟ .
والجواب على ذلك واضح كل الوضوح لا يحتاج الى شرح أو بيان ولا الى تعليق وتعقيب)) .

عبد العزيز فهمى :

أنت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ، والوفد وافق عليها فى النهاية . وما ذلك الا رغبة من الاغلبية فى تأييدك ومحافظة على وحدة الوفد ، ودرا لالتقسام ولم تكن موافقة الاغلبية عن اقتناع أكيد وعقيدة جارفة بضرورتها وصوابها ، وما دمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين ولا ضرر من ذلك كما أبان صديقى لطفى السيد .

أما اذا كان قصدك بالعدول عن احدى السياستين هو اتباع سياستك وحدها وقبول عدلى لشروطك وقيودك مع علمه بأن الجانب البريطانى يرفض حتى مجرد النظر فيها قبل المفاوضات ولا يرى مانعا من مناقشتها فى أثناء المفاوضات ، فهذا هو الذى نعتبره غير مقبول ولا نرى فيه أية مصلحة ، بل المصلحة فى اتباع السياستين فى وقت معا وهناك حجج وجيهة تؤيد كلتا السياستين وتسوغ وجودهما جنبا الى جنب)) .

سعد :

((الان انتم تستسيغون هذا المنطق العجيب وهذا الموقف المريب !!

الوفد يضع لنفسه شروطا وقيودا يلتزم بها ويتنفيذها بالنسبة للمفاوضات الرسمية ، ثم هو فى الوقت نفسه يخلى لعدلى الميدان بلا شرط أو قيد بالنسبة للمفاوضات الرسمية .

أو بعبارة أخرى : الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط أو تحفظ .

الوفد يتخلى عن مهمته الاساسية وواجبه الاول في معالجة قضية الاستقلال وخدمة البلاد ، ثم يخلع هذه المهمة وهذا الواجب على عدلى يفعل بالقضية ما يشاء .

الوفد يقصى نفسه عافدا متعمدا عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجا ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيدا بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين .

امقبول هذا ؟ امعقول هذا ؟ هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول ؟ ((.

وهنا سكت الرئيس . . وهنا اضطربت الجلسة واخذ جوها يتكهرب فتجهمت الوجوه وتوترت الاعصاب وتحفزت الالسنه للكلام ، كما تتحضر الاسنة للصدام . ولكن الله اوحى الى عبده حمد الباسل ان يقترح رفع الجلسة لينقذ الموقف من الانفجار لا سيما انها جاوزت الساعتين او كادت اذ بلغت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

ذوافق الرئيس فورا وانتفض قائما بعد ان رفع الجلسة .

ووقف الاعضاء وبدأ الانصراف بعد سلام ليس فيه سلام .

وتفرق الاعضاء وفى النفوس ما فيها من خيبة امل وجفاء وكمد وخصام .

انى اشعر ان جلسة الامس كانت جلسة قوية غاية القوة تصارعت فيها الحجج وتصارعت فيها العقول وتصارعت فيها العواطف وتبارزت فيها الشخصيات بعد ان صبت لها القوات وتمت فيها الاستعدادات للنصر المبين ، ثم انتهت معركة الجلسة الى غير نتيجة ايجابية فكانت النتيجة سلبية تركت كل فريق فى مكانه لا يتزحزح عنه قيد انمله واشعر كذلك ان ختام الجلسة كان رائعا قويا غاية القوة بصفة خاصة ، وتجلت بهدية الرئيس سعد فيها اعظم جلاء

نستمع المتكلم الاول فنسلم بصحة وجهة نظره ، ونستمع الى المتكلم الثانى فنقتنع بقوة حجته ، ونصفي الى الثالث ثم الرابع ثم الخامس فنجد لكل منهم رأيا وجيها لاشك فى وجاهته ثم ينتهى سعد على غير انتظار بكلام فيه رصانة وقوة سخرية واقناع بغير اقداع .

كانت الجلسة كأنها حفلة موسيقية سيمفونية كبرى بدأت هادئة بأنغام وادعة ، ثم أخذت تعلو وتعلو وتتفرع وتنوع ، ثم تعلو وتزداد علوا ولا تهبط مرة واحدة ، ثم تزخر كالبحر العجاج المتلاطم الأمواج ، ثم تعلو وتعلو الى ذروتها فكانها رعد وبرق ، ثم تقف فجأة وفي النفس ما فيها من آثارها الساحرة المثيرة فسبحان من وزع المواهب ، وسبحان من نوع المذاهب ، وسبحان من علم الانسان ، علمه بالقلم واللسان ، وجمله بالاخلاق والفصاحة وكمله بحسن البيان وقوة الجنان . .

والموقف الآن يتلخص في جملة أو جملتين :

معسكر الأغلبية في الوفد يوافق الرئيس على سياسته القاضية بامتناع الوفد عن الدخول في أية مفاوضات رسمية أو الاشتراك فيها ما لم توافق الحكومة البريطانية على أن مشروع ملنر سيعدل بالتحفظات .

ومعسكر الاغلبية هذا يخالف الرئيس في عدم تأييده لعدلى ، وعلى الاقل في عدم تركه لعدلى في سلام حتى يؤلف الوزارة الجديدة ويتولى امر المفاوضات الرسمية ، كما يخالف الرئيس لامتناعه عن اصدار بيان للامة يهدف الى تمهيد الطريق أمام عدلى .

هذه هي الازمة التي لا حل لها ولا مخرج .

وهذه هي الصخرة التي سيتحطم الوفد عليها لا محالة فلننتظر وننتظر ، عسى أن يحدث الله بعد ذلك أمرا .

رأى الرئيس في عدلى وتوفيق نسيم :

قال لى الرئيس اليوم في أثناء تناولى الشاي معه بعض المعانى الكاشفة الحاسمة :

(١ - انهم يظنون انهم يستطيعون حملى على قبول ما لا اعتقد فيه ، انهم يعتزون بأغليبتهم ، ولكن لن أخضع لهم أبدا) .

٢ - ((انى لا أثق فى عدلى مطلقا ، وهو عندى كتوفيق نسيم وغيره من خدام رجعية السلطان واموان الانجليز ، بل لعل

هؤلاء خير من عدلى لانهم معروفون في الامة بعدواتهم لها والعمل على كيدها ، والامة لهم متربصة متيقظة ، وأما عدلى فيعتبر صديقا للامة ، ولا يكون عليه من العيون الساهرة والنفوس الساخطة المراقبة كالتى تكون لغيره .)

علوبة يكشف عن أمور كثيرة :

١٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

علمت من الاستاذ محمد على علوبة أنه اعترم العودة الى مصر هو وجميع أعضاء الاغلبية وذلك في يوم ١٩ يناير ، ونصحنى وهو غاضب وساخط على الرئيس أن أتركه وأن أعود الى مصر كذلك وأستأنف تربية (رجال الغد) على حد تعبيره ، أى أن أعود الى مهنة التدريس ، فلم أنبس بكلمة وأطرقت في سكوت وكمد .

ثم قال لى : ((انه لا يعرف ما ينبغى عمله بأموال الوفد التى هى أموال الامة .))

فسألته عن مبلغها ، فقال : ((انها حوالى ٨٠ ألف جنيه ، وان كل ما جمع من مصر لم يتجاوز ٢٠٠ ألف جنيه .

فلم أبد رأيا ، لانى لا أحب أن أبدى رأيا على البديهة وعلى سبيل التطوع والفضول .

وبعد فترة ساكنة ساهمة حزينة قال :

((أليس الخير لمصر أن يترك الوفد عدلى يسقى ويعمل من ناحيته بينما أوقد يسعى ويعمل من ناحيته الأخرى ، والمصريان لا شك يفيدان البلاد . عدلى يخدم مصلحة عاجلة ميسورة ، والوفد يخدم مصلحة آجلة عسيرة ، والمصريان والعمال يتعاونان ويكمل أحدهما الآخر .))

فقلت : ((هل تقصد أن عدلى يسعى ويحصل على ما يمكن الحصول عليه دون الاستقلال ، وألوفد يسعى ويجاهد حتى يحصل على الاستقلال .))

فقال : ((هو ذلك . ومع ذلك فمن يدرى لعل تشبث ملنر ولجنته بموقفهم هذا من رفض الموافقة سلفا على التحفظات

انما يرجع الى عدم رغبتهم في مفاوضة سعد في المستقبل نظرا لخشونته وتصلبه ، انه أخرج ملنر أكثر من مرة وضايقه ، كما ان ملنر لم يعامل سعدا كما يجب أن يعامل به كزعيم كبير، ورجل خطير . هذا ولا شك عندى في أن الانجليسز سيتساهلون مع صديقهم عدلى السياسى الناعم المذهب ويسلمون له بما لا يمكن أن يسلموا به لسعد الخشن المتشدد . ما الضرر اذا جرينا ذلك واحتفظنا بوحدة الوفد ووحدة الامة)) .

فقلت : ((لماذا لا تؤجلون السفر حتى يتم بحث هذا الموضوع .))

فقال : ((لا يا سيدى كفى اجتماعات وانفعالات ، اننا مسافرون الى مصر لا محالة في ١٩ يناير)) .

١٥ من يناير سنة ١٩٢١ :

انتقل الرئيس اليوم من مسكنه المؤقت في فندق الكونتنتال الى شقة مفروشة في منطقة التروكاديرو ، والشقة الجديدة بعيدة جدا عن مقر الوفد (في شارع مارييف) ، وقد قضيت النهار كله مع الرئيس لاشرافى على عملية الانتقال (العزال) . وعندما أقول (بعيدة جدا) أقصد انى لا أستطيع الوصول اليها مشيا من مقر الوفد خشية ضياع الوقت فلا بد من الذهاب اليها بالأتوبيس وهو دائما مزدحم جدا في وقت ساعات العمل التى أنتقل فيها .

جريدة المورنينج بوست تشوه حديثا للرئيس :

١٦ من يناير ١٩٢١ :

جريدة المورنينج بوست : الجريدة المسعورة للاستعماريين البريطانيين المحافظين نشرت اليوم خلاصة حديث ادلى به الرئيس الى (أحمد نجيب) ونشرته جرائد مصر مع جريدة الاخبار منذ يومين أو ثلاثة ، وقد تعمدت الجريدة المسعورة أن تنشره مقتضبا محرفا مشوها ثم علقت عليه بأن الحديث يكشف عن تغيير أساسى في خطة التعنت التى سار عليها زغلول باشا حتى اليوم ، واعتبرته نزولا على رأى عدلى بحجة أن الرئيس سعد قد اكتفى لقبوله الدخول في المفاوضات الرسمية أن يحصل على وعد (مجرد وعد) بأن تتضمن المعاهدة المنشودة نصا بالفناء

الحماية بدل أن تلغى الحماية من الآن كشرط أساسى ابتدائى .
والرئيس لم يقل هذا ولم يقل شيئا قريبا منه كما أخبرنى بذلك .
.. وسأنتظر حتى تصل إلينا الجرائد الرسمية وأسجل فى
مذكراتى هذه كل الحديث من أوله الى آخره . فلا فائدة من
محاولة تلخيصه الان .

قلت للرئيس : الا تريد ان تنشر تصحيحا لهذا التلخيص
والتعقيب والتشويه الذى تعتمد به هذه الجريدة الاستعمارية ؟

فقال : كلا : ان الحديث الصحيح منشور فى الجرائد المصرية .
فليرجع اليه من شاء وسيتضح كذب هذه الجريدة وتلفيقها وسوء
نيتها بغير مجهود منى عندما يتقصى المسئولون وغير المسئولين
بحثا عن الحقيقة . وهذه الجريدة تعتمد التشويه ، وليس اعمى
من الذى لا يريد ان يرى .

الفصل الرابع

ستة أعضاء اتفقوا على العودة الى مصر

١٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح الى مقر الوفد في شارع مارييف كالعادة ، وبعد ساعة من وصولي أو بعض ساعة حضر الأعضاء متفرقين كأنهم على موعد لعقد جلسة .

ولم يحضر الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا .

وحضر جورج دوماني وتسلم منهم جوازات السفر وأخبرني أن الأعضاء المعارضين للرئيس قد عزموا نهائيا على السفر الى مصر يوم ٢٠ الجاري ، وأنه ذاهب الآن لشراء تذاكر السفر برا وبحرا .

وشاهدت بين الأعضاء اضطرابا غير عادي وهو أشبه بالاضطراب والحركة السابقة للسفر الى لندن .

وبعد قليل دخل صديقي محمد على علوبة مسلما بشوشا كعادته .

فقلت له : ((يظهر انكم مصممون على السفر)) .

فقال : ((ان الحالة أصبحت لا تطاق ولا تحتل . ان الرئيس يهملنا ولا يقيم وزنا لرأي الأغلبية ، ولا يريد أن يتفاهم معنا . فالرأي رايه ، ويجب أن ننزل جميعا على حكمه ، أما هو فلا يحيد قيد شعر عن رأي كونه لنفسه ، ثم ان حديثه الأخير المنشور في مصر والذي لخصته جريدة المورنج بوست قد كشف عن سياسة جديدة له ، اذ يقول فيه ((ان الحكومة البريطانية اذا وعدت بأن تتضمن المعاهدة نصا بالغاء الحماية فان الوفد

يتدخل في المفاوضات الرسمية . مع ان الوفد سبق ان قرر
أنه لن يدخل في هذه المفاوضات ما لم تقبل جميع التعفظات .
ثم استطرد فقال : سواء اكانت سياسة الرئيس الجديدة صوابا
ام خطأ فليس هذا موضوع الخلاف وانما المهم انها سياسة
جديدة انفرد بها واذا دعاها وكان يجب ان يأخذ رأى الوفد فيها
قبل ان ينشرها)) .

فقلت : ((يقينا ليس هذا سبب عزمكم على العودة الى مصر))
فقال : ((بل هذا سبب جديد يضاف الى الاسباب العديدة
الآخري التي تبرر عودتنا الى مصر)) .

وهنا حدثت به بما دار بينى وبين الرئيس أمس بخصوص
ما نشرته جريدة المورننج بوست ، وأكدت له ان هذه الجريدة قد
تعمدت تلخيصه خطأ ونشرته بعد تشويه وتحريف .

فقال : ((ولماذا لا يسرع الرئيس ويجمعنا ويعرض علينا
الحقيقة ؟ او لماذا لا يرسل الينا نصر حديثه انطلق عليه وهذا
أقل ما ننتظره منه . ا »

ثم قال في مرارة ظاهرة : ((الحقيقة هي اننا اصبحنا لا نستطيع
التفاهم مع هذا الزعيم وهو يعتقد انه دائما على حق وصواب .
واننا دائما على خطأ وضلال وليس بيننا حكم يحكم فيما ينشعب
بيننا من خلاف . وفي كل الجماعات والاجتماعات كما تعلم .
الرأى دائما للأغلبية ، فالأغلبية يجب ان تحترم وتطاع . والأقلية
يجب ان يسمع رأيها . أى ان للأقلية الحق كل الحق في حرية
الكلام ، وللأغلبية الحق كل الحق في تنفيذ رأيها وقراراتها بهذا
تقضى القواعد الديمقراطية ومبادئها وتقاليدها ، بل بهذا يقضى النظام
وبغير هذا يستحيل العمل ويستحيل التضامن ويصبح الأمر
استبداد وفوضى ، وهذا ما وصلنا اليه الآن . وليس هناك حال
أسوأ من هذا الحال ، والاستمرار عليه من المحال » .

وهنا دخل صديقى الدكتور محمد صبرى (السوربونى) ومعه
جريدة (الاوفر) الفرنسية واطلعنا على برقية مطولة نشرتها
الجريدة لمراسلها في القاهرة وخلاصتها ان الاستياء أصبح شديدا
وما يزال يشتد ضد الوفد بين صفوف المعلمين وان المظاهرات
قامت في دمنهور والاسكندرية منادية بسقوط الوفد . وهاتفة
بحياة الحزب الوطنى .

ولما كان قد حان موعد ذهابي الى الرئيس في مسكنه ، استأذنت من الاستاذ محمد على علوبة في أن أنقل الى الرئيس حديثه معي مخففا ملطفا ، فأجاب مسرعا بل انقله اليه بغير تأطير ولا تخفيف .

واستأذنت من الدكتور صبرى في أن يعطيني هذا العدد من جريدة الاوفر لاطلع الرئيس على برفية مراسلها ، فلم يتردد في اعطائي اياها .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه وكان يطالع بعض الجرائد الفرنسية الصادرة صباح اليوم ، فلما دخلت عليه التفتي بها جانبا لانه يعرف انى أحمل اليه جديدا من اخبار الجرائد الانجليزية كل يوم .

قصصت على الرئيس كل ما شاهدت في مقرر الزوفد وكل ما سمعت وكل ما عرفت وقد دهش كثيرا من قرار الاغلبية على العودة الى مصر ، واطرق مفكرا كمن سمع نبا مفاجعا ، ثم رفع رأسه بعد قليل وقال :

((ولا يحق المكر السيئ الا باهله)) . يا سبحان الله : أهم الذين يتمسكون بالتحفظات الآن لا أنا . وهم الذين روجوا مشروع ملنر في مصر ، وتطوعوا بالزيف والبهتان في تفسير مواده . وهم القائلون بتأييد عدلى وسياسته معروفة)) .

ثم أخذ الرئيس يضحك في سخرية واستهزاء ، بل لمحت في ضحكته شيئا أكثر من السخرية والاستهزاء : فيها مرارة وكمد ، وفيها ضيق وخرج ، وفيها ذكريات مؤلمات ومخاوف من متاعب مقبلات . ثم عبس الرئيس وتجهم وقال في جدد ظاهر :

أعمل لخير مصر

((انهم يريدون اسقاطي بمحاولة اتخاذ هذا الحديث سببا للعودة الى مصر وقد كانوا راغبين في هذه العودة من زمان طويل ولكنهم لم يجدوا فرصة ملائمة ، وقد وجدوها الآن ، انا لن اسقط ابدا لانى ما عملت ، ولن أعمل الا ما اعتقد انه في مصلحة مصر . فان كان في حركتهم منفعة لمصر فانا راض كل الرضا ، وان لم يكن فلا امر ما ازاد الله وقوع هذا الانقسام ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، ان هذه الازمة قد طالت واحتدت

واشستدت ولو بقيت على حالها هذا لما انحلت ، انا في الحق
على صخرة والله لا بد أن ينصرنى)) .

احسست في هذه الكلمات ثقة بالنفس وايمانا بالله : ثقة
لا تتزعزع ولا تتزعزع ، وايمانا يزداد في الملمات ، ويتضاعف
في الازمات المدلهمات ، ولعل هذه من اكبر مظاهر هذا الزعيم
العظيم .

وانتهزت فرصة سكوت الرئيس لحظة وقلت : ان احتجاجهم
على خلاصة حديث تنشره جريدة انجليزية استعمارية سيئة
النية معروفة الماضى في تشويه كل شىء وطنى مصرى لسخافة
ما بعدها سخافة ، وسيدركون خطاهم وسخفهم عندما يطلعون على
نص الحديث كما نشرته الجرائد المصرية فلا تحزن يا سيدى ولا
تبتس ، انما الشىء الذى عليه مسحة من الصحة والوجاهة هو
اعتراؤهم بأغليبتهم وزعمهم عدم احترام الرئيس لرأى الاغلبية .

هنا قاطعنى الرئيس وصرخ في وجهى وثار كائى انا صاحب
هذا الراى او كائى او من بصحته ولم يتركنى حتى اكمل كلامى
واعبر عن كل ما في نفسى ، وقال في عبوس وتجهم :
((ماذا تقول ؟ فقلت : هذا ما يزعمون وهذا ما سيبنون عليه
قضيتهم في مسألة الانقسام والعودة الى مصر)) .

الحق بين الاغلبية والاقلية

فقال في غضب :

((ان ما قاله صاحبك محمد على علوبه كلام فارغ في حالتنا
الراهنه .

هل اذا وافقت الاغلبية على بقاء الحماية ، يخضع الرئيس
لهذه الاغلبية لانها اغلبية ؟

هل اذا وافقت الاغلبية على مشروع ملئ ، يطيع الرئيس
هذه الاغلبية لجرد انها اغلبية ؟

هل المسألة مسألة ارقام واعداد حسابية يخضع لها الانسان
ويطيع طاعة عمياء ، أم هي مسألة مبادئ وعقائد لا محيد عنها
ولا مناص ؟

لو أن لكل أغلبية الحق المطلق في انتزاع الموافقة والطاعة لها لما حل برلمان خذلت أغليبيته رئيس الوزارة باقتراع عدم الثقة به، ولكن الرئيس الذي يؤمن بأنه على حق يحل هذا البرلمان ويلجأ إلى الشعب لإعادة الانتخابات على أساس الموضوع الذي ثار الخلاف من أجله بين الرئيس وهذه الأغلبية . وفي أحيان كثيرة جدا تسفر الانتخابات عن فوز رئيس الحكومة وسقوط أعضاء هذه الأغلبية .

ولو أن كل أغلبية تنال ما تريد ، وتحضـع لسلطانها كل رئيس مخالف لها ، وكل أقلية معارضة ، لها التآمر عدد من الأعضاء نزولا على مصلحة مشتركة يستفيدون منها ، وتكونوا منهم عصاة وأغلبية في أية شركة أو أية جمعية ، وحاولوا بهذه الأغلبية تحقيق منافعهم الشخصية وخدمة أهوائهم الذاتية وإدراك أغراضهم الخاصة ونيل ما يشاءون من المكاسب . ولكن المسألة ليست بهذه الفوضى ، فهناك قوة تردع الأغلبية وتكبح جماحها ، وتقلع أظفارها وهي المصلحة العامة . فإذا آمن إنسان كماؤمن بأن الأغلبية قد تنكبت طريق المصلحة العامة ، وضلت سبيل الجماعة وهو طريق الرشاد ، وخرجت على القانون الذي يحكم أو التوكيل الذي يحدد الحدود ويقيم السدود في وجوه الطامعين والخائنين ، هنا تجب الثورة على هذه الأغلبية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أو مخالفة القانون .

وهذا هو الحال بيني وبين هذه الأغلبية التي يعتز بها صاحبك محمد على علوية ، وأما بقية كلامه عن حقوق الأغلبية وحقوق الأقلية وواجباتها فكلام محفوظ في الكتب ويدرسه الطلبة في المدارس ويطبق في الشؤون العامة حين تخدم هذه الشؤون في حدود القانون وحدود النظام والخير العام ، اليس كذلك ؟

يمكنك أن تعود إلى صاحبك محمد على علوية وتبلغه بهذه الحقائق ، وهذا الكلام الصريح «

ثم سكت الرئيس عن الكلام .

سعد يرفض

وبعد الظهر حضرت إلى مسكن الرئيس وحضر على ماهر وواصف غالي وسينوت حنا ، وانصرفوا في الساعة الثامنة وعقب انصرافهم دعاني الرئيس وقال لي :

((هل تعرف آخر الأنباء : فقلت ارجو أن اعرفها الآن . فقال صاحكا : ان الاعضاء العائدين يقترحون ألا يشترك في المفاوضات الرسمية الا أنا وعدلى على أن أظهر الرضا عن ذلك . فرفضت ذلك رفضا باتا)) .

فقلت : ((حسنا فعلت)) . ثم أخذ يضحك من أعماق قلبه .



١٨ من يناير سنة ١٩٢١

انى اشعر شعورا غامضا بأن أحداثا جساما ستقع في الايام المقبلة .

بهذا الشعور آويت الى فراشى ليلة امس ، وصحوت اليوم متخاذلا الاعضاء ، ولا عجب فقد كان نومى غرارا ، فيه ارق وأحلام .

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت في مقر الوفد جالسا امام مكتبى اطالع الجرائد الانجليزية ، واجمع ما فيها عن مصر واترجمه الى العربية لأعرضه على الرئيس كالعادة . وفي الساعة التاسعة والربع دخل صديقى الدكتور حامد محمود ، فسلم مهللا على طريقته ، وبعد قليل من سماعى أخبار غزواته تذكرت ما كان من أمره او ما توهمته في أمره ، فسألته لا سؤال الجاهل المستفسر بل العارف المتبصر .

— لماذا يا حامد سمحت لنفسك أن تخبر الرئيس بأن محمد على علوبه صديقى واننى كثير الاجتماع به ؟ فقال : اليس هذا صحيحا ، وهل تنكر ذلك أو تريد أن تخفيه)) .

فقلت : كلا .. أنا لا أنكر ذلك ولا أخفيه .

فقال : ولماذا إذن تعائبنى وقد أخبرته بعد أن سألنى .

فقلت : أنا لا أعاتبك وانما أريد أن أعرف المناسبة التى قبل فيها ذلك .

حامد : ((هل تذكر يوم أن مسكونى في المصيدة : يوم أن نزلت الى كافيه فوكيه للجلوس معك .

وكان هناك محمد على علوبه والمكبائى وحمد الباسل وسالونى وضايقونى وأخرجونى بمناسبة سفرى الى إنجلترا لمقابلة مستر بلنت ، ولم أجب على أسئلتهم وأنكرت كل شيء ؟))

فقلت : أجل اذكر كل ذلك ، وكان هذا في يوم ٨ يناير مساء .

حامد : في اليوم التالي قابلت الرئيس وقصصت عليه كل شيء فسألني .. هل كامل معتاد الجلوس مع هؤلاء الاعضاء الثلاثة ؟

فقلت : كلا .. كامل معتاد على الجلوس مع محمد على علوبة فقط وهو صاحبه .

فقلت : ((يا حامد .. انت تعرف اني انزل بعد الغشاء للجلوس في كافيه فوكيه للراحة من تعب اليوم وأعماله . ثم أعود للنوم . فاذا اتى أحدهم وجلس معي فهل معنى ذلك أنه صديقي ؟)) .

حامد : ((هل انت مستاء مني ؟))

فقلت : ((كلا لست مستاء منك ؟))

حامد : ((ولماذا هذه المناقشة ؟))

فقلت : كلما ورد اسم محمد على علوبة على لسان الرئيس نظر الى وقال (صاحبك) ثم يوجه الانتقادات اليه .

حامد : انا انصحك ان تقلل اجتماعاتك به وبغيره .

فقلت : «لن أفعل ذلك ، والرئيس يعلم اني أريد ان أكتب تاريخ المفاوضات وحياة الوفد في لندن وباريس ولا بد أن أحيط علما بكل التفاصيل ومن جميع الاطراف »

والآن قد حان موعد زهابي لمقابلة الرئيس في مسكنه .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس اعرض عليه ما ترجمته هذا الصباح فلما فرغت . أملى على الخطاب الآتي لأرساله الى طاهربك اللوزي في القاهرة :

خطاب الرئيس الى طاهر اللوزي :

باريس في ١٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

عزيزي طاهر بك

أهديك سلامي وبعد ، فقد وصل خطابك الاخير واستفدت منه الشيء الكثير ويسموؤني أن أخبرك بأن الخلاف اشتد في الوفد اشتداد تعذر تلافيه مع ما بذلت من جهد ، وما وسعت من صدر

وما ضيقت من حق ، وما ضحيت من شعور ، ونقطة الخلاف
الآخرة تنحصر في أن المخالفين يريدون تأييد عدلى في خطته وأريد
القضاء عليها ، لأنها مضرّة كل الضرر بالبلاد ولا يترتب عليها وعلى
اتباعها إلا تأييد الحماية وضياع الاستقلال . وقد عزم المخالفون
على العودة إلى مصر بعد أن أعياهم الجهد في حملى على إعلان
الثقة بعدلى وذلك لكي يقوموا هم بهذا التأييد علنا أن مكنتهم
أحوال الأمة منه ، أو سرا إذا لم تساعد هذه الأحوال . أما أنا
فتأبّت في موقفى ، مصر على البقاء فيه ولو تخلى عنى جميع قومى ،
لأنه خيرا لى أن يتخلوا عنى من أن أخونهم بالجري على خطة أراها
مضرّة كل الضرر بهم ، وعلى الله توكلى ومنه أستمد معونتى
والسلام .

سعد زغلول

الأعضاء المسافرون يودعون الزعيم

١٩ من يناير سنة ١٩٢١

في الساعة العاشرة من صباح اليوم كنت مع الرئيس وهو في
أشد حالات الانقباض وأخبرنى بأنه لم يتم ليلة أمس إلا قليلا
من كثرة القلق والحاح التفكير . وقال لى أنه يشعر بأنه لا يملك
لنفسه أمرا وأن التدبير الآن لله وحده ، ثم قال فى إيمان عظيم
« أن الله عودنى أن ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة
من حيث لا أدري فلأنتظر فرجه » .

وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة تستأذن فى دخول بعض أعضاء
الوفد ، فخرجت لاستقبالهم فإذا هم أعضاء الاغلبية المسافرون
إلى مصر هذا اليوم .

دخل على الرئيس عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على
علوبة ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباشى وحمد الباسل وتركتهن
مجتمعين وخرجت بعد أن أغلقت باب الغرفة عليهم ، ولا شك
عندى فى أنهم حضروا للتوديع .

وجلس فى مكتبى أفكر وأنا فى عاطفة دافقة من الاسى والاسف
ماذا يقولون وهم متخاصمون ؟ وفى أى موضوع يتكلمون وقد
قتلوا كل موضوع بحثا ودرسا بغير تفاهم أو اتفاق ؟

هل يتفاهمون الآن بعض التفاهم على بعض المسائل ثم يفترقون أقل خصاما ؟ وبهذا يتفقون على (هـدنة) حتى ينجلي الموقف وتتضح معالم الامور .

أو هل سيتعاقبون ويتشاحنون ثم يفترقون أعداء الداء بعد أن كانوا أصدقاء أوفياء . وبهذا تقوم في مصر (حرب الأهلية) لا يعلم مصائرهما إلا الله وهي وبيلة على كل حال ؟

كيف يتحدثون وقد سبق أن تحدثوا في كل شيء بغير نتيجة سوى الخلاف والانقسام ؟

هل يقتصرون على مجرد السلام والتوديع وما يصحب هذا وذاك من مراسم الملاطفة والابتسام ؟

لست أدري لماذا أحب دائما أن أسبق الحوادث ، وأحاول هكذا فكرت وأنا في دوامة من التفكير التنبؤ بما قد يكون أو لا يكون . لعلني أجد في ذلك رياضة للعقل وشجذا للخيال : أجد متعة في استعراض المقدمات والسير بها الى نتائجها قبل ظهورها ، وأجد متعة في تصور المواقف والاحوال قبل تطورها وطلوعها . ما أكثر الذين يعيشون في الماضي ويتحدثون عن شئون الماضي ، ولا يستعملون في كلامهم غير (الفعل) الماضي .

وأما أنا فلا أجد في الماضي إلا مخزنا (أستخرج منه بعض الشواهد والعبر والعظات) الوقت بعد الوقت ، وأحب التحدث عن شئون الحاضر ، وأميل الى استعمال (الفعل المضارع) في كلامي . وأرى في ذلك محكا للعقل والخيال ، وهذا خير صرف على كل حال .

وهنا فكرت مرة أخرى محمولا على نفس الدوامة : فكرت في موضوع آخر فكرت في الرئيس سعد وهو جالس وحيدا في غرفته بعد ليلة مؤرقة وتعب ظاهر وعلى اكتافه مخاوف وتبعات جسام . وفي أنحاء جسمه شيخوخة مضنية وجيش من السقام ثم يدخل عليه ستة من الرجال يهددونه بالانفصال عنه ، وإعلان الحرب عليه . . . ألم يكف أن الانجليز ضده ، وأن عدلى عدوه ، وأن لعبدلى أنصارا كثيرين في مصر يتزايدون يوميا بدافع المنافع العاجلة ، ألم يكف أن الاحكام العرفية البريطانية تفتك برجال سعد وأنصار الوفاء وتهددهم في حياتهم وأرزاقهم ؟ .

واليوم تخرج أغلبية الوفد على هذا الرئيس الشيخ المريض، ثم تدخل عليه في حجرته ، وهو في عزلة ووحدة، وتعلنه بالانشقاق وتنضم علنا الى خصومه وأعدائه الالداء ؟ انها لقسوة ما بعدها قسوة ..

وان قلبى ليزوب حنانا وعطفاً عليه وهو فى هذه المحنة . وفى هذه العزلة وهو جالس وجها لوجه يستقبل ستة من أحواله المقربين (سابقا) ويستمع الى أحاديثهم وليس فيها الا كل تهديد وانذار ، وما لا ينطوى الا على كل شر وبوار .

ان سعدا يحمل لسانا أشد من السياط والحد من الحسام ، ويحمل قلبا كقلب الاسد اذا وقع الصدام . ويمتاز بعقل قوى لماح حاضر البديهة قوى الحجّة . صامق البيان لا يتلعثم ولا يرتبك ولا يضطرب وهو وسط المعمان .

هكذا جرى تفكيرى فى الناحية الانسانية لسعد ، وفى الناحية الموضوعية لهذا الاجتماع الكريه .

وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة وخرج أعضاء الاغلبية المنشقون المسافرون يتقدمهم زعيمهم عبد العزيز فهمى ، ومروا على مكتبى مسلمين مودعين ، وطلب الى صديقى محمد على علوبة أن أقابله فى مقر الوفد بشارع مارييف ليسلمنى بعض الاوراق ، ثم تناول معه الغداء قبل سفرهم بقطار الساعة الثانية بعد ظهر اليوم ، فشكرته سلفا على دعوة الغداء وقبلتها بغير تردد .

محضر مقابلة التوديع

دعانى الرئيس فورا بعد خروجهم فدخلت عليه ، ووجدت وجهه مكفهورا شديدا الاحتقان وطلب الى الجالس فجلست ، وقال انه يريد أن يهلى على (محضرا) لهذا الاجتماع الاخير بينه وبين هؤلاء الاعضاء ، فلما اظهرت استعدادى للكتابة ، قال الزعيم سعد :

((حضر صباح اليوم كل من عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد الباسل والمكبساتى فاستقبلتهم استقبالا لائقا ، وبعد الكلام فى الهواء والبرد والشتاء قال عبد العزيز فهمى اننا نريد أن نستأذن فى السفر الى مصر ثم قال لطفى السيد ونحن أيضا مسافرون كلنا «

قلت : (متى تسافرون) قال اليوم . فقلت بسلامة الله .
وقال لطفي السيد : (اننا نريد أن نبحث الحالة ونقدم لكم
تقريراً بها .

فقلت : (أشكركم ولا حاجة بي الى تقريركم فلا تكلفوا خاطركم
بذلك) .

فسكتوا جميعاً ، وبعد ذلك خضت في حديث عن سقاسف
الامور .

ثم استاذنوا ووقفوا للانصراف .

فقلت : وما الذي تم في امانة الصندوق . فقال محمد علي
علوبة : (كما تريد) .

قلت : تعطى الى واصف بك غالى ، فقال محمد علي علوبة :
كما تشاء .

قلت : (هذا ما اشأؤه) .

فقال علوبة : (نبحث في ذلك) .

واراد بعضهم أن يعود فيجلس للكلام في هذا الموضوع ، فقلت
على الرحب والسعة ، ان هذا محلكم . فقال احدهم : لا بل
تذهب الى الوفد .

قلت : كما تشاءون . وجاء في كلام علوبة انه لا يغيب في مصر
الا شهراً .

قلت : تعود امانة الصندوق اليك بعد ذلك .

فقال علوبة : (ستنظر في ذلك) .

تم انفضوا ، وعند وصولهم الى الباب قلت : (انه لا أهمية
لذلك) .

هذا هو المحضر الذي املاه على الرئيس سعد بنفسه .
وقد ادهشني بل اذهلني ما فيه من ايجاز وجفاء وخصومة
صارخة مع التحدى المكشوف ، وانعدام روح المسالمة والمساومة
اصابني حزن شديد يمازجه ذهول أشد .

وقلت في نفسي : هذا انفصال الى غير اتصال ، وهذا افتراق
الى غير لقاء . وقد انفجر الجفاء المكتوم ، والغضب المكظوم الى
عداء ليس بعده عداء ، عداء لا يعقبه سلم وليس فيه بعد اليوم
سلام .

وهذا الذى حدث فى الاجتماع الاخير : اجتماع الوداع اسوأ
كثيرا مما تصورت فلا حول ولا قوة الا بالله .

وبعد ساعة خرج الرئيس من مكتبه . وذهب الى مخدعه .
وخرجت من مكتبى وذهبت الى مقر الوفد بشارع مارييف
لمقابلة صديقى محمد على علوبة حسب الوعد الذى اتفقنا عليه .

آخر مقابلة لى مع علوبة :

قلما وصلت وجدت الأستاذ علوبة جالسا فى حجرة مكتبى فى
انتظارى فاستقبلنى كهادته بابتسامته العريضة كأن شيئا يعكر
الصفو لم يقع .

ثم سلمنى خطابا وشيكا باسم واصف بك غالى .

وفى الجواب يقول ((بما أننا مسافرون الى مصر فقد قرر
الاعضاء الموجودون الآن بمقر الوفد ترك مبلغ ١٥٠ ألف فرنك
لعمل الوفد ، واذا احتيج الى أكثر من ذلك لو تأخرنا عن العودة ،
ففيديونا فى الوقت المناسب لارساله ، وبرفقه خطابى هذا الشيك
بهذا المبلغ)) .

فقلت : ان هذا القرار وهذا الخطاب سيفضيان الرئيس أشد
الغضب .

فقال : لا حيلة لى فى ذلك أنه اراد ان يكون واصف غالى أمين
الصندوق ولكن الاعضاء قرروا أن يعتبروه مساعدا لأمين الصندوق
فقط . وأن يودعوا عنده هذا المبلغ ، وأنا رجل دستورى أطيع
الإغلبية ، وقرار الإغلبية نافذ حسب قانون الوفد ، بل كل قانون
على ظهر الارض .

ثم خرجنا من مقر الوفد لاتناول الغداء معه بناء على دعوته .
وقد سألته فى أثناء الطريق : ما أثر مقابلتكم للرئيس فى نفسك
ونفوس زملائك .

فقال : ان سعد باشا رجل شديد الاعتداد بنفسه . لقد كان
صارما معنا أكثر مما ينبغى ولعله توهم ان زيارتنا له كانت واجبا
علينا نؤديه له . أو أننا نريد منه خطاب توصية يزكينا لدى الأمة
ويدرأ عنا غضبها . كان يمكن أن يكون اللقاء والوداع فى جو

غير هذا الجو : فيه أسف متبادل وبعض الأمل في صلاح الحال .
ولكن التعاون مع سعد زغلول مستحيل لأنه مطبوع على التمسك
بكل ما يراه .

وقال لى في أثناء تناول الغداء :

((ان الأمة ستهتز اهتزازا شديدا بعودة ستة من الاعضاء
البارزين في الوفد لا سيما وهي عودة فجائية . ولم تسبقها
مقدمات وليس لها سبب معروف .

وسنكشف كل الحقائق للأمة ولا يخالجننا شك في أننا
سنكسب كل المتعلمين المثقفين في مصر ، فهدفنا جميعا واحد وهو
الاستقلال ، وكل ما هنالك أن سعدا يسير في طريق مسدود ،
ونحن نريد العمل في الطريق الوحيد المفتوح . وأن عدلى رجل
سياسي ، والأمل الوحيد معلق عليه)) .

وبعد أن سكت قليلا استطرد فقال :

نحن، لا نحتمل مسؤولية سياسية ينفرد بوضعها الرئيس .

ونحن لا نرى رأى الرئيس في منع كل من يتصنذى لاتمام
العمل ، ومحاربة كل من هو قادر على العمل المثمر المفيد . وإذا
كان سعد قد وضع القيود للوفد . فليس له أن يفرض هذه
القيود فرضا على غيره من العاملين المخلصين .))

فسألته : ماذا تقولون للأمة عند وصولكم الى مصر ؟

فقال : ((سنقول بصراحة)) ان الخلاف في رأى بيننا وبين
سعد واقع . وان اخبار الخلاف والانقسام في الأمة تزايدت فأردنا
الوقوف على الحقيقة واستشارة ذوى الرأى من المصريين واننا
سنعود قريبا الى باريس)) .

وهنا انتهى الغداء . فذهبت الى المحطة : محطة الجاردى ليون
... وحرصت على أن أكون في توديع الاعضاء المسافرين . ولم يكن
هناك من المودعين الا على ماهر وسينوت حنا وأنا وكان الفتور
باديا على الجميع .

فلما أظهرت الاسف لمحمد محمود باشا على هذا السفر قال :
((نحن في مأزق لا مخرج منه) . ولا بد من الخروج منه
نحن أو غيرنا من المصريين)) .

وفي الساعة ٢ بعد الظهر تحرك القطار المسافر الى مارسيليا حاملا لطفى السيد. وحمد الباسل ومحمد على علوية ومحمد محمود . . وكان القطار يحملهم الى الدار الآخرة .

وفي الساعة الثامنة تحرك القطار الى مارسيليا حاملا عند العزيز فهمي وكان قطع تذكرة السفر قبلهم ولم يجدوا في قطار المساء هذا أماكن للنوم . . وهو أكثر راحة من قطار الصباح . وكان في توديعه على ماهر وسينوت حنا وانا . أما المكباتي فسيسافر غدا الى ايطاليا ومنها الى مصر .

والآن قضي الامر ، ووصلت الازمة الى نهايتها ، ولكن الرواية لم تنته فصولها .

الفصل الخامس

سعد يقول أنا الوفد

في الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبت لمقابلة الرئيس في مسكنه وسلمته خطاب محمد على علوية ومعه الشيك بمبلغ ١٥٠ ألف فرنك ، فتسلمها الرئيس سائخرا وقال : ((أننى لا أتزحزح وإيمانى بالله لا يتزعزع ، أن وجودهم في باريس شر من عودتهم الى مصر ،)) وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)) .

فسألته في استحياء : ((وماذا عسى أن يشعر الانجليز الآن بعد عودة الفريق الأكبر من الاعضاء ؟))

فاجاب : (لا يهمنى ما يشعرون به أو ما يفكرون فيه : أنا الوفد . ولا أعمل الا ما أعتقد ، وليفعل الله ما يريد .))

وفي المساء حضر حافظ رمضان لزيارة الرئيس . . . جلس معه أكثر من ساعة ، واتفق مع الرئيس على ارسال برقية منه الى جريدة الاهرام وهى تتضمن سفر ستة من أعضاء الوفد الى مصر بحجة بحث الحالة فيها ، ولكن السفر بغتة ثم بغير ارادة الرئيس . والظاهر هو أن عودتهم راجعة الى رفض الرئيس اقتراحهم بتأييد عدلى وسياسته .

الرئيس يعين واصف غالى أمينا للصندوق

٢٠ من يناير ١٩٢١ :

كنت فى مكتبى بمقر الوفد فى صبيحة هذا اليوم أتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة وكان معى الدكتور حامد محمود والدكتور محمد صبرى (السوربونى) وأحمد نجيب مراسل

الاخبار ، وكانوا يتحادثون في أمر المنشقين الذين سافروا الى مصر أمس ، ويتنبأ كل منهم بما عسى أن يعملوه في مصر بعد عودتهم .

وفجأة دخلت (أوجستين) الخادمة الفرنسية التي تنظف وتنظّم حجرات الشقة التي اتخذها الوفد مقسرا رسميا له ، وهمست في أذني بان سائق سيارة الرئيس على الباب يريد التكلم معي . فاستأذنت أصحابي وتركتهم وقابلت سائق السيارة على باب الشقة ، فقال لي أن الرئيس في السيارة ويطلب مني أن أنزل لمقابلته . فنزلنا معا ، ووجدت الرئيس جالسا في السيارة وحده فطلب مني أن ادخل الى جانبه ففعلت . ثم قال :

((خذ هذين الخطابين يا كامل واذهب بهما وحدك : أحدهما الى مدير بنك دي روما ، والثاني الى مدير بنك الكريدي ليونيه ، وقابل المديرين وسلم كلا منهما الخطاب المعنون باسمه)) ثم كرر الارجاء أن اذهب بهما فورا الآن .

ففعلت وبدأ لي من العنوانين أنهما بخط واصف غالي . فخمنت بغير عناء أنهما لابد ينطويان على اشعار المصرفين ((بأمين الصندوق الجديد)) .

وصدق تخميني اذ اوصلت خطاب بنك دي روما . وسألني المدير ((هل انت واصف غالي بك ؟)) فقلت : لا . أنا السكرتير الخاص لرئيس الوفد . فقال ((أخبر الباشا أننا سنعتمد أمين الصندوق الجديد)) . ثم اوصلت خطاب بنك الكريدي ليونيه وقال لي المدير : سنعمل بما فيه . وذهبت الى مسكن الرئيس وأبلغته ما تم ، وسألني هل ذهب معك دومباني :

فقلت : كلا ذهبت وحدي . قال أحسنت . ولا تخبر احدا .

جريدة التيمس تنتقد حديث الرئيس !

٢١ من يناير سنة ١٩٢١ :

يظهر أن الحديث الذي سبق أن أدلى به الرئيس الى أحمد نجيب ونشرته جريدة الاخبار والجرائد المصرية ، ثم نشرته

- ملخصا محررًا جريدة المورننج بوست في ١٦ من يناير وأغضب أعضاء الاغلبية في الوفد ، كان حديثا مشوهها لم يفهم على حقيقته .

فقد نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر صباح اليوم رسالة من مكاتبها في القاهرة وصف الحديث بأن فيه بعض الغموض والابهام وفي بعض أجزائه تناقض ، وأن تأثيره في الرأي العام في مصر كان سيئًا جدًا لقلّة ما فيه من صراحة ، وقد استفاد من ذلك خصومه واستغلّوها استغلالًا سيئًا حتى اضطرت جريدة الوفد نفسها (أي جريدة الاخبار) إلى انتقاده ، وأن البسخط عام لان الناس فهموا منه أن زغلول باشا مازال على اتصال مع الحكومة البريطانية وكانوا يجهلون ذلك .

ماكدت أفرغ من ترجمة هذه الرسالة حتى تذكرت أن أحمد نجيب سيق أن قال لي : أن الرئيس هو الذي يضع بنفسه الأسئلة والاجابة عنها ، وضرب لي مثلا على ذلك ، أن الرئيس وضع سؤالاً على الوجه الآتي :

((سمعت أن صديقاً لمصر يسعى للتوفيق بينكم وبين الحكومة البريطانية ، فهل هذا صحيح ؟)) والرئيس يقصد بهذا الصديق مستر بلنت .

وللمرء أن يتساءل : كيف عرف مراسل الاخبار ان صديقاً لمصر يقوم بهذه المهمة في الوقت الحاضر الذي تبدو كل الظواهر فيه أن الصلة مقطوعة بين الرئيس والانجليز ؟ ثم هل المراد أن ذلك فتح باب الامل امام المصريين ؟ أو ما هي الحكمة من توجيه سؤال بهذا المعنى ؟ لعل هذا هو الغموض أو الاتهام الذي أشار اليه مراسل التيمس .

انتقلت الى مسكن الرئيس وأطلعته على المنشور في جريدة التيمس ، فتألم لذلك كثيراً وأخبرني بأنه تلقى خطاباً من مصطفى النحاس بهذا المعنى كذلك .

خطاب الرئيس الى سعيد زغلول !

ثم سكت وأطرق وفكر ، وأملى على خطاباً مسهباً الى سعيد زغلول ((وكثيراً ماكتب اليه خطابات سياسية شارحة المسائل

السياسية ومشكلات الساعة ، واقتبس من هذا الخطاب
العبارات الآتية :

١ - سافر ستة من أعضاء الوفد الى مصر لانهم أرادوا منى أن
أعلن الثقة بعدلى وخطته ، فلم يطاوعنى ضميرى لأسباب عديدة
ان أوافقهم على ذلك ، فسافروا لينفذوا فى الأمة خطتهم على
ما هو ظاهر . وما أردت أن أعلن للأمة خلافهم ولا أن أفند
للناس آراءهم استبقاء للوحدة ان كانت باقية ، وابتعاد من أكون
السبب الأول فى هدم ما بنيت ، والعامل على تشتيت الشمل
الذى جمعت ، وسأبقى ساكنا حتى تنقشع السحابة . والله ولى
الصابرين .

٢ - ولا يخالجنى شك فى أن وصولهم الى مصر سيولد كثيرا من
الظنون ، ويشير كثيرا من الشكوك وهو ما آسف له أشد الأسف ،
ولكن نفذ القضاء ولا راد لحكمه ، كان الله لا يريد لهذه الأمة
خيرا فقد ضلت عقول كثيرة . وأشكل عليها الجلى الواضح .

٣ - قال قوم بمناسبة حديث (الاخبار) ان الوفد غير خطته ،
وقال آخرون انه لطفها ، وبنى كل على فهمه من الاوهام ما بنى

وانى لشديد الحزن لانى لم أر من بين هؤلاء من يقول على
الحديث انه شرح خطة الوفد وجلاها : لا تطفيا شمسدة ،
ولا تعديلا لخطة ، بل ايضاح لحقيقة ، وقد قيل لى ان كثيرا من
المقلاء فهموها على غير وجهها .

٤ - ظننتم أو ظن أكثركم انى أطلب قبل الدخول فى المفاوضات
الرسمية أن نحصل على الفاء الحماية فورا بحيث لا تدخل مصر
فيها الا وهى حاصلة بالفعل على تمام استقلالها ومطلقة من قيد
الحماية . والحقيقة انى طلبت قبول التحفظات ، وان يشتمل
المشروع على نص يلفى الحماية . وليس المشروع الا مجموعة
اقتراحات أو توصيات يقدمها ملر الى حكومته . وعجيب شأن
الناس ان يتوهموا من التاكيد الذى طلبناه ، انه مجرد وعد
شفوى ، مع ان التاكيد قد يكون وعدا كتابيا أو شفويا ، وقيل
يكون رسميا أو عرفيا . فلماذا اختارت هذه العقول اخس انواع
التاكيد ، ونسبت اليها الاكتفاء به ، وأولت ما أولت ونسبت ان
الذى يقول بهذا التاكيد هو الذى وضعت الأمة ثقها فيه . اللهم
يكن من العقول ان يظن بهذه الثقة خيرا ، ويترك له تقدير التاكيد
ودليله ، وتنتظر بحسابه وقت الحساب ؟ ليست المناقشة فى

هذا الموضوع وأشباهه عرضا من أعراض الهبوط الذى يقال انه نزل بالامة فتخطت في سيرها ، وكأنها تريد الخلاص من قاداتها . فظهر المتظن في أعمالهم ، والشاك في نياتهم . وما اتوا بمشكك ولا صدرت منهم شبهة ، بل لم يزدادوا على الايام الا تمسكا بمبادئهم وتعلقا بمخطتهم ؟

٥ - سامح الله هؤلاء فيما يشكون وفيما يتأولون . ولسوف يعلمون انهم كانوا على خطأ عظيم وان الذى شرفوه في اول الامر بثقتهم لم يعمل الا على تحقيقها . ولم يكن له ذنب سوى كونه اعتمد على معونة من ضعفوا عن المعاونة ، ولعلموا انه ثابت في مركزه . مقيم على عهده لا يتحول عنه قيد شعرة .

٦ - انى اعتقد ان المفاوضات الرسمية التى قيل عنها ما قيل ان هى الا خدعة . ولا يمكن ان يترتب عليها مزية أكثر من المزايا التى اشتمل عليها مشروع ملتر ، وانهم يعتمدون على نجاح هذه المفاوضات على ثلاثة عوامل : الزمن والسلطة والصيغ .

● الزمن : يولد الملل ويزيده

● والسلطة : ترغب وترهب .

● والصيغ : تقسم الآراء . فمن آخذ بظاهرها الخلاب الخداع ، ومن ناظر الى باطنها المظلم الخطير ، فاذا دخلت الامة في المفاوضات قبل تعديل المشروع بالتحفظات فانها لا تنتهى منها الا وهى منقسمة بدل القسمين أقساما ، ومصابة بدل الهبوط هزالا ، وبدل الملل ياسا ، فتقبل ما كرهت ، وتمضى على ما رفضت .

تأليف رابطة للموظفين البريطانيين في مصر :

٢٢ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جريدة التيمس اليوم (بل كل الجرائد الانجليزية) خبرا خطيرا من مراسليها بالقاهرة تطير له الرئيس ، وتشاء به وقد جاء فيه :

((ان الموظفين البريطانيين الموجودين الآن في خدمة الحكومة المصرية قد عقدوا أمس اجتماعا هاما انتهى بتأليفهم نقابة او (رابطة) ترعى مصالحهم في الجبال والاستقبال . وذلك حتى

لا يمسهم سوء أو طرد من أى نظام أو تغيير قد يطرأ على الإدارة المصرية كنتيجة للمفاوضات الرسمية المقبلة)) .

وقال لى الرئيس : ((ان هذه المسألة فى منتهى الخطورة)) .

فسأله : ((واى خطر أو أخطار فيها ؟))

فقال الرئيس :

((لاجل أن تدرك مدى فداحة الاخطار التى أثارها فى نفسى هذا النبا يجب أن تعرف أولا تكوين الحكومة المصرية أى الإدارة المصرية فى الوقت الحاضر :

الوزراء المصريون ممنوعون من البت فى أى موضوع الا بعد أن يبت فيه المستشارون البريطانيون أولاً ، فالوزير المصرى لا ينظر فى أية مسألة أو أية ورقة الا بعد أن يؤشر عليها المستشار البريطاني ، بهذا قضى الاحتلال ، وبهذا يحكم الاستعمار .
ثم انظر بعد ذلك الى عدد الانجليز ووظائفهم فى الحكومة وعدد المصريين ووظائفهم تجد الفرق شاسعا :

١ - جميع وظائف المستشارين فى كل الوزارات يشغلها الانجليز (ولا تعرض أية مسألة على مجلس الوزراء الا بعد أن يوافق على عرضها المستشار المالى ويحضر جلسات مجلس الوزراء المستشار الى الانجليزى . ولا يجوز الاجتماع فى جلسة فى غيابه) .

٢ - جميع وظائف وكلاء الوزارات يشغلها الانجليز .

٣ - جميع وظائف مديرى العموم يشغلها الانجليز .

٤ - كل وظيفة سكرتير عام أو سكرتير مالى يشغلها الانجليز .

٥ - جميع الوظائف الرئيسية فى الجيش والبوليس يشغلها الانجليز (والدرجات الصغرى يشغلها المصريون) .

٦ - جميع وظائف المراقبين ورؤساء الاقسام واللجان يشغلها الانجليز .

٧ - تسعة أعشار الدرجات الاولى يشغلها الانجليز (والعشر يشغلها المصريون) .

٨ - ثلاثة أرباح الدرجات الثانية والثالثة والرابعة يشغلها الانجليز (والرابع يشغلها المصريون) .

٩ - الدرجات الخامسة والسادسة والسابعة وما هو أقل منها يشغلها المصريون .

١٠ - درجات الخدمة السائرة يشغلها المصريون .

١١ - حوالي ٤٠٪ من ميزانية الموظفين تذهب الى جيوب الانجليز مع ان عددهم لا يكاد يزيد على ١٥٪ من عدد موظفي الحكومة من المصريين .

١٢ - وفي السنتين الاخيرتين عين الانجليز عددا كبيرا من ابناء وطنهم الانجليز في الوظائف التي كان يشغلها المصريون قبل خروجهم الى المعاش .

فماذا يتضح من هذا كله ؟

يتضح ان الاداة الحكومية بما فيها الجيش والبوليس تحت السيطرة الكاملة للانجليز ، فان شاءوا شلوها بالخروج دفعة واحدة او بالاضراب جملة اذا كانت لهم طلبات وترفضها حكومة مصر المستقلة . فكل حكومة مصرية مستقلة ستكون تحت رحمتهم ، فاذا تذكرت بعد ذلك ان وراء هؤلاء الموظفين الانجليز مندوباساميا بريطانيا ينتصر لهم دائما ، وجيش احتلال يؤازرهم دائما ، امكنت ان تدرك مدى النكبة)) .

وهنا سكت الرئيس قليلا ثم استطرد فقال :

((الا تذكر ان موضوع الموظفين الانجليز في خدمة الحكومة المصرية كان من الموضوعات الهامة التي بحثناها مع ملتر ، واهتمت بها لجنة ملتر أشد اهتمام ؟

الا تذكر ان ملتر سألني ماذا تنبوي أن تصنع مصر المستقلة بهؤلاء الموظفين البريطانيين ؟ .

فأجبت بآن مصر المستقلة ستكون حرة في ابقاء من تريد واخراج من تريد مع اعطائه التعويض المناسب ، وهو مرتب شهر عن كل سنة خدمة . ولكن اقتراحي هذا رفض . ومع ان لجنة ملتر نفسها قد اعترفت بأن عدد الموظفين الانجليز قد زاد زيادة فادحة في السنوات الاخيرة : زيادة اكثر مما تقضى به الضرورة (على حد تعبير ملتر) . فانهم لم يقبلوا اقتراحي ، وهددوا بأننا اذا أغضبنا هؤلاء الموظفين فانهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية جملة ومن تلقاء انفسهم ، ولو فعلوا ذلك لوقعت كارثة للحكومة المصرية .

ولجنة ملتر بعثت الينا بعد ذلك بمذكرة خاصة في هذا الموضوع ، وفيها نص اقترحتة لكي يدمج في صلب مشروع

المعاهدة . وهو يقضى بأن الضباط البريطانيين في الجيش والبوليس والموظفين والبريطانيين الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية . وتحدد المعاهدة المعاش والتعويض الذى الذى يجب أن تمنحه الحكومة المصرية لهؤلاء الضباط والموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون المصرى الحالى ، ومعنى هذا فيما أراه وأخشاه :

أولا : أن تدفع لهم الحكومة ملايين الجنيهات على سبيل التعويض لخروجهم قبل سن المعاش .

ثانيا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم مجموع ما هيأتهم حتى بلوغهم سن الستين وهو سن الإحالة الى المعاش .

ثالثا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم معاشات تدفع لهم مدى الحياة ..

رابعا : أن تدفع ملايين الجنيهات على سبيل التعويض للانجليز الذين لا يستحقون معاشا لانهم بعقود تتجدد .

والآن تتألف رابطة لهؤلاء الموظفين البريطانيين ليحددوا بأنفسهم هذه الملايين التى ستدفع باسم التعويضات ومعاشات ومكافآت وما الى ذلك فى المطامع الشعبية ، بل هى أفدح من الشعبية : لانها بريطانية والجشع البريطانى لا يعرف احدا . وانى أتذكر الآن ان هرست المستشار القانونى فى وزارة الخارجية البريطانية وعضو لجنة ملنر حدثنى مرة فى هذا الموضوع وأظهر العطف والرثاء لمستقبل هؤلاء الضباط والموظفين البريطانيين ووصفه بأنه مستقبل مظلم بعد استقلال مصر . فقلت له من أين تأتى بمصر بكل هذه الملايين من الجنيهات لتدفعها لهم زيادة على ما هو مخول لهم بحكم القانون المصرى الحالى ؟ .

فأجاب باسم : هذا ثمن الاستقلال : قالها بغير حياء أو خجل . وماذا يهمه أن تخسر مصر ملايين الجنيهات ليكسبها مالا حراما أبناء جلدته ، بدل أن تصرفها مصر الفقيرة لرفع مستوى أبنائها الحفاة العراة من العمال والفلاحين «

وهنا أطرق الرئيس كعادته عندما يفكر . ثم قال ((ما أحوج مصر الى حكومة قوية ، ان الاستعمار لا يفهم ولا يرحم وهويمنتص

دماء الشعوب وأموالهم وخيراتهم وكل ما واردتهم حتى لا تقوم لهم
قائمة ، فهو سل الجنس البشرى وسرطانة .
ولا حول ولا قوة الا بالله)) . .

الرئيس يعد بياناً للامة :

٢٣ من يناير سنة ١٩٢١ :

قبيل انصرافى فى الساعة العاشرة من ليلة أمس من مسكن
الرئيس طلب الى أن احضر اليوم مبكراً لأمراً هاماً بدل أن اذهب الى
مقر الوفد لتصفح الجرائد الانجليزية قبل زيارته .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحاً كنت مع الرئيس فأخديملنى
على بياناً أعده للامة يبين فيه سياسته بكل وضوح ، وما قرأه
عليه . وفرغنا منه فى الساعة العاشرة تماماً ، وتسلمه منى ليطلع
الاعضاء الثلاثة عليه (على ماهر وأصفغالى وسينوت حنا) وهم
قادمون اليه بعد قليل . وانصرفت الى مقر الوفد لاطلع على
الجرائد الانجليزية وترجم ما فيها عن مصر ثم أعود الى الرئيس
ثانية .

وكان أهم الجرائد الانجليزية (جريدة مورننج بوست) فقد
نشرت وحدها مقالة افتتاحية مطولة أبرزت فيها سياسة الرئيس
سعد وسياسة عدلى ، ثم تناولت انقسام الوفد نفسه الى
فريقين : فريق المتطرفين برياسة زغلول ، وفريق الاغلبية يتزعمه
عبد العزيز فهمى الذى ينتصر لسياسة عدلى . ثم تناولت انقسام
الامة ولبلة الراى العام المصرى بين هذين الفريقين . وهاتين
السياستين . وختمت مقالتها بالتهكم المعتاد وبالرأية الساخرة
دسبتها على رأس مصر والمصريين ، واتهمتهم بالجدل العقيم والتعلق
بالاوهام وطبعهم الاصيل فى أعماض العيون على الحقائق البارزة ،
وتجاهل الواقع الملموس ، وزعمت أن المصريين سيظلون منقسمين
الى ابد الابدين ، فان اتحدوا يوماً اختلفوا شهوراً ، وان اتحدوا
شهوراً اختلفوا بعد ذلك سنوات وسنوات بحجة أنهم غير عمليين
ولم يمارسوا الشئون العامة ولا سيما السياسية منها قبل الآن .

وفى هذه المقالة حقائق لا شك فيها عند شرح سياسة الرئيس
وسياسة عدلى ولكن فى المقالة اكاذيب واباطيل ودعاوى فيها امتهان

للعقول واهانة للمصريين ، ولعنة الله على هؤلاء المستعمرين الذين ماتت ضمائرهم وعميت بصائرهم .

ولما عدت الى الرئيس وأطلعته على ترجمة المقالة وكان معه الاعضاء الثلاثة ، أدهشني أنهم لم يتأثروا بها كما تأثرت . بل رأى الرئيس ان نشر هذه المقالة في مصر واجب ، لأن فيها بيانا صريحا وصادقا عن اختلاف السياستين وهو ما يجب أن يعرفه الشعب المصري معرفة تامة . وفيها كذلك ما يلدغ كرامة المصريين ليتحدوا بعد خلاف ، ويفيقوا بعد غفلة ، ويدركوا خطر الانقسام واستمرار الخصام .

وقد كلف الرئيس (أحمد نجيب) أن يرسل هذه المقالة الى جريدة الاخبار لنشرها ، وفي المساء اجتمع الاعضاء الثلاثة بالرئيس مرة ثانية لمناقشة البيان الذي أعده ، واستمر الاجتماع ساعتين .
٢٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

كلفني الرئيس قبل ظهر اليوم أن أرسل البيان تلغرافيا مستعجلا الى مصر على أن أعيد كتابة هذا البيان بالحروف الالفرنجية بدل ترجمته الى الفرنسية والانجليزية وذلك حتى يظهر بنصه العربي كما وضعه الرئيس ، وقد استغرقت هذه العملية ساعة كاملة . ثم أعطاني الرئيس ألف فرنك لأصرف منها أجرة إرساله الى أمين الرافعي بجريدة الاخبار ، فحملت البرقية الى مكتب التلغراف في الشانزليزيه . فطلب مني الموظف المختص ١.٤٨ فرنكا أجرة إرسالها مستعجلا فاستكثرت المبلغ وطلبت اليه إرسالها عادية . فتكلف ذلك ٣٩٢ فرنكا فقط ، ثم عدت الى الرئيس معتذرا عن تصرفي هذا قائلا اني لم أجد معي ٤٨ فرنكا وهي الزيادة على الالف فرنك التي أعطاها الى قلم يستأ كما توهمت ، ثم أملت على برقية أخرى لأرسالها الى مصطفى النحاس . جاء فيها « أن المسافرين العائدين لم يكلفوا بأية مهمة وأن سفرهم كان على غير موافقته ، وطلب منه أن يطلع على بيانه الذي أرسله الى أمين الرافعي »

وفي الساعة الخامسة مساء حضر وفد كبير من الطلبة المصريين في فرنسا لمقابلة الرئيس ، وظلوا معه قرابة ساعتين أطلعهم فيها على كل التفصيلات ، وخرجوا من عنده فاهمين مسرورين ، ولكن آسفين للحالة التي وصلت اليها قضية البلاد ، وساخطين على الاعضاء العائدين الى مصر .

٢٥ من يناير سنة ١٩٢١

حضر الرئيس صباح اليوم الى مقر الوفد في شارع مارييف ، وكان في انتظاره على ماهر الذي رجا الرئيس وتوسل اليه أن يرسل تلغرافا مستعجلا بمنع نشر « بيانه » في مصر بحجة أن الحكمة تقضي بالسكوت في الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه ليس من الملائم أن يربط نفسه ويقيدها بخطة وسياسة معينة في بيان منشور لا سيما في الوقت الذي هو على اتصال فيه مع ملئ عن طريق مستر بلنت ، ثم حضر واصف غالي وسينوت حنا وانضموا الى علي ماهر في رجائه . وأخيرا وبعد معارضة وافق الرئيس : لا عن اقتناع وانما عن رغبة في المسالمة وفي عدم اغضاب الاعضاء القليلين الباقين معه . وجاء الى علي ماهر في مكتبي وكتب معي هذه البرقية التي تمنع النشر قائلا « الحمد لله لأنك لم ترسل ذلك البيان برقية مستعجلة ، أما هذه البرقية فاني أرجوك أن تنزل فوراً وأن ترسلها مستعجلة » . ففعلت . . ولكني لم أكد أدخل مكتب التلغراف حتى وجدت الدكتور حامد محمود يلهث في الجري ورائي قائلا « لا ترسل البرقية » فعدت معه ، ولو أنه تأخر دقيقة واحدة لكانت البرقية في الهواء في طريقها الى مصر . فلما دخلت على الرئيس (وكان عنده علي ماهر) غير صورة البرقية بأن جعلها (واحفظ البرقية العربية بالبيان لتستعمل منها مقالاتك ولا تنشرها الآن) . فأخذتها وخرجت ، وخرج معي علي ماهر قائلا : « مادامت النتيجة أن البيان لا ينشر فلا تهمه صورة البرقية » . ورجاني أن أسرع الخطى لارسال هذه البرقية مستعجلة » ففعلت وأنا في دهشة بل في شبه ذهول مما حدث .

ولكني بعد التفكير أدركت أن علي ماهر على حق ، لان أعضاء الاغلبية العائدين سيصلون الى مصر اليوم أو غدا ، وأن الضرورة تقضي بالألا يصدموا صدمة أليمة مدوخة ببيان صريح من الرئيس ينشره في مصر قبل وصولهم اليها بيوم واحد فيستقبلهم المصريون بعد ذلك شر استقبال .

وصول الاعضاء الى مصر

٢٦ من يناير سنة ١٩٢١ :

أمس وصل الاعضاء الى مصر . واستقبلوا استقبالا باردا أو فاترا ، وسئلوا أسئلة محرجة . هكذا نشرت الجرائد الانجليزية

الصادرة صباح اليوم (التيمس والمورتنج بوست ووستمنستر جازيت) والعجب العجاب أنها ذكرت بالدقة أسباب الخلاف وأسباب العودة وما ينتظر من تطورات . كما ذكرت أن العائدين الى مصر اضطروا الى انكار وقوع انقسام في الوفد أو خلاف مع الرئيس ، واعدوا تحت ضغط السائلين الملحين أن يذيعوا بيانا غدا

برقية وحديث

وقبيل ظهر اليوم تلقى الرئيس برقية من جعفر فخري المحامي بالاسكندرية يسأل فيها عن صحة ما أذاعه أعضاء الوفد العائدون من أنهم سيقومون بمهمة وفدية . فقال لي الرئيس :

« أنا في حيرة : هل أنشر الحقيقة وأبعث اليه بتكذيب ما زعموه وأذاعوه ، أو أتريث قليلا ؟ أنا لا يخالجنى شك في أنهم سينضمون الى الأعضاء الثلاثة : شعراوي باشا وعبد الخالق مذكور باشا وجورجي خياط ، وهم الذين لم ننتخبهم للاشتراك مع من عرضوا مشروع ملنر ، وسيكونون تسعة ونحن أربعة هنا ، اذا أعلنت الحقيقة كنت الأبدى بأذاعة الانقسام والخصام ، واذا سكت أفسحت لهم الطريق لينشروا ما يشاءون من دعاية جدابة خطيرة . انهم سيقولون أن الوفد قرر بالإجماع عدم الدخول في المفاوضات الرسمية والاشتراك فيها الا بعد أن تقبل كل التحفظات ... الخ . ويضربون على هذه النغمة حتى لا يظهروا أنهم على خلاف معي ثم يقولون : ولكن اذا أتاح الله للبلاد رجلا مثل عدلي يتعهد بأن يحقق تلك التحفظات كلها أو يستقيل ، فإن الوفد يؤيده ويساعده من الخارج ويبارك جهوده » .

ثم سكت سعد وأطرق ثم قال :

« هذه الدعاية المسمومة هي التي أخشاها وأخشى عواقبها . وذلك لاني أعرف الناس بعدلي وضعفه ، كما أعرف أنه لا يؤمن بهذه التحفظات ولا يوافق عليها . وسأراني مضطرا عاجلا أو آجلا في إبداء رأيي صراحة ، وحينذاك يظهر الانقسام ويتجدد الخصام »

وفي المساء حضر على ماهر وواصف غالي وسينوت حنا وأطلعهم الرئيس على برقية الاستاذ جعفر فخري وخواطره وحيرته بشأنها ، ودارت بينهم مناقشة واستقر الرأي في نهايتها على

ضرورة التريث وحكمته ، ولكن الرئيس سكت في وجوم لا سكوت
المقتنع .

خطاب هام جدا من الرئيس الى طاهر اللوزي

٢٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

املى على الرئيس اليوم خطابا على أعظم جانب من الهمية
لارساله الى طاهر اللوزي ، وأهمية الخطاب في نظري ترجع الى
ما فيه من براعة في تصوير الواقع ، وبيان للحقائق في أسلوب
رائع وكشف لروح أبية عالية ، وثقة بالنفس ضافية ، وهذا هو
نص الخطاب :

عزيزي طاهر بك :

« اعتر المخالفون بعددهم وأعجبتهم كثرتهم فشمتحت أنوفهم
واستطالوا على وحدتنا فقسموها وعلى حقنا فهضموه ، فنقضوا في
اجتماع خاص بهم ماسبق أن قرره الوفد في اجتماع عام باشتراكهم ،
رفضوا مبلغا اذنا بصرفه ، وصرفوا مبالغ لم نأذن بها ، وأبوا أن
يسلموا أمانة الصندوق الى من عيناه من غيرهم ، وقدرنا للصرف مدة
غيابهم مبلغا لم يأخذوا في تقديره رأينا مكنتين بتقديرهم كأنهم
من أمرائنا وكاننا من أتباعهم ، قرروا عودتهم بدون علمنا وأخبروا
اللجنة المركزية من عندهم وأعلنوا بذلك للملا انقسامنا وخلافهم .
ظنوا ان الأمة قد هوى الضعف بروحها ، ولوى اليأس بعزمها
واستعدت للاستسلام ، فسارعوا اليها ، لا لكي يقوموا ضعفها
بل ليستميلوها الى الثقة بمن شكت في اخلاصه ليحسن تسليمها
والى الشك فيمن وثقت بهم ليمتنعوا عن عونها ، متوهمين أنها
ستتشدد الحشود للقائهم ، وترفع البنود للاحتفاء بهم ، فلم يكن
من الكثيرين الا أن امسكوا عن مقابلتهم ، ومن غيرهم الا أن واجهوهم
بما يكرهون ، وطالبوهم أن يعلنوا في الخلاف رأيهم ، فلم يسعهم
الا أن أنكروه ثم نشروه معترفين بما أنكروه ومنكرين ما أعلنوه .
ولا أدري اذا كانت نفوس القوم طابت بما أعلنوا ورضيت بما
نشرنا مع سكوتى عن موافقتهم ، ولكن يظهر أنها لم ترض به تمام
الرضا لأن بعضهم طلب مني أن أنشر بلاغا ألفي فيه ذلك الخلاف
وأؤكد تمام الاتفاق ، فلم أستحسن طلبهم لأن فيه تفريرا بالأمة
ومناقضة للحقيقة التي عمل المخالفون أنفسهم على إعلانها ، وأيدوها

بقولهم وفعلهم حتى تغنت بها الجرائد الانجليزية كما تغنت بهم وباعتدالهم . ولان هذا الخلاف لا يرجع الى أسباب شخصية حتى يهون احتماله ، ويرجى زواله ولا يضر اخفاؤه ، ولكنه يرجع الى الاختلاف فى الغاية وفى الشعور ، فهم ملوا العمل وقطعوا الامل وقليل ما أعطينا كثير فى نظرهم ، وقريب ما نرجو بعيند فى اعتبارهم . والمشروع عندهم يهدى مصر استقلالها ويبوئها اشرف مركز بين الأمم ونرى فيه حماية لا يبوئ من المراكز الا انعساها ، ولا يفيد الا ضياع الاستقلال . فكيف يمكن التوفيق بين هذين الرأيين ، وهاتين الغايتين ؟ ولو كان أمره منحصرا بيننا ، ولم يشعر به خصمنا لتسامحنا ما أمكننا ، لكنه علم به على وجه يرفع الطمأنينة ويضعف كل ثقة ، ومتى انعدمت الثقة بين جماعة ، تعذر انتظام العمل بين العاملين ، فقد كتب لورد ملتر خطابا الى بعض أصدقائه ، وبيدنا نسخة منه ، جاء فيه ما نصه :

((ان أصحاب زغول باشا ممن يطلبون نفس مطالبه قد بذلوا آخر ما فى وسعهم لاقتناعه بالقبول فلم يقبل ولم يقتنع)) . فمن أين علم لورد ملتر هذا المسعى ؟ انه لم يعرفه منى بطبيعة الحال ، ولا يخالجنى شك فى أن علم ملتر بهذا الخلاف على هذا الوجه كان له تأثير كبير جدا فيما أبداه من التشدد معنا ؛ خصوصا فيما يتعلق بقبول التحفظات .

تعلمون أن عدلى باشا قبل المشروع ، وسعى بواسطة أصدقائه فى الوفد وخارج الوفد فى ترويجه ، وحمل الامة على قبوله . ومع ذلك أراد أصحابه فى الوفد أخيرا أن أعلن للامة ثقتى به ، واعتمادى عليه فى المفاوضات الرسمية ليحصل على قبول التحفظات ، فرفضت ذلك رفضا باتا . اذ كيف يمكن لى أن أثق هذه الثقة بعد كل ما عندى من المعلومات ، وأن أعول على رجل فى تعديل مشروع هو يراه مقبولا بدون هذه التحفظات مهما يكن عنده من حسن القصد وسلامة النية ؟

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يريدون أن يسلّموا لمثل هذا الرجل أمور البلاد يديرها برأيه وبمساعدة من تعرفون ، لا يسمحون لي أن أرسل برقية أو كتابا يحمل شكرا على من حمل من الأعمال بدون اطلاعهم ، ويعدون انفرادي بمثل هذا العمل جارحا لشعورهم ، ماسا بكرامتهم حتى كان من أمرهم أن أرسلوا الى خطابا يحتجون فيه على هذا الانفراد . وفي عبارات جافية لا يوجهها متبوع لتابع . أتظن أن جماعة ضعفت الثقة بينهم الى هذا الحد يمكنهم أن يشتركوا في عمل ؟ وان اشتركوا هل يمكن أن يقدر لهذا العمل نجاح ؟ كلا . انهم لم يتظاهروا بموافقتنا إلا اتقاء لسخط الامة وتلطيفا لغضبها ، والا فانهم سيعملون في السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذي رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم التي ينشدونها كما تعلمون ، ولقد رأيناهم يقابلون بوجوه هاشة بسامة كل خبر يدل على ضعف النهضة الوطنية والروح المعنوية وفتور الهمم وانحلال القوى . ويعبسون للأخبار التي تدل على قوة روحها ، وكمال يقينها في حسن الاستقبال .

ان نفوسا هذه حالها يضر وجودها في الافراد فما بالك بالقواد ؟ اني كثيرا ما ضغطت شعوري الشخصي وتسامحت في حقوقي الذاتية بل لم احسب حسابا لهذه الحقوق . ولكني لا املك أن أتساهل في حق عام عاهدت الامة على الاحتفاظ به ، فلا أستطيع أن أفرت فيه لعدو ولا لولي ولكني أسكت اذا لم يضر السكوت به ، أما اذا رأيت منه خطرا فواجبي يدفعني الى الجهر بالحق والله ولي العاقبة .

لا بد أن تكونوا قد علمتم أن اسم المكباتي بك كان من بين العائدين ، ولكنه لم يعد ، انه من صفهم وعلى رأيهم ولكنه لم يكن مسافرا معهم بل في عزمه اللحاق بهم ، وانما كتبوا اسمه مع أسمائهم تفخيما لشأنهم ولكي يعتزوا باضافة لون آخر الى لونهم ،

حتى لا يقال أن حزب الامة قد عاد الى بدايته وانتهى الى غايته ان
الله لا يصلح عمل المفسدين » •

سعد زغلول

حاشية :

أضاف الرئيس الى هذا الخطاب حاشية كتبها بخطه وهذا
نصها :

« أرجوك أن توافيني بجميع الاخبار ما جل منها وما قل • ولا
تنتظر بالمهم منها قيام البريد ، بل أرجوك أن تسارع بإرساله
بالتلغراف وحساب النفقات على الوفد ، وأنا الذى أدفعه اليك ،
فلا تكسل وانى اعتبر الاخبار بعدم وجود جديد خيرا • والسلام » .

سعد

الفصل السادس

سعد يعتزم أمرا

٢٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

تسلم الرئيس صباح اليوم برقية بالشفرة أرسلها اليه مصطفى النحاس وقد جاء فيها : « ان الاعضاء العائدين قد نشروا بيانهم الموعود ذكروا فيه الخلاف تلميحا وأكدوا عدم الانقسام تصريحاً وأن كل جماعة يقع فيها خلاف في الآراء ، وليس معنى ذلك أن كل خلاف في الرأي يعتبر ضدعا للوحدة وانقساماً في الجماعة ، أو خروجاً على المبدأ أو ابتعاداً عن الهدف الوطني . ثم ختمت البرقية بالرجاء « المثلث » من مصطفى النحاس ووصفا واصف والدكتور حافظ عفيفي ، أن ينشر الرئيس بياناً على الأمة ينكر فيه كل انقسام ، ذلك لان بيان الاعضاء العائدين كان سالماً وتأثيره طيباً في الرأي العام في مصر ، وأن المصلحة العليا للبلاد تقتضي العمل على ازالة كل خلاف وكل انقسام أملاً في ضم الصفوف » .

وغضب الرئيس من هذه البرقية غضباً شديداً . وأملى على برقية « مستعجلة » بأنه لا يرى رأيهم في اصدار بيان بالمعنى الذي يريدونه .

وتلقى الرئيس أمس وأول أمس واليوم عدداً غير قليل من البرقيات تهدف كلها الى اظهار الثقة في شخصه والايمان بصحة خطته والتهنئة على ثباته ، ولعل هذه البرقيات كان لها بعض الشأن في سحق الرئيس على نصيحة « الاعضاء الثلاثة » ورفضه لها ، كما كان لها اثر ظاهر في عودته الى الهدوء والغبطة وقال :

« الحمد لله • ان الامة بخير ومتيقظة لكيد الكائدين ، ولم تتأثر
بختل المخادعين ولا بضعف الناصحين المتخاذلين » •

الرئيس يفكر في تعديل اللائحة الداخلية للوفد

٢٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

فكر الرئيس في أن ينشر على الأمة نداء هذا مطلعته :

« أشكر الأمة الكريمة التي وضعت ثقتها في شخصي وهذه الثقة
تحملي مسئولية كبرى ، ولا يتأتى القيام بهذه المسئولية العظيمة
من غير أن تكون مصحوبة « بحرية القول والعمل » . فأعرض
واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا على تخصيص ذكر الثقة
بشخص الرئيس لا بالوفد كهيئة ممثلة للأمة •

فغضب الرئيس وقال : « لا داعي الى هذا النداء اذن » ثم
طواه ودهش الاعضاء الثلاثة وسكتوا • وكان سكوتهم عين الحكمة
والصواب • ولا شك أن موضوع هذا الخلاف لا يسمح بمناقشة ،
ولا ينتهى بأية حجة يدلى بها أحد الفريقين ، وفى السكوت منجاة
لكل صدام وعصمة من ظهور الخصام •

وبعد خروجهم شكا الى الرئيس من سلوكهم وانتقده فى مرارة
ظاهرة فسأله : ماذا تقصد يا سيدى بعبارة ((من غير أن تكون
مصحوبة بحرية القول والعمل ؟ » •

فقال الرئيس : لقد فكرت فى الايام الاخيرة فى ضرورة تعديل
اللائحة الداخلية للوفد على أساس أن العضو الذى يختلف مع
الرئيس اختلافا خطيرا أو كبيرا يقدم استقالته ، فاذا امتنع
جازت اقالته •

فسكت واستطرد الرئيس قائلا :

« لا يمكن انتظام العمل فى الوفد الا اذا تغير النظام الخاص
وأصبح من الممكن اخراج أى عضو يختلف مع الرئاسة اختلافا
أساسيا شديدا فاذا لم يكن كذلك استحال على العمل مع قوم
لا وفاء عندهم ، ولا حرص على المصلحة العامة » •

فأثرت استمرار السكوت ، فقال الرئيس : « لماذا تسكت ،
ولا تتكلم ؟ ان المسألة فى غاية الوضوح • وما من أحد يقول انه

إذا حصل خلاف شديد بين أحد الاعضاء والرئيس يخرج الرئيس ويبقى العضو . ولعلك لا تعلم أن هذا هو النظام المتبع في جميع مجالس الوزراء في فرنسا وانجلترا وإيطاليا وألمانيا .

وهنا هبط السكوت عليه وعلى ، ولم يقطع هذا السكوت إلا برقية ثانية من النحاس الى الرئيس أغضبته . . برقية وصلت من الاعضاء الثلاثة وبامضائهم وهى بالشفرة فسلمها الرئيس الى كالعادة لأهل رموزها ، وهذا نصها :

« ان رأى العام فى البلاد فى اضطراب شديد . ونرجوكم فى الحاح ألا تفعلوا شيئاً يكون غير قابل للإصلاح ، وأن ترسلوا إلينا ما ترونه وما تقترحونه قبل أن تنشروه مباشرة فى مصر » .

الامضات

النحاس . ويصا . عفيفى

فضحك الرئيس فى سخرية ظاهرة وقال : « ما شاء الله يا سبحان الله . هؤلاء الاعضاء الثلاثة يزيدون أن يقيموا من أنفسهم رقباء علينا » .

وفى المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا لزيارة الرئيس فأطلعهم على البرقية الرمزية الآتية الذكر ، وكانت دهشة الرئيس عظيمة عندما رأهم يوافقون على ما فيها من رجاء ، وكانت موافقتهم من غير شرط أو قيد أو أقل ملاحظة .

فلما لفت الرئيس أنظارهم الى أنه لا يجوز أن يقيم هؤلاء الاعضاء أنفسهم مقام الرقيب عليه وعلى اخوانهم الموجودين معه فى باريس قال على ماهر : هذه ليست رقابة بل معاونة ، وهم فى مصر أدري منا بما فيها من شعور عام وجو سياسى . وأيده فى ذلك وواصف غالى وسينوت حنا .

الحالة العامة كما أراها وأتنبأ لها

٣٠ من يناير سنة ١٩٢١ :

الساعة السابعة صباحاً - فى الايام الثلاثة الماضية استبدت الحالة العامة باحتكار كل أفكارى وكان تفكيرى فيها سطحيًا حيناً وعميقاً حيناً آخر ، وصحوت اليوم وقد تبلورت فى نفسى مشاعر بارزة

وأصبح عقلى يقبلها قبوله للحقائق الثابتة والافكار السليمة الصحيحة فرأيت تسجيلها :

الشعور الاول : ان ميدان المعركة قد انتقل الى مصر ، وبعد أن كانت باريس ولنسبدن هما قبلة الانظار أصبحت القاهرة قبلة الانظار ومناسط الآمال ، ففي القاهرة : عدلى . والاغلبية من أعضاء الوفد ، وثلاثة من أنصار الرئيس (النحاس . وويصا . وعفيفى) يريدون أن يقيموا من أنفسهم « رقيباً » على الرئيس وأخوانه فى باريس (على حد تعبير الرئيس) ، وفى مصر رأى عام وفى مصر وزارة توفيق نسيم تستعد للرحيل ، ووزارة برياسة عدلى تستعد للظهور . والدعاية السياسية لعدلى تنتشر وتتسع دائرتها يوماً فيوماً . وأعضاء الاغلبية الوفدية يؤيدونها مع كل من يقابلهم من الاهل والاصدقاء والزائرين . وهؤلاء يخرجون من مقابلتهم لينشروا ما سمعوا ، فالصراع بين سياسة عدلى وسياسة سعد قد اشتد وتفاقم .

الشعور الثانى : ان الرئيس سعد أصبح موجوداً فى باريس ليس معه الا أعضاء ثلاثة (على ماهر . وواصف غالى . وسينوت حنا) وهم يخالفونه فى بعض أفكاره واتجاهاته ورغباته .

الشعور الثالث : ان الرئيس يعانى أزمة نفسية حادة وهى فى نظرى أشبه ما تكون بأزماته النفسية الحادة التى عانى من ويلاتها ما عانى فى الفترة السابقة لمفاوضاته مع ملتر .

الشعور الرابع : ان بقاءنا فى باريس أصبح عبثاً لا طائل تحته . فلا يمكن أن تدار معركة فى مصر وقيادتها فى باريس ، ولابد للرئيس عاجلاً أو آجلاً من أن يقرر العودة الى مصر كما عاد المنشقون الخارجون عليه من أعضاء الوفد حينذاك ، وحينذاك فقط : يقابل خصومه وجهاً لوجه والغلبة والنصر له لا محالة بفضل شخصيته القوية السحرية ومقدرته الخطابية . هذا فضلاً عما لديه من أسلحة فتاكة هائلة : فصاحة دافقة وشجاعة فائقة ، ونشاط عجيب وإيمان أعجب . فالحق فى جانبه وسياسته وأهدافه هى الاستقلال الذى ثارت الامة من أجله ، وعلقت عليه كل أمل وكل رجاء ، وأما خصومه فليست لهم هذه الأسلحة وهم الخاسرون بلا شك وهو المنتصر لا محالة .

الشعور الخامس : ان العوامل الحاسمة التى ستخرج الموقف من ركوده الحالى وستدفع الرئيس دفعا الى اتخاذ قرار جديد هى فى نظرى :

أولاً : عندما يتولى عدلى باشا رئاسة (الوزارة) فعلا ويبدأ نشاطه الرسمي استعداداً للمفاوضة الرسمية .

ثانياً : ظهور تقرير ملتر وما يكشف عنه من نيات واتجاهات وغايات .

ثالثاً : شعور الرئيس بعدم جدوى بقاءه في باريس ، بينما للمعارك الحاسمة تدور في مصر بين أنصاره من غير قائد ، وخصومه بقيادة عدلى نفسه ، حينذاك تتقرر بصفة نهائية (العودة) إلى مصر .

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة أو أحدها منفرداً يتطوى على قوة عاملة حاسمة في وضع حد للحالة الراهنة ، والخروج من هذا الركود المضطرب وتسيير الأمور في اتجاه جديد .

الشعور السادس : ان الخروج والانشقاق على الرئيس هو المصير الذى ينتظر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وهذا الشعور عندى يقوم على أساسين أو اعتبارين :

الاول : ان هؤلاء الأعضاء الثلاثة الباقين مع الرئيس حتى الآن في باريس لا يكادون يتفقون معه على شيء بل أنهم يكادون يخالفونه في كل شيء .

الثانى : ان الرئيس أصبح شديد النفور منهم والسخط عليهم كما سجلت ذلك في الاعتراف العشرين حيث قال الرئيس فيه : ان دوام هذا الحال من المحال . هذا وأشعر كذلك ان على ماهر وسينوت حنا سينضمامان الى الاغلبية الوفدية المنشقة وأما واصل غالى فيسعتزل السياسة ويعود الى الفلسفة والادب .

الشعور السابع : ان الرئيس سعد سيجد في نفسه الشجاعة (بعد ان يتركه بعض أعضاء الوفد) ان يختار وان يعين أعضاء جددا يتوسم فيهم الاخلاص لشخصه ويركن اليهم في العمل والتعاون معهم باستمرار لخدمة قضية الاستقلال ما في ذلك شك .

وبهذا ينفذ فكرته التى كانت تهدف الى تعديل اللائحة الداخلية للوفد تعديلاً يجعل العضو الذى يختلف مع الرئيس اختلافاً كبيراً يستقيل أو يقال . وان سعداً لقادر على ذلك كله لأنه أسد مكافح لا يلين ولا يستكين ، وسمعته فوق متناول الناقلين ومكانة سعد

في الامة لا ثبت من رضوى ولا منع من عقاب الجوى ولا ترقى اليها
 سهام الحاقدين والهادمين والقاتكين ، ولو كانت مكانة سعد في
 الامة قابلة للهدم والزوال لكانت بريطانيا أقدر على هدمها وازالتها،
 ولو كانت سمعة سعد قابلة للتشويه والتعطيم لاستطاعت الدعاية
 البريطانية الغنية الواسعة الانتشار أن تصل الى هذه الغاية ولو
 في الأقطار العربية والهندية والصينية الخاضعة للنفوذ البريطانى،
 أو في البلاد التى تفصلها عن مصر مئات أو آلاف من الأميال حيث
 لا يذكر اسم سعد الا مقرونا بالاعجاب والثناء والتقدير ، وهذه
 بلاد لم تعرف في سعد غير اسمه وموجز جهاده واهدافه السياسية
 فكيف ببلاد مثل مصر عرفت أنه ابنها البار وزعيمها الشجاع
 المكافح المنافح لتحقيق أعز أمانيتها في الخلاص من ذل الاستعمار
 والنهوض بها الى عز الاستقلال ؟

الشعور الثامن : ان الرئيس سعد أصبح شخصية عالمية ما في
 ذلك شك فلن يتم اتفاق مع بريطانيا عن غير طريقه أو بغير موافقته،
 والمسألة في ذلك واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

ان سعدا لن يقنع بما دون الاستقلال ولن يقبل ما يتعارض مع
 هذا الاستقلال ، وأن ثقته بنفسه وإيمانه بقضية الاستقلال والغاء
 الحماية وانهاء الاستعمار البريطانى لمصر باتمام جلاء القوات
 المحتلة للبلاد ، لارسخ في أعماق عقله وقلبه وخلايا جسمه من أن
 يصرفه عنها جبروت المحتلين ومؤامرات الحاقدين ودسائس
 الدسائسين ، ومخالفة المخالفين من أعدائه وأنصاره على
 السواء .

ولا يعادل هذه الثقة بالنفوس ، وهذا الايمان بهذه الاهداف
 الوطنية العليا الا ثقته بولاء الشعب له ، والتفافه حوله في عزم
 ووعى ومثابرة بعد ثورته الكاملة الشاملة العارمة التى لم يسبق
 لها مثيل في تاريخ مصر كله منذ عهد الفراعنة حتى الان، وما هي
 النتيجة الحتمية التى تترتب على ذلك كله ؟ هى باختصار ، ان كل
 ما يرفضه سعد من عروض الانجليز ويقبله غيره مرفوض من الامة
 حتما ، واذا زعم الزاعمون بأن ما يقبله غيره هو الاستقلال تساءل
 السائلون من المصريين : اذا كان ما تقولون صحيحا فلماذا لم
 يعرضه الانجليز على سعد ليرضى عنه ويباركه ويؤيده ؟
 أم هل قدموه لعبدلى حبا في سواد عينيه ؟ - حينئذ
 لن يسمح الشعب المصرى جوابا يمكن أن يرضى ويقنع ، وهذا
 منطق الشعب في براءته وبساطته المفحمة .

ولهذا أشعر شعورا قويا بأن المفاوضات الرسمية التي سيجريها عدلى مع الحكومة البريطانية على أساس مشروع ملنر (ويدون اشراك سعد معه) مقضى عليها بالفشل المؤكد وليس يجوز في عقل عاقل أن تسليم الانجليز لعدلى بإلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مع استمرار سخط المصريين عليهم وشكهم في نياتهم ورفضهم لأعمالهم ، ولو سلموا لسعد بذلك لأطمأن الناس الى صدقهم نتيجة أطمئنانهم الى الثقة بزعيمهم ، وبهذا ترضى مصر وينتهى كل خلاف وخصام بيننا وبينهم . ان المسألة مسألة ثقة ، وثقة الامة في زعيمها سعد بلغت غاية الكمال .

استقالة ملنر !

٣١ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جرائد لندن اليوم أن لورد ملنر قدم استقالته من الوزارة ، وأن استقالته قد قبلت وأنه قد منح وسام (رتبة الساق) وهو أعلى وسام في بريطانيا وذلك تقديراً لخدماته الممتازة لامته وللإمبراطورية البريطانية . كما نشرت جريدة التيمس مقالة افتتاحية تفيض بالاعجاب والتقدير لعبقريته وجهوده التي ساعدت على حل الكثير من المشكلات الدولية العويصة لاسيما في مفاوضاته مع سعد زغلول والوفد المصرى .

اسباب استقالة ملنر !

لاستقالة ملنر اسباب صحيحة أثبتتها الواقع ، واسباب كاذبة من نسج الخيال .

أما الاسباب الصحيحة فقد نشرت في لندن . وأما الاسباب الكاذبة فقد نشرت في مصر .

ففى لندن : نشرت جريدة التيمس أن ملنر رجل أرهقه العمل المتصل والجهود المضنية التي بذلها في مؤتمر الصلح بفرساي ولجانه المختلفة ، ثم في أعمال لجنته الخصوصية التي سافرت الى مصر للبحث والتحقيق وانتهت بالمفاوضات الطويلة المملة مع الوفد المصرى في لندن ، وأن ملنر في أشد الحاجة الى الراحة والاستجمام لا سيما أنه قد جاوز السابعة والستين من عمره .

ونشرت جريدة نيوز أوف ذي وورلد : ان ملنر قادم على مشروع زواج وقد تزوج ملنر فعلا أرملة صديقه لورد ادوارد سسيل بعد استقالته . وسافر العروسان الى جنوب فرنسا لتمضية شهر العسل .

ونشرت الديلى ميل ان ملنر قرر اعتزال الحياة السياسية المضنية ذات المسئوليات الخطيرة المتعبة ان فى مثل سنه ، وسيكتفى فى المستقبل بالكتابة فى الجرائد ، الوقت بعد الوقت .

وهذه الانباء كلها صحيحة وقد أيدها الواقع واثبتت صحتها الايام .

اما فى القاهرة : فنشرت الجرائد ان خلافا خطيرا وقع بين ملنر وزملائه الوزراء وأوا ان ملنر جاوز الحد المقبول بتساهله أكثر مما ينبغى مع الوفد فى اثناء المفاوضات ، وان المشروع الذى قدمته اللجنة لا توافق عليه الحكومة البريطانية فى شكله الحالى لانطوائه على سخاء لمصر أكثر من اللازم .

وهذه المزاعم كلها هراء ومن نسج الخيال اذ لا يوجد فى الوزارة البريطانية كلها وزير واحد اشد ضراوة فى الاستعمار من ملنر نفسه ، ومع هذا نشرت هذه المزاعم فى مصر وكان أول من نشرتها جرائد عدلى المؤيدة لسياسته ومشروع ملنر وذلك لايهام الناس أن المشروع فى خطر وان من الخير التمسك به حتى لاتعدله الحكومة البريطانية الى ما هو أسوأ . ولعل من المصادفات التى أيدت هذه المزاعم نبأ تعيين مستر ونستون تشرشل خلفا للملنر فى وزارة المستعمرات فى شهر فبراير سنة ١٩٢١ .

تصريح خطير لتشرشل !

وقبل تسلمه مهام هذا المنصب رسميا القى خطبة فى مأدبة اقيمت للورد ريدنج الذى عين حاكما عاما للهند تناول فيها المسألة المصرية واعتبرها من المسائل البريطانية الخاصة ، وصرح بان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ، كما أعرب عن أمله فى أن الصعاب القائمة من جانب مصر وأرلنده تتناقص بعد زمن وجيز ، وان تتولى هاتان الامتان شئونهما الداخلية فى خلال السلام داخل الدائرة المرنة للامبراطورية البريطانية .

احتجاج مصر على التصريح !

أثار هذا التصريح عاصفة من الاحتجاجات في مصر ، وأخذت بعض الجرائد المصرية في سداجة ظاهرة تمدح ملنر وتدم تشرشل وتظهر الأسى والأسف لاستقالة ملنر وخروجه من الميدان قبل أن يتم عمله ويقبل مشروعه وتجري المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا إلى نهايتها المرجوة ، وهكذا أصبح ملنر الاستعماري القح أرحم وأفضل من تلميذه الاستعماري الصغير تشرشل في نظر الجرائد المصرية المؤيدة لسياسة عدائ وملشروع ملنر .

وهكذا أظهر فريق غير قليل من المصريين اهتمامهم وشغفهم بمشروع ملنر بعد أن كانوا يتظاهرون بمحاربتة أو بعدم قبوله إلا بعد تهديده بالتحفظات ، ولقد حزن الرئيس سعد لهذه الحال أشد الحزن وقال في كمد : ((انها لفضيحة !!! ما أصفر عقولهم وما أضعف نفوسهم وما أخف أحلامهم ، أنهم يشيرون في نفسى التقرز والاشمئزاز)) . ثم أرسل برقية احتجاج شديدة على هذا التصريح إلى رئيس الوزارة البريطانية .

الصراع المثلث

٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

ما أجمل باريس انها مسرفة في الجمال حتى في هذا اليوم الابيض : كل ما أراه اليوم بياض ناصع البياض فقد غطى الثلج ليلا جميع الشوارع والطرق والشرفات ، وخرجت في الثامنة صباحا سيرا من مسكني إلى محل عملي في الشانزليزيه ، والثلج مازال يتساقط كالقطن المندوف وقبعات الرجال والنساء بيضاء بما حملت من الثلج الخفيف ، ومن عجب أن البرد لا يتزايد وانما يتناقص ذلك لان البرد يستنفد طاقته اللازمة وعنفه الشديد في تحويل بخار الماء المعلق في الهواء إلى ثلج يتساقط ، فالبرد محتمل ومنعش .

في الساعة التاسعة صباحا كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه فوجدته جالسا وسط أكوام من الجرائد المصرية يطالعها في شغف ونهم ، فقضيت معه نصف ساعة نطالع هذه الجرائد في صمت تام

من جانبه وجانبى ، ولاحظت أن المعركة ما زالت ناشبة دائرة حامية
الوطيس فى مصر بين معسكرات ثلاثة :

الاول : معسكر انصار عدلى ومؤيديه ومريديه من الخطباء
والكاتبين .

الثانى : معسكر انصار الوفد ومؤيدى الرئيس من الكتاب
المتحمسين .

الثالث : معسكر رجال الحزب الوطنى المعادين ، ومن الكتاب
الساخطين وفى طليعتهم أحمد وفيق المحامى .

هذه المعركة المثلثة الاركان ليست فى الواقع الا مظهرا من مظاهر
الصراع السياسى المحموم الذى تزيده حدة نفوس مستثارة بلوافح
اللفظ المكتوم والتعصب الاصيل المكظوم وانعدام التسامح ، فهى
فى الواقع حرب أهلية يسيل فيها الحبر بدل الدماء وتنفجر فيها
الحناجر بدل القنابل وتعصف فيها الاهواء بأقوال ، بعضها جدد
وبعضها هراء ، ثم ألقيت بما فى يدى من جرائد ونظرت الى الرئيس
فوجدته مازال يطالع فى تقطيب ويستمر فى المطالعة من غير تعليق
أو تغضيب ، وبينما نحن فى هذا السكوت الشامل دخل الدكتور
حامد محمود ومعه خطاب بالانجليزية مع ترجمته بالعربية وهمس
فى أذن الرئيس وسلمه الورقتين فألقى الرئيس جانبا بالجريدة التى
فى يده وقال : (خطاب آخر من مستر بلنت ماذا فيه ؟)

خطاب هام من بلنت للرئيس

والتفت الى الرئيس وقال : هذا يا كامل خطاب مستر بلنت وعليك
أن تنقح ترجمة حامد له .

وفيما يلى نص الخطاب بعد اعادة ترجمته .

عزيزى زغلول باشا ..

((تسلمت اليوم خطابا من لورد ملتر يرجونى فيه أن أكون شفيعه
لكم مرة أخرى بفضل صداقتى الشخصية لك وللمصر والمصريين حتى
لا يقيم العقبات فى سبيل قيام وزارة برياسة عدلى وفى سبيل البدء
فى المفاوضات الرسمية بين ممثلى الحكومتين المصرية والبريطانية ويقول
أن هذه المفاوضات يجب أن تبدأ قريبا ، ومن غير قيد أو شرط سابق .
على أن يكون كل طرف حرا فى أن يطلب ما يريد ويشترط فى

المفاوضة ما يشاء ، ويؤكد أن التمسك بضرورة قبول التحفظات،
أولا وقبل كل شيء ولا سيما ضرورة النص على إلغاء الحماية مقدما
عبث لا طائل تحته بل فيه الضرر ولا خير فيه على الإطلاق ، إذ من
شأنه أن يحيط كل الجهود التي بذلها ملتر معك في تلك الشهور
الطويلة بل قد يترتب عليه سقوط المشروع الذي تقترحه لجنة
ملتر .

وانى يا عزيزى زغلول باشا ارى أن هذا الكلام معقول جدا .
ولست ارى أى ضرر على القضية المصرية ، ولا أى احراج لك
وللمصريين فى قبوله ، لهذا أرجوك مخلصا أن تعيد النظر وتطيله فى
هذه المسألة إذ فى ذلك فوائد عملية لا يستهان بها .

هذا ولا أخفى عليك يا عزيزى زغلول باشا أن جملة وردت
فى خطاب ملتر قد استرعت نظرى لأنها تنم عن اغتباطه وسروره
بالروح المعتدلة التي انتشرت بين اتباعك وانصارك داخل الوفد
وخارجه ، ولا شك أن هذه الحقيقة من شأنها أن تساعدك على تعديل
موقفك من التحفظات تعديلا يتفق مع الاغلبية العامة فى تأليف
وزارة الثقة فى مصر برئاسة عدلى باشا والبدء فى المفاوضات بغير
 قيد أو شرط ، ولا حاجة بى أن أؤكد لك أن الراى الاخير سيكون
دائما راىك لانك زعيم مصر الذى لا ينازع ، وسيكون لراىك الاخير
الوزن كل الوزن .

هذا وقد جاء فى خطاب لورد ملتر كذلك أنه سيخرج من
الوزارة بعد أيام ليستريح ، ولكن هذا الخروج لن يكون له أقل
تأثير فى سير الحوادث على الوجه الذى رسمه حتى يتم إبرام المعاهدة
بين مصر وبريطانيا على الاسس التي اقترحها ، والتي يعتقد صادقا
أنها خير ما ينبغى اتباعه فى الوقت الحاضر . هذا وانى أبعث اليك
يا صديقى زغلول باشا بأخلص تحياتى))

المخلص بلنت ٢٥ من يناير ١٩٢١

ثم سلمنى الرئيس ثلاثة خطابات أخرى من بلنت وقال : لا تبادل
الراى فيها الآن وأرجو أن تعود الى فى الرابعة بعد الظهر .

برقيتان بالشفرة

عدت فى الساعة الرابعة بعد الظهر فوجدت الرئيس فى مكتبه
وفى يده برقيتان بالشفرة ، وكلتاهما بامضاء مصطفى النحاس

وويصبا واصف والدكتور حافظ عفيفي فقضيت حوالى الساعة فى فك رموزهما وترجمتهما الى العربية .

أما البرقية الاولى : فتحمل رجاء مكررا حارا الى الرئيس لكى ينشر كلمة كريمة طيبة عن أعضاء الوفد العائدين الى مصر لاسيما أن مسلكهم منذ عودتهم الى مصر لا غبار عليه مطلقا وعندهم كل الميل الى المسالمة والاتفاق .

والبرقية الثانية : تحمل نص العبارة التى نشرت فى جرائد مصر بامضاء هؤلاء الاعضاء الثلاثة : النحاس . . وويصبا وحافظ عفيفي وفيها ثناء على الاعضاء العائدين وتأكيد لروح التعاون والتضامن بين أعضاء الوفد جميعا .

الرئيس يغضب ويعتزم أمرا جلالا

ما كاد الرئيس يطلع على هاتين البرقيتين حتى ثار غاضبا وقالم أشد الالم وقال فى مرارة ظاهرة :

((يا عجباً كل العجب انهم يعلمون منى تمام العلم كل التفاصيل ورأى واضح ، ولا حول ولا قوة الا بالله)) .

ثم سكت فى هم ظاهر واستطرد : لست أدري كيف يعاودون الكتابة الى فى هذا الموضوع المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، ألا يقتنعون ؟ ألا يفهمون ؟

ثم استطرد قائلا : « لست أدري والله ما الفائدة فى أن أعلن للناس ما يعتقد الناس عكسه . وكيف أكذب على الناس عامدا متعمدا وهم يعلمون الحقيقة . . ؟ »

ان الاعلان الذى يطلبونه منى يضر ولا ينفع و لاقيمة له على الاطلاق وسيضحك الانجليز منه ساخرين ، والشعب فى مصر سيندهش من أحوالنا الصبائية فتضعف ثقته فى أقوالنا وتصريحاتنا بينما يظل المنشقون المخالفون على حالهم ، فلن يعودوا الى رأينا ولن يعدلوا عن خطتهم بل لعلهم يتخذون من كلمتنا وسيلة لترويج بضاعتهم ، (ودس الدسائس ضدنا) .

وهنا سكت الرئيس طويلا ثم قال فى حزم وعزم :

((ان من الخير أن أعلن على الناس فصلهم واستقلالى بالعمل دونهم

بعد أن أنشر على الناس حقيقة أمرهم وما يهدفون إليه ، ان الظروف القاهرة ستضطرني الى ذلك اضطرارا لان هذا هو السلوك الوحيد المستقيم الذي لا مندوحة عنه ولا سبيل الى تفاديه ، ان معاملتهم الخاصة والعامة معي قد أقنعتني بما لا سبيل الى الشك فيه بأن الثقة بيننا قد أصبحت معدومة مئة ومتى انعدمت الثقة بين العاملين استحال العمل الجدى واستحال التعاون .

انى لأسأل نفسي كل يوم ما الذى يضطرني الى العمل مع اشخاص لا تتوافر الثقة بيني وبينهم ، وأهدافهم غير أهدافي : ما الذى يجمعنا الآن ؟ كيف أعلن اتحادى مع أناس يعملون ضدى وعلى مخالفتى ويسعون وراء غاية غير غايتى ؟ كيف أعلن الثقة فيمن انعدمت الثقة فيهم ؟ هذا تكليف بما لا يحتمل ولا يستطيع ولا يطاق ؟

انى لست مأجورا فى عمل ولا ساعيا وراء غاية ذاتية ، ولكن شعورا قويا قام بى نحو خدمة بلادى فجريت معه ونزلت على حكمه حتى تلقى الحماية ويتحقق الاستقلال .

ان هذا عهد كتبت على نفسى وساظل وفيها لهذا العهد ما حييت . فلماذا يطلب منى أن أسير ضد شعورى وأخرج على عهدى وأعمل بغير رايى ؟

كيف اتحمل الهوان ممن لا احترام لهم رايًا ولا انتظر منهم فى العمل عونا ونفعا ، ولا أجد فى صحبتهم الا ضرا وشرًا ؟ .

ان كانت الامة تريد منى أن أعمل مع انعدام الثقة واختلاف الهدف وان أوافق المخالفين ، فلتعلم الامة انى عاجز عن تنفيذ رغبتها، والنزول على ارادتها فى هذا الشأن ، ولتبحث لها عن غيرى ليسمى بها الى غايتها ، أما أنا فبعد أن تحملت وتأملت مثل ما تأملت ، قد ضقت ذرعا وأصبحت لا أستطيع الصبر على ما أنا فيه ، لقد أنهك الخلف قوتى . وأضعف العناد صحتى ، وقد عزم على أن أتخلص نهايتها مما أربس فيه من القيود)) .

رد الرئيس على البرقيتين

عند هذا الحد من تدفق الرئيس دخل واصف غالى وسينوت حنا مكتب الرئيس فاطلعهما على البرقيتين الشفريتين وأظهر سخطه عليهما لاسيما الرجاء الحار الذى حملته البرقية الاولى ، وانتظر من

العضوين تعليقا أو تأييدا له ، ولكنهما سكتا فانفعل الرئيس وقال :
((لابد من الرد فورا)) . ثم أملى على ما يأتي لكى أرسله بالشفرة
الى مصطفى النحاس :

((آسف أن أرفض رجاءكم ومسلك الاعضاء وبيانهم لا يستدعيان
منى أى رد ، فضلا عن أن لدى من الاسباب القوية ما يمنعنى من
الاستجابة لرجائكم ، ولعل مقاله التيمس الأفتتاحية المنشورة صباح
اليوم تنورككم فقد فضحت كل سند عن العلاقة بين الاعضاء
والرئيس)) .

ومقاله التيمس التى اشار اليها الرئيس فى هذه البرقية نشرت
ما ترجمته حرفيا :

((ان زغلول باشا قد أصبح اليوم فى واد ، وأغلبية أعضاء الوفد
فى واد آخر . المعسكران مختلفان كل الاختلاف والطرفان غير متفقين
على أهم المسائل الاساسية ، وفى طبيعة هذه المسائل موضوع
المفاوضات الرسمية المقبلة ، والاساس الذى تقوم عليه الاهداف
التي ترمى اليها)) .

سأل الرئيس العضوين عن رأيهما فى هذا الرد ، فسكت سينوت
وقال واصف ((لا بأس به)) . وانصرفا ، ثم انصرفت لاعداده
بالشفرة وأرسلته فى المساء .

تعليقى على خطاب بلنت

٣ فبراير ١٩٢١ : سألنى الرئيس هذا الصباح عما اذا كنت
قرأت خطابات مستر بلنت التى سلمها الى أمس فقلت : قرأتها
فى شغف واهتمام .

فقال الرئيس : وما هو أهم ما لفت نظرك فيها ؟

فأجبت : فقرة خطيرة وزدت فى أحد هذه الخطابات وفيها يقول
مستر بلنت : ((ورد الى اليوم خطاب من لورد ملتر وفيه يقول :
« كنت أحب ألا يهتم زغلول باشا بمسألة ضرورة النص على الغاء
الحماية ويتشبهت به الى هذا الحد ، اذ يكفي أن تعتبر شروط المشروع
ومواده الغاء للحماية وفى استطاعة زغلول باشا أن يقول لمواطنيه
ذلك دون أن يعترض عليه أحد هنا أو هناك (أى فى انجلترا ومصر)
هذا مع أن كثيرين من زملائه الذين يعملون معه ويسعون مثله الى

نفس الغاية وهي الاستقلال ، يحاولون اقناعه وأفهامه بعدم ضرورة هذا التشبث وترك الموضوع للمعالجة في المفاوضات الرسمية المقبلة، ولكنهم لم يوفقوا معه حتى الآن واني لارجو منك يا عزيزي بلنت أن تستخدم مكانتك الرفيعة في نفس زغلول باشا فتكتب اليه لكي يتساهل ويتفق مع زملائه على عدم الضرورة في النص على الغاء الحماية صراحة من الآن ، واني أعرف أن زغلول باشا يثق بك ثقة كبيرة وهو كثير التشكك في نيات كل وزير بريطاني وأن كان يثق بي شخصيا أكثر من ثقته في سائر الوزراء البريطانيين الآخرين ، واني مستعد أن أنفذ المشروع كما هو والحكومة البريطانية موافقة على ذلك تمام الموافقة . فاذا سقط هذا المشروع بعد ذلك فلن يكون ذلك الا بسبب العراقيل التي يقيمها زغلول باشا وحده في سبيل المفاوضات الرسمية وفي سبيل الاتفاق المنشود)) .

ثم قلت : ((هذه هي الفقرة الخطيرة التي لفتت نظري وأقنعتني اقتناعا تاما بأن ملنر يعلم كل العلم بالانقسام الموجود في الوفد ويعرف أسبابه وبواعثه ومداه فمن الذي أحاطه بكل دقائق الموقف الى هذا الحد غير عدلي . العليم الخبير بالحالة داخل الوفد ؟ . لاشك عندي في أن تشبث ملنر في رفض طلباتك انما يرجع الى عرفانه بحقيقة الخلاف داخل الوفد)) .

وقعت كلماتي هذه على مسامع الرئيس أجمل وقع ، وكأني به قد شعر بالغبطة . ثم أخذ يهز رأسه وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة وقال في مرادة : ((ومع ذلك ترى النحاس وصاحبيه يريدون مني أن أستمر في العمل مع هؤلاء القوم وأغمض عيني عن الواقع الشائك الاليم ، كأن مجرد اغماض العين عن الحقائق يزيل الاشواك أو كأن الكلام الطيب الكاذب يمهد الطريق ويزيل الاخطار ويحقق الاحلام ، ان هذه سياسة النعامة)) .

ثم قلت للرئيس : في نفسى سؤال لا أعرف له جوابا . قال : ما هو ؟

قلت : لماذا لم تعقد جلسة للوفد يحضرها جميع الاعضاء قبل عودتهم الى مصر ، وتطلعهم على خطاب مستر بلنت هذا الذي يهتك المستور ولا تجدى معه مراوغة أو انكار ، انك لو فعلت هذا لكنت تخجلهم وتفجعهم أو توقظ ضمائرهم .

فقال الرئيس : سؤالك هذا يا كامل ليست له القيمة العملية التي تتصورها . ولا فائدة مطلقا في عقد اجتماع لمثل هذه المسألة ، لان

الاعضاء سوف يقولون ((وما شأننا نحن اذا كان ملنر قد عرف رأينا ورأيك في مسألة معينة أو في أى موضوع من الموضوعات ، اننا لم نذهب اليه ونخبره . فقيم اللوم والعتاب)) ، واذا قلت لهم أن صاحبكم عدلى هو الذى أخبره واطلعه على أسرار المداولات فى الوفد لانه الوحيد المطلع على هذه الاسرار ومتصل بملنر فى الوقت عينه ، أجابوا : هذا شأن بينك وبين عدلى كلمه وحاسبة واصرف رايه، ولكن لاداعى الى عقد جلسة للوفد ينظر فيها فيما لا شأن له به ؟ ومن يدري فقد يقولون أكثر من هذا . يقولون مثلاً : ان لك رأيا فى مسائل معينة ولعدلى رأى مخالف فى هذه المسائل ، وعدلى ليس عضواً فى الوفد حتى يلتزم بالتزامات الاعضاء ، فاذا سأله ملنر عن رأيه الخاص هل كان من الممكن أن يكتمه ولا يبوح به بملنر لانه مخالف لرأيك ؟ واذا سأله ملنر عن أى الرايين : رأى عدلى أو رأى سعد يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الوفد هل كان من الممكن أن يمتنع عدلى عن الاجابة بأن رأيه الخاص أرجح كفة من رأى سعد ؟ .

ثم استطرد الرئيس فى تدفقه وكأنه يلقي كلاما محضرا أو يقرأ من ورقة مكتوبة: ولو أنى عاتبت عدلى أو وجهت اليه الاتهام لانكر الاتهام واستنكر العتاب ولاجبنى بأننى انما أحكم بالقرائن والشبهات وليس لدى دليل حاسم سوى سوء الظن والاستنتاج ، وما الذى يمنع ملنر من أن يكتب ما يشاء الى صاحبه بلنت أو غير بلنت ؟ .

ان المسألة يا كامل ليست بالبساطة التى تصورتها وليست لها فى الواقع أية فائدة عملية ، بل الضرر منها انها ستزيد العلاقات سوءا بينى وبين عدلى ان كان وراء سوئها الحال متسع للزيادة)) .

أصغيت الى الرئيس وهو يتحدث فى سهولة ويسر ، ثم قلت عند انتهائه من كلامه لقد اقتنعت . ولكنك يا سيدى قد جاوزت حدود الاقناع ووصلت ببيانك الى حدود الاقحام . فابتسم وقال : هذا أسلوب جميل فى التعليق . .

حياة بلنت

٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

لقد لعب مستر بلنت دورا على أعظم جانب من الاهمية على مسرح العلاقات المصرية البريطانية ، وكان موضع الاحترام والتقدير من جميع

الزعماء المصريين قديما وحديثا . وأرى من واجبي أن ألخص حياته وبواعثه وأهدافه عرفانا بفضلته وتنويعها بذكره وتبييننا لماثره وآثاره .
ولد (بلنت) في سسكس في ١٧ أغسطس عام ١٨٤٠ وكان والده ضابطا اشترك في معركة الجزيرة ، واسرته ارسبقراطية وغنية ومحافظنة .

في سن ١٨ التحق بالسلك الدبلوماسي سكرتيرا في السفارة البريطانية بأثينا ثم مدريد فباريس ثم البرتغال وسويسرا وأمريكا الجنوبية ، وقضى في هذه الخدمات الدبلوماسية حوالي ١٢ سنة .
اعتزل خدمة الحكومة البريطانية عند زواجه من لادى آن حفيدة الشاعر المشهور بيرون .

في ١٨٧٢ ورث بعد وفاة أخيه الأكبر ضيعة ضخمة في مقاطعة سسكس واشتغل بالكتابة في الصحف وبالتأليف شعرا ونثرا ، وبدأت تبرز مواهبه المتعددة الجوانب ، فاشتهر اسمه كاتبا نابها وشاعرا مبدعا ومتحدثا بارع الحديث ، فكثرت أصحابه المعجبون به .
أحب السياحة فزار استنبول والجزائر ومصر والعراق والجزيرة العربية .

في شتاء عام ١٨٧٦ كان أول لقاء بين بلنت ورجالات مصر في ذلك الحين فشهد الثورة العرابية وصاحبها ، وكان يعطف على المطالب القومية المصرية أشد العطف ، كما استنكر بلسانه وقلمه في الصحف السياسة البريطانية الاستعمارية أشد الاستنكار اذ رآها رآى العين تحريك المؤامرات وتلجأ الى كل أساليب الختل والكذب والخداع تمهيدا لتدخلها واحتلالها لمصر ، وكان صديقا حميما لعرابي والشيخ محمد عبده ، وأجرى معهما أحاديث متنوعة وعرف نواياهما وأهدافهما فأعجب بهما ، وأرسل رسالة ضافية الى جلادستون رئيس الوزراء البريطانية بخلاصة أحاديثه مع عرابي ، وقد اشترك معه في وضع هذه الرسالة الشيخ محمد عبده نفسه وأطلع عليها عرابي قبل ارسالها الى لندن ، وكان عمره في ذلك الوقت ٤٢ سنة وعمر سعد زغلول ٢٢ سنة وقد تعرف به سعد في منزل الشيخ محمد عبده وأعجب به .

ظل بلنت يعطف على قضية مصر طوال حياته وظل جزينا على مرور السنين بسبب احتلالها ، وقد ألف بلنت كتابا ضخما بعنوان (التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر) وطبعه ونشره عام ١٩٠٧ .

وقد ضايق هذا الكتاب (بأسراره الخطيرة المكشوفة) الحكومة البريطانية حتى أنها حاولت مصادرتها ومنع انتشاره بشراء كل النسخ المعروضة فى الاسواق حتى لا يطلع عليه الناس خارج بريطانيا .

وعندما فشلت ثورة عرابى واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ قام بلنت بنشاط كبير فى لندن للدفاع عنه ، فأختار المحامى الانجليزى القدير برودلى ليكون محامى عرابى فى أثناء محاكمته ، كما قابل رئيس الوزراء جلاستون وولى العهد وكثيرين من أعضاء البرلمان ، ولما فشل فى انقاذ عرابى من مخالف السياسة الاستعمارية ومخالب الخديو توفيق الذى كان يريد اعدام عرابى من فرط غيظه وحقدته عليه ، نظم فى عرابى قصيدة طويلة بعنوان (الريح والعاصفة) .

ودرس بلنت (اللغة العربية) وأتقنها وأحب الادب العربى ، وكان يرى أن العرب هم ورثة مدنية عامرة بالبطولات والادب الحى الجميل .

ومما هو جدير بالذكر أن المحامى برودلى (بعد عشرة أيام من بدء محاكمة عرابى) أرسل برقية الى بلنت جاء فيها ان أزمة خطيرة قد ظهرت اذ علم من ثقة أن الخديو مصمم على شنق عرابى وأنه لن يرضى بأقل من ذلك عقوبة ، فهاج بلنت وماج وكتب مقالا ضافيا فى جريدة التيمس هاجم فيها الخديو واتهمه علنا بأنه سبب كل المتاعب ، كما اتهمه صراحة (بالرغبة) فى اعدام عرابى الوطنى المصرى ، فثار الرأى العام فى انجلترا حتى اضطرت الحكومة البريطانية أن تنصح الخديو ألا يتدخل وأن يعدل نهائيا عن رغبته فى شنق عرابى فعدل كارها .

ولما صدر القرار بنفى عرابى الى جزيرة سيلان مع بعض صحبه
هزت الاريحية بلنت الى السفر الى سيلان فى ٢٠ من اكتوبر عام
١٨٨٣ لزياره عرابى * (١)

واخيرا وليس هذا بالاقل أهمية من كل ما سبق ..

ما كاد بلنت يعلم بوصول سعد زغلول الى لندن لمفاوضة ملنر
حتى ارسل اليه خطابا يعرض فيه خدماته ويقول أنه يكون
سعيدا جدا أن يكون فى خدمة قضية مصر فى هذه المرحلة وفى
خدمة الوفد ورئيسه رغم شيخوخته وكثرة أمراضه (وكان بلنت
فى الثمانين من عمره عام ١٩٢٠) ، فكان رد سعد على هذا الخطاب
الرفيق الكريم أن سارع الى زيارته فى بيته الجميل فى مقاطعة
سسكس وقد صحبت الرئيس فى هذه الزيارة .

سألت الزعيم سعد زغلول عقب عودتنا الى لندن عن مشاعره
بعد هذه الزيارة ، فقال : ((هذا الرجل تحفة نادرة)) بين الانجليز
وقد بلغ من نبلة وشهامته أن تمرد على الظلم ومكائد الاستعمار
البريطانى فى مصر . من فرط حبه للحرية والكرامة الانسانية
وانصاف المصريين من بغى أبناء وطنه وطغيانهم ، وكان صديقا وفيئا
غاية الوفاء لعرابى ومصر وأبناء مصر ولا أعرف له هفوة واحدة فى
صدق خدمته لنا ، انه رجل مثالى فى عصر ضاعت فيه المثاليات ،
وأنا لا أعرف نبلا أعظم من نبلة فى خدمة قضايا الضعفاء ضد الاقوياء
وآية ذلك أنه تبنى قضايا التحرير فى مصر وايرلندة والهند)) .

(١) * ملاحظة : (كان الحكم قد صدر على عرابى وصحبه
بالنفى فى ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأخرجوا من مصر الى المنفى
يوم ٢٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعاد من المنفى فى سبتمبر سنة ١٩٠١
وكان يسكن فى شارع خيرت . فحضر بلنت الى مصر فورا لزيارة
عرابى والاطمئنان على حاله فى اكتوبر سنة ١٩٠١ وظل يزوره
يوميا طوال شهر كامل ومعه الشيخ محمد عبده ، وتوفى عرابى فى
٢٢ سبتمبر عام ١٩١١

وقد سجل عرابى رأيه فى بلنت اذ قال : ((هذا رجل عظيم
كريم لم يدخر جهدا ولا مالا فى معاونته لى فى ساعة محنتى وحاجتى
القصى الى المعونة ، بعد أن تخلى عنى أصدقائى المصريون الذين
كانوا يلزموننى ولا يتركوننى فى أيام اليسر)) .

وقد ظل بلنت الى آخر يوم في حياته يشجع كل مصرى يقابله
ويبارك كل مجهود يبذل لخلاص مصر من الاحتلال البريطاني الذي
اعتبره وصمة في جبين بريطانيا ومظهرا لحقارة السياسة البريطانية
الاستعمارية المخائلة المخادعة *

خطاب من الرئيس الى النحاس

أملى على الرئيس سعد صباح اليوم خطابا منه الى مصطفى
النحاس جاء فيه ما نصه :

((كنت أنتظر منكم أن تحيطوني علما من آن لآخر بتفصيلات
الاحوال عندكم خصوصا ما يتعلق منها بقدوم اصحابنا فلم ترسلوا
الا ذلك التلغراف الذي أجملتم فيه تلك الاحوال ، ولكنى الى الآن
لم أعلم ما قالوه لكم في الاجتماع الذي عقدتموه مع أعضاء الوفد ،
ولا السبب الذي حمل القاعدين منكم على الاشتراك مع العائدين
في ذلك البلاغ ولم يطلب من القاعدين بيان وانما الذي كلف به
العائدون كما لم أعلم السبب في عدم الاجابة على بلاغى الذي نشرته
الاخبار اذا كان معنى الاثنين واحدا ، ومرماهما واحدا ، وكيف
وافقتم انتم على هذا الخلاف وهل اعتقدتم معهم ان العدليين
الذين أشعلوا نار الخلاف بما كتبوه في الجرائد خصوصا في جريدة
الافكار والاهرام ، كانوا يروجون سياسة الدخول في المفاوضات
على أساس المشروع حبا للوطن ورغبة في الصالح العام كما ورد في
ذلك البلاغ ؟ هل اعتقدتم أن تلك المناقشات بريئة ان الامر خطير
وستظهر الايام ما كان خافيا)) .

برقية من النحاس

٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

في الساعة السابعة صباحا جاءتنى اشارة تليفونية من الرئيس
أن اذهب اليه فورا في منزله ، وبعد دقائق معدودات خرجت

*توفي بلنت عام ١٩٢٢ وهو في سن الثانية والثمانين .
وقد قابل المصريون وفاته بالاسى والاسف والحزن الشديد . وكان
أول اكليل من الورد والازهار وضع على قبره في سسكس هو اكليل
سعد زغلول زعيم مصر الذي عذبه الانجليز ونفوه أخيرا كما فعلوا
مع عرابى الذى سبق أن حاربوه ونفوه من قبل الى جزيرة سيلان

مسرعا من حجرتي وذلك لاني تصورت ان الرئيس قد يكون مريضا
وفي حاجة قصوى الى ولا معنى لاضاعة دقيقة واحدة ان امكن .
وجدت الرئيس في حجرة مكتبه وكل ما هنالك ان تلغرافا بالشفرة
وصله من النحاس سلمه الى لاجل رموزه ، ونصه كما يلي :

((لم يعمل أى عضو من العائدين حديثا بعد البلاغ الذى صدر ،
والامة منتظرة بفارغ الصبر بلاغا منكم وعسى ان يكون قراركم
النهائى سالما ومرضيا)) .

وما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى أمر بحفظها وقال :
((هل تعلم ان عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وحمد الباسل
ومحمد على علوبة لا يكونون الحب لمصطفى النحاس .. انها
الحقيقة الاليمة)) .

بريد من مصر

وصلت جرائد مصر الآن وأنا جالس مع الرئيس وتسلم معها
بضعة خطابات منها اثنان من النحاس وفيهما وصف استقبال
الاعضاء وما بدله من مجهود كبير ليمنع وقوع أية مظاهرات عدائية
لهم ، وأن نقابة المحامين قررت عدم ارسال نائبين عنها لاستقبالهم
بعد أن سبق أن قررت ذلك ، وأن النحاس وحافظ عفيفى وويصا
واصف أرسلوا برقية لاسلكية الى ظهر المركب يرجون فيها الاعضاء
بالا يدأوا بأى حديث أو تصريح عند وصولهم حتى يقابلوهم ،
وليس فى الخطابين شئ مطلقا عما قاله الاعضاء لهم عند لقائهم
ولا ما جرى فى اجتماعهم الذى انتهى باصدار بلاغهم .

هذا وقد لاحظ الرئيس ان جرائد (الامة والمحرسة والاهالى)
طلعت فيه أشد الطعن كما نشرت برقيات زعمت انها وصلت اليها
من أنحاء البلاد بسحب التوكيل منه وكتب أحمد وفيق المحبامى
(حزب وطنى) مقالا جاء فيه : ((ان سعد زغلول لم يتشبت بعدم
الدخول فى المفاوضات المقبلة كدافع وطنى ، وانما مجرد معاكسة
عدلى الذى أظهر ملنر الميل اليه دونه)) .

سعد يقول : عودتى لمصر ضرورية !

٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تناولت الشاي مع الرئيس اليوم ثم قال وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ((عجباً !!! أن بعض جرائد مصر قد أخذت الآن تنتهجم على والادهي من ذلك أن المدعو اسماعيل بك لبيب (من الحزب الوطنى) قد أرسل برقية الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بأن الشعب المصرى لا يؤيدنى وبأنى لم أعد أمثل مصر ، وأن كل اتفاق معى لا قيمة له ولن تقبله مصر ، هكذا بلغت الحماسة والخيانة بعض الناس ، وكان الوطنية فى نظرهم هى أن يطعن بعضنا على بعض ، وأن نسقط كل زعيم يحوز ثقة الأمة حتى لا يرتفع رأس وحتى تضيق كل ثقة . الثقة لا بد من الثقة فهى سر نجاح الانجليز اذ تتوافر الثقة بين أبنائها ، ولا خير فى أمية لا تحترم قادتها . تصححهم أن أخطأوا لا أن تقتلهم قتلاً ، وأسفاً على مصر ما دام فى بعض أبنائها هذا الطغام الحافد الاعمى الذين لا يدركون أنه ليس من السهل ايجاد الزعماء الكفاء فى المراحل الحاسمة من مراحل التاريخ)) .

بهذه النغمات تحدث الزعيم ، ولكن سرعان ما انتفض اقصى ما يكون وقال : ((هؤلاء ليسوا هم الأمة وانما هم انتهازيون لا فى العير ولا فى النفير ، ولا وزن لهم ولا تأثير ، وفطرة الشعب المصرى سليمة يمكن الاعتماد عليها . ثم قال :

((ان الحكمة والضرورة تقضيان بعودتى الى مصر لاتولى المعركة بنفسى بعد أن أعيد تنظيم الوفد من جديد . انها معركة ضارية قاسية . انظر الى جرائد المتأمرين تجد الاهالى والمحروسة والمنبر ولا هم لها فى جميع مقالاتها الا مهاجمة الوفد ومحاولة اثبات تقصيره وهى تهدف من وراء ذلك كله الى اسقاط التوكيل عنه وفض الناس من حوله ، وهى فى كل ذلك لا تتعرض للانجليز بكلمة نقد واحدة . . ولا شك فى انها جرائد مأجورة من الانجليز الذين يقدرون عليها المصاريف السرية بسخاء واسراف . وللانجليز أسلحة مختلفة لمحاربة الشعوب ، فقد اتخذوا الوطن والمنبر ليمدحا كل ما عرضه الانجليز حتى التى تخدم الاستعمار البريطانى بشكل مكشوف لا ثقة للناس بها ، لذلك لجأ الانجليز الى نوع آخر من الجرائد ، وهى جرائد الحزب الوطنى .

انها جرائد تتطرف في الوطنية وتطلب المخال السودان وملحقاته والصومال وزيلع بلا قيد ولا شرط وهي تمطر الوفد وابلا من التهم الباطلة وليس لها قصد في ذلك التطرف والتظاهر بالوطنية الجامحة الا زعزعة ثقة الناس في الوفد ورئيسه، ثم هي لا تتعرض للانجليز باى سوء او نقد . لقد تتبعنا كل ما كتبت فلم أجدها تعرضت ولا مرة واحدة للاعضاء العائدين بكلمة نقد ، وانما النقد الشديد محصور ومركز كله على سعد زغلول بغير اى ذاع او مبرر، ولكن عداها السافر نحوى لا سيما وهم يرون ثقة الامة بشخصى ثقة فريدة معدومة النظر .

حتى جريدة الاهرام أصبحت مملوءة بكتابات العدليين وانصار الاعضاء العائدين وتحبيد مشروع ملتر ، أن عودتى أصبحت لازمة وانى لقادر على تحطيم كل هؤلاء القادرين والمنحرفين)) .

سفر ثلاثة الى لندن فجأة

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تقرر اليوم سفر على ماهر وسينوت، حنا الى لندن ومعهما الدكتور حامد لان البرلمان سيفتح في ١٥ منه ١٦ ويحسن مقابلتهم لبعض أعضاء مجلس العموم من حزب العمال العاطفين على مصر لكي يضعوا أسئلة محددة لكشف الطريق عن نيات الحكومة البريطانية ازاء مصر في ضوء تقرير ملتر الذى لم ينشر بعد . وفي أثناء تناولى الشاى مع الرئيس سألته عن الحكمة في ارسال سينوت حنا وهو لا يعرف الانجليز فابتسم وهز رأسه وقال : ((لا تنس أن لسينوت شهرة في مصر من أيام مقالاته المشهورة)) .

هذا وقد وضع الرئيس مذكرة عن التحفظات المراد تعديل مشروع ملتر على أساسها وطلب منى أن أترجمها الى الانجليزية حتى يأخذها على ماهر معه .

١٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سلمت الرئيس الترجمة الانجليزية للتحفظات فسلمها بدوره الى على ماهر ، وعند الانصراف فى الساعة الواحدة بعد الظهر رجائى أحمد نجيب أن أكلّم الرئيس فى مسألة إذاعة خبر سفر على ماهر وسينوت بواسطة مراسل الاهرام لا الاخبار وأفهمنى أن

عملا كهذا قد يقتله. ويقتل الاخبار لا سيما أن الاهالى قالت انه سخر لخدمة الرئيس وأنه لا يجوز بعد التضحيات الكثيرة التي تحملها أن يعامل اليوم على هذه الصورة ، فضحكت وقلت له هل الرئيس أراد أن يثبت للاهالى أنك غير مسخر لخدمته وخدمة سياسته ، فكرر الرجاء . وفى المساء كلمت الرئيس فدهش كثيرا وقال : ((كيف عرف نجيب هذا الخبر بهذه السرعة)) ثم قال متعجبا ((لم يستطع أصحابنا كتم شيء ، أن الحقيقة هي أنى لا أريد أن أعلن عن سفرهم حتى لا تؤمل الامة أملا باطلا ، فتتساءل عن القصد من المهمة وعن نتيجتها بعد عودتهم الى باريس ، وانى أشرت عليهم أن يسافروا بلا إعلان منى فى الاهرام او الاخبار، ولكن ما الحيلة ، وقد تسرب الخبر ؟)) .

مهمة محمد محمود باشا فى أمريكا

١٣ من فبراير سنة ١٩٢١ :

علمت من الرئيس فى أثناء تناولى الشاي معه أن محمد محمود باشا كان قد ذهب الى أمريكا ومعه ٣٥ ألف جنيه من أموال الوفد، وبعد عودته قدم تقريرا للرئيس أوضح فيه أنه اتفق مع مستر فولك المحامى على أن يفلق مكتبه ويتخصص لخدمة القضية المصرية معه مقابل ألف جنيه فى الشهر .

وبعد أيام من وصوله الى باريس أراد محمد محمود أن يسافر الى إنجلترا للدعاية هناك ، ولكن الرئيس رأى تأجيل النظر فى هذا الاقتراح فوافق أعضاء الوفد على ذلك .

١٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سافر صبيحة اليوم على ماهر وسينوت حنا وحامد الى لندن وأرسل نجيب الى الاخبار برقية قال فيها : ان سفرهم كان بناء على دعوة خاصة من بعض أصدقائهم من أعضاء البرلمان الانجليزى .

تفتيش واستجواب

١٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

فى الساعة الواحدة من بعد الظهر عدت الى البانسيون للغداء كالعادة ، واذا بخطاب من الدكتور حامد محمود ينتظرنى وهو بتاريخ أمس ١٥ من فبراير وهو اليوم التالى لوصولهم الى لندن

فأسرعت الى فضه واذا بداخله خطاب خاص مفلق باسم الرئيس فحملته اليه بعد الظهر وفتحه ، فاذا مطلعته : ((عزيزى كامل)) فقال لى الرئيس هذا لك وأخذ يقرأه بصوت مسموع وعلمنا منه أن ثلاثتهم (على ماهر وسينوت وحامد) كانوا مراقبين أشد المراقبة على ظهر السفينة من (كاليه الى دوفر) . وما أن نزلوا الى شاطئ دوفر حتى تقدم اليهم موظف بريطاني وطلب منهم أن يتبعوه الى مكتبه ، وهناك أخذ فى استجوابهم : سأل الدكتور حامد عن سبب قدومه الى إنجلترا وعلاقته بالوفد وما ينوى عمله ومدة الإقامة فيها ، ثم سأل على ماهر عن مهمته وعن المدة التى يريد قضاءها فى لندن ، ولما أجابه بأنه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته سأل عدة أسئلة فى هذا الموضوع ، ثم جاء دور سينوت خنا ووجهت اليه نفس الاسئلة وبعد ذلك فتش هذا الموظف الدكتور حامد تفتيشا دقيقا حتى بطانة ملابسه وقبعته ، كما فتشت أمتعتهم جميعا وعثر فيما عثر من أوراقهم على الترجمة الانجليزية للتحفظات وشرحها بقصد طبعها وتوزيعها على أعضاء البرلمان ، واستمر التفتيش طويلا حتى فاتتهم القطارات المخصصة لسفر الركاب من باخرة دوفر الى لندن .

وأخيرا اضطر الموظف الى مصاحبتهم الى فندق ليقيموا فيه الليلة حتى يستشير لندن ، وفى صبيحة اليوم التالى (وكانوا يتناولون طعام الفطور ويتباحثون فى هل يعودون الى باريس فورا ويقيمون فى الفندق ليلة أخرى) حضر الموظف واعتذر لهم طويلا ، وفى أدب جم سمح لهم بالسفر الى لندن ، وانتظر على الرصيف حتى تحرك القطار بعد أن كرر الاعتذار . .

اطلع الرئيس على كل هذه التفاصيل وهو فى ذهول من هذه المعاملة الجافة الخشنة الوقحة ، واستاء منها أشد الاستياء وتطير لها كثيرا فى تشاؤم وانقباض . وقال فى دهشة : ((كيف علم الانجليز بسفرهم قبل وصولهم الى دوفر ؟)) .

فقلت يا سيدى ان دومانى قد ذهب بجوازات سفرهم الى القنصلية البريطانية وحصل منها على التأشيرات اللازمة لزيارة إنجلترا ، فلا يستبعد أن يكون القنصل الانجليزى قد أبلغ حكومته بذلك ، بل لعله استأذن حكومته أولا قبل إعطائهم الفيزات اللازمة

فقال الرئيس : اذن نحن مراقبون هنا فى باريس وأصبحنا مشبوهين فى نظر الانجليز ؟ .

فقلت : أما المراقبة فمؤكدة . بدليل ما حدث من قرائنها ، ولا شك أن الحكومة البريطانية تخشى من حركاتك وسكناتك لا سيما والبرلمان البريطاني على وشك الاجتماع ، وقد بدأت فعلا دورة انعقاده أمس وبدأت أسئلة الاعضاء تنهمر على الوزراء . ثم قلت : ((ولكن الذى لا أفهمه يا سيدى لماذا قال على ماهر انه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته ولم يقل الثلاثة بايجاز أنهم قادمون للزيارة ، مجرد الزيارة وتمضية أجازة قصيرة فى لندن ؟)) .

فقال الرئيس باسم : ((المتهم يرتبك دائما وقل أن يقول الحقيقة ويرى فى غيرها منجاة له)) . .

تصريح رئيس الوزراء البريطانية فى مجلس العموم

١٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

أدلى رئيس الوزارة البريطانية فى مجلس العموم أمس ببيان جاء فيه أن حكومته لا تبت بقرار فى مسألة مصر إلا بعد استشارة الحكومة المصرية ، فأرسل الزعيم خطابا ظهر اليوم الى على ماهر جاء فيه : ((أن أعضاء البرلمان لا شك يعسفون أن وزارة مصر لا تمثل أى جزء فى الأمة ، ولا هى من الحزب الذى النفوذ فى البلاد ، وانها لا تعبر الا عن رأى أشخاصها وكلهم نكرات ولا وزن لهم فى البلاد)) .

وقصد الرئيس فى هذه العبارة أن يلفت على ماهر نظر بعض انصارنا من أعضاء البرلمان الى هذه الحقائق وأن يسألوا فى ذلك حكومتهم .

برقية رئيس اللجنة المركزية للوفد الى رئيس الوزارة البريطانية :

١٨ من فبراير :

لاحظ الرئيس فى ضيق ظاهر أن محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية فى مصر أرسل برقية احتجاج الى رئيس الوزارة البريطانية على تصريحه الأخير ، كما سبق أن أرسل برقية احتجاج على تصريح تشرشل وزير المستعمرات الجديد ، فأملى على الرئيس خطابا موجه الى مصطفى النحاس جاء فيه :

((لاحظت مع الاسف ان رئيس اللجنة المركزية أرسل باسمه وعن أعضاء الوفد الموجودين في مصر ، برفقة الى لويد جوج رئيس الوزارة البريطانية ، وهي أول مرة تخاطب اللجنة المركزية سلطة أجنبية خارج مصر . وكانت خطتها من يوم تأليفها مراسلة الوفد بما يعن لها من الآراء والأفكار ، وهو يتصرف فيها بحسب ما يراه وذلك طبقاً للأئحة الوفد التي تشكلت بمقتضاها ، ولم يترتب على هذه الخطة من يوم وضعها إلا ما قدر لها من وحدة العمل وانتظام السير . ولم تبد من الأمة (خصوصاً في هذه الأيام) إلا ما يؤيدها ويؤكد صفة من يمثلها ، فلماذا اختارت في هذه المرة طريقة غيرها ولا تتفق مع نظام العمل ؟

ان كان المقصود ان تحل اللجنة محل الوفد ورئيسها فحل رئيسه فلا يكون ذلك إلا بإرادة الأمة ، وما دامت هذه الإرادة غير موجودة فلا يتأتى لي ان أتخلى عن المسؤولية التي القيت على عاتقي ، وإذا كنت قد سكت حتى الآن لعدم تأكدي من هذا القصد فاني لا أبيع لنفسي السكوت عنه إذا تكرر العمل وتأكد القصد والسلام))

توقيع

سعد زغلول

إذاعة تقرير ملنر :

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

نشر اليوم تقرير لجنة ملنر . ظهر في لندن بالانجليزية وظهر في القاهرة مترجماً الى اللغة العربية . وفي المساء وصلت اليها نسخة بالانجليزية أرسلها اليها على ماهر بالطائرة من لندن ، فكلفني الرئيس أن أقوم بترجمة التقرير كله الى العربية بأسرع ما يمكن ولو أسهر الليل كله ، وذلك حتى يطلع على ما فيه اذ لا يطيق الانتظار حتى ترد اليها الترجمة العربية الرسمية من القاهرة . وبعد العشاء عدت الى شقة الرئيس كالعادة في الساعة التاسعة مساء بعد أن اشتريت في طريقى جريدة التيمس . وقد وجدت قد نشرت مقالة افتتاحية عن مصر وخلاصة موجزة من آراء اللجنة ملنر الواردة في التقرير .

سعد يقول انها حماية مقنعة

وقد ترجمت كل هذا شفويا للرئيس وهو مصبغ أتم أصغاء بلا سؤال منه أو استفسار ، فلما فرغت من الترجمة قال :

((يا عجباً !!! أيمكن أن يشك أى إنسان فى أن هذه حماية مدعمة مستوررة حيناً • وعارية حيناً آخر ؟ اشتراك فى الإدارة الداخلية والخارجية ، وشئون التشريع وإبقاء قوة عسكرية لها فى البلاد فى غير منطقة قناة السويس ، ثم موظفون بريطانيون يملأون الوزارات الحكومية ومصلحتها واستخدام لكل وسائل النقل والمواصلات فى مصر ، وحمايتها مدة السلم والحرب ؟ فماذا عملنا بعد كل جهودنا فى لندن ؟))

ولما اكفهر وجه الرئيس غضباً وسخطاً وبعد صمت قليل طلب الى أن أنصرف فوراً لاتصفح التقرير كله لكى أخبره فى الصباح بأهم ما ورد فيه من آراء ومقترحات خطيرة ، ثم أبدأ بالترجمة على وجه السرعة .

خرجت وأنا حائر مذهول كيف أقرأ هذا التقرير الطويل العريض المسهب لكى أكتشف أهم ما فيه مما أعتقد أنه يعنى الرئيس أن يعرفه فوراً ؟ ثم كيف أترجمه فى أيام قلائل والرئيس يريد على ما يظهر أن تتم الترجمة فى ساعات ؟ أن التقرير وثيقة من أهم الوثائق وكل كلمة فيه موزونة بميزان الذهب ، والسرعة فى الترجمة تضر ولا تنفع الا قليلاً ، ومع ذلك سأفعل ما أستطيع ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

ويا عجباً مرة أخرى كما قالها الرئيس عند انتهائى من ترجمة ما نشرته التيمس فقد رأيت ضوء الفجر يتسرب الى حجرة نومي وأنا أعدو فى قراءة التقرير عدوا وأطوى صفحاته طياً حتى وصلت الى ثلثه الأخير . ثم نظرت الى الساعة فإذا هى الخامسة صباحاً ، ولم أنم لحظة واحدة فقد نسيت النوم ونسيت نفسى ، ولم أذكر الا التقرير وواجبى إزاءه وإزاء الرئيس وإزاء وطنى مصر ، فلما رفعت عينى من التقرير لاستريح قليلاً نظرت الى المرأة فإذا عيناى مختقنتان يكاد الدم يقطر منهما ، وإذا برأسى يكاد ينفجر من شدة ما فيه من حرارة فغسلته بالماء البارد بلا فائدة ثم بللت منديلاً بالماء البارد ووضعتة على وجهى وعلى عيني عساه يتمكن بالتبخير من تخفيف ما أعانيه من حرارة كأنها حرارة حمى ضارية .

كنت فى أثناء قراءتى للتقرير ممسكاً بقلم أحمر واضع علامة أو إشارة على كل كلمة أو عبارة أو فكرة أظن أن الرئيس يجب أن يعرفها إذ محال أن أتذكر كل ما قرأت ولكن هذه العلامات الحمراء تساعد الذاكرة على ما استوعبته فى المطالعة السريعة حيناً بحين وقت التلخيص للرئيس بلا إفراط أو تفريط .

انقضت ساعة كاملة وأنا منصرف الى عملية تخفيض حرارة رأسي واحمرار عيني بطريق التبخير ، ثم استأنفت القراءة السريعة الملهوفة حتى الساعة الثامنة صباحا فحضر الفطور ولا أدري كيف التهمته .

وفي الساعة التاسعة صباحا كنت في شقة الرئيس ، واذا هو جالس في مكتبه ينتظرني بفارغ الصبر ، فحدثته عما اكتشفته في هذا التقرير . واستغرق حديثي معه ساعتين كاملتين وهو مطرق لم ينظر الى وجهي مرة واحدة ليدرك ما في عيني من احمرار مسرف ودون أن يسأل كيف حملت ذاكرتي كل هذه البيانات والمعلومات ، فلما فرغت ونظر الى اظهر اعجابا واشفاقا وتقديرا دمعت له عيناى ، وطلب الى أن اذهب فورا الى الفراش لاستريح قليلا ثم أبدأ في الترجمة الحرفية لكل هذا التقرير وأن أعود اليه في المساء بعد العشاء كالعادة ومعنى ما ترجمته .

لا حاجة الى تسجيل كم دقيقة نمت واسترحت وكم ساعة ترجمت وأرهقت ، هذه أمور يصفها الخيال بالقصور ويعجز القلم عن ايفاء حقها في الوصف والبيان ، ثم هي مسائل شخصية لا تهم أحدا غيري فلأنصرف عنها الى ما هو أجدى وأقوم .

٢٠ من فبراير الى ٢٥ فبراير ١٩٢١ :

في ستة أيام كاملة بنهارها ولياليها فرغت من ترجمة هذا التقرير العتيد . كل فقراته المهمة ترجمتها ترجمة حرفية دقيقة كاملة ، وما مداها وهو قليل لخصتها تلخيصا يعطى فكرة دقيقة عنها . .

قرأ الرئيس الترجمة في نهم وحماسة أولا بأول فلما فرغ وانتهى منها اشتد سخطه وألمه وضيقه بهذا التقرير في كثير من فقراته وقال بصوت مرتفع ((هذا كذب كذب ، لم أتصور لحظة ان ملنر يمكن أن يهبط الى هذا الحضيض من الكذب والبهتان)) . . ولاذكر على سبيل المثال لا الحضر ما وصفه الرئيس بأنه مجرد من الصدق والامانة من عبارات التقرير :

١ - ان أعضاء الوفد عادوا الى مصر لاثهار ما في المشروع من فوائد ومزايا ولحمل الناس على قبوله .

٢ - ان مبدأ ابقاء قوة عسكرية في القطر المصري مسلم به من الوفد ولم يبق الا تعيين مكانها .

٣ - ووصفه الوفد بأنه كان يسلم أحيانا بعندالة الحجج الانجليزية ولكنه كان يخشى من حكم الناس عليه في مصر ، وكان يخاف أن يتهم بالخروج عن توكيله .

برقية الرئيس الى مصطفى النحاس

أرسل الرئيس يوم ٢٤ من فبراير برقية الى مصطفى النحاس يطلب فيه :

((أن ينشر مشروع الوفد الاول لانه ابلغ رد على مقترحات تقرير لجنة ملنر فيما ينسبه الى الوفد من الرضا عن مشروعه لا سيما فيما يختص بمبدأ بقاء قوة عسكرية بريطانية في مصر والعلاقات الخارجية والداخلية بين البلدين)) .

فورد الرد من النحاس يوم ٢٥ من فبراير جاء فيه :

((ان جميع أعضاء الوفد هنا يرون تأجيل النشر حتى يتم درس التقرير كله وكانت الموافقة بالاجماع على هذا الرأي)) .

- ما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى ثار ثورة عارضة خشيت أن يصاب بعدها بمكروه .

وفيما يلي أبرز ما ورد في تقرير ملنر عما دارت بشأنه المفاوضات واستطالت عدة جلسات ، لأهميتها ، وهي :

- ١ - سياسة بريطانيا ازاء السودان .
- ٢ - رأى ملنر في زيارة المندوبين الأربعة لمصر .
- ٣ - مصر والتمثيل السياسى .

ملنر والسودان

فقد جاء فى التقرير عن موضوع السودان ما نصه :

((يجمل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادئ التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ، وأشير فى الوقت نفسه الى الخطة العامة التى يلوح لنا أنها أصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول :

((أن الاكثريّة الكبرى من أهل مصر متجانسة بالنسبة الى سواها
 وأما السودان فمقسوم بين العرب والسود وفي كل من هذين
 الجنسيتين الكبيرين أجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا
 عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . أما عرب السودان فيتكلمون
 باللفة التي يتكلم بها أهل مصر وتجمع بينهم جامعة الدين .
 والاسلام أخذ في الانتشار في السودان حتى بين الاجناس غير
 العربية من أهله ، وهذه المؤثرات تطف ما بين أهالي البلدين من
 التضاد والتنازع ولكنها لا تقوى عليه بعد ما زادت ذكريات سوء
 الحكم المصري الماضي قوة وشدة)) .

((أما الروابط السياسية التي ربطت السودان بمصر في فترات
 مختلفة من الزمان الماضي فكانت دائما روابط واهية ، فان الفاتحين
 المصريين اجتاحتوا أقساما من السودان بل السودان كله ، ولكن
 مصر لم تخضع السودان قط اخضاعا حقيقيا ولا ادغمته فيها
 وجعلته بعضها منها بمعنى من المعاني ، وكان فتحها له في القرن
 الماضي نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى أمره بفتنة المهدي التي
 قلبت السلطة المصرية رأسا على عقب في أوائل العقد الثاني من ذلك
 القرن ، ولم يبق للسلطة المصرية أثر في السودان مدة أكثر من
 عشر سنوات إلا في مقاطعة صغيرة حول سواكن ، فاضطرت بريطانيا
 العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات أنفقت عليها
 أموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التي كانت
 مرضة لسيل عصابات المهدي الجارفة ، واستلمت الايدي
 البريطانية زمام حكومة السودان فعلا منذ فتحت القوات البريطانية
 والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين في سنتي ١٨٩٦ - ١٨٩٨
 وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية في سنة ١٨٩٩ لان
 الحاكم العام وان كان يعينه سلطان (وسابقا خديو) مصر
 فالحكومة البريطانية هي التي ترشحه ، وكل مديري المديريات
 وكبار الموظفين هم من البريطانيين فتقدم السودان تقدما عجيبا
 ماديا وأديبا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام لاننا اذا حسبنا
 حساب كل ما تقضيه بساطة هذه القضية وهي ادخال المبادئ
 الاولى لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد أهلها لا يزالون في أول عهد
 السداجة ، حكمنا بأن النجاح العظيم الذي نجحته بلاد السودان في
 المدة الطويلة التي كان فيها السير رجند ونجت حاكما عاما عليها
 يعد أمجد صفحة في تاريخ الحكم البريطاني على الشعوب المتأخرة
 . . . أما الحكومة الحالية فمقبولة ومحبوبة عند أهل السودان ،
 والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد الا فيما ندر)) .

((غير انه وان تكن مصر والسودان بلدين متمايلين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين ، فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جداً في السودان وهى ان النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات الاميال في بلاد السودان ، فمن أهم الامور لمصر منع أى تحويل لماء النيل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية أو أن يمنعها من اصلاح أراضيها التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصير قابلة للزراعة اذا خزن ماء النيل وزاد ما يرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأساً من النيل قليلة حتى الآن ، ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم الى ماء أكثر لاجل تقدمها ، وقد يفضى ذلك الى التضارب بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ، ولكن الامل وطيد انه اذا حفظت مياه النيل جيداً ووزعت كذلك ، كلفت لرى كل الاطيان التى يمكن ان تحتاج الى الرى سواء كانت في مصر أو في السودان . ولكن التحكم في مياه النيل وضبطها للرى مسألة في أعظم مكان من الاهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى في رأينا تعيين لجنة دائمة من خبيرين من الطبقة الاولى وأيضاً من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الامر وهى مصر والسودان وأوغندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم فى ماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط .

ولتجاوز مصر والسودان ولاشتراكهما فى المصلحة فى النيل يحسن أن تكون بينهما رابطة سياسية على الدوام ، ولكن هذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر ، فبلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها ويحق لها أن تكون كذلك أيضاً ، ولم يحسن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها فى آخر الامر وكيفية لقضاء أغراضها فى الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخير السودان عن الترقى والتقدم مستقلاً عن مصر .

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عليها ولكن لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله فى حكومة مركزية ، بل الواجب ألقاء مقاليد ادارته بقدر الامكان الى حكام

من الوطنيين حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظرا لاتساع أرجائه واختلاف طباع أهله وأخلاقهم ، فالحكومة البيروقراطية المركزية لا تلائم السودان على الإطلاق وإنما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطيع لقضاء الأعمال الإدارية البسيطة التي تحتاج إليها البلاد في الحالة التي هي عليها من التقدم لأن ذلك يقلل نفقاتها ويريد في كفاءة رجالها وحسن ادارتها . والموظفون الآن من أهل البلاد لا يزالون قليلي العدد بجانب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة في السودان ، ولكن هذه الصعوبة ستدلل كلما تقدم التعليم في السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفاء من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب في الوقت عينه الانتباه الكلي الى أمر التعليم حتى لا يرتكب فيه الخطأ الذي ارتكب في مصر بإدخال نظام إليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الأعمال الكتابية والوظائف الإدارية الصغيرة وتخرج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم الى الاستخدام في الحكومة . فليس في السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يوجه التعليم بحيث يربى في السودانيي القابلية والميل الى الأعمال الأخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة إذ حاجة تلك البلاد الآن هي الى الترقى المادى ، وفي وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان . .

ان القواعد العسكرية التي لا تزال تستخدم في السودان كبيرة جدا . نعم ان وجود جيش كبير في تلك البلاد كان لازما لاتمام فتحها ولاستتباب السكون فيها ، ولكننا نرى أن الزمان قد حان لاعادة النظر في مسألة القوات العسكرية في البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على مائت مصر من بقائها هناك . ثم أن وظيفتى الحاكم العام على السودان والقائد العام للجيش المصرى لا تزالان مجتمعتين في شخص واحد ، وكانت الاسباب التي تقتضى ذلك وجيهة في الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه اذا أريد أن يكون كذلك دائما ، ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الغرض الذى ترمى اليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين في المستقبل على قاعدة تضمن ارتفاع السودان ارتقاء مستقبلا ومصالح مصر .

الحيوية في ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه في الحصول على
ايراد كاف مضمون من الماء لرى اراضيها الزراعية الحالية ، وعلى
نصيب عادل من كل زيادة في ايراد الماء يتيسر للبراعة الهندسية
أن تأتي بها ، فاذا صرحت بريطانيا العظمى رسميا باعترافها بهذا
الحق وانها عاقدة النية على المحافظة عليه في كل حال ، سكنت
بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا
القبيل . ورأينا أن هذا التصريح يفى بالغرض المقصود اذا تم في
الوقت الحاضر)) .

حول زيارة المندوبين الاربعة لمصر

أما ماسجله ملنر في تقريره عن زيارة المندوبين الاربعة لمصر
وبيان مهمتهم فنصه كما يلي :

((بعد انتهاء المناقشات التي أسفرت عن مشروع ١٨ أغسطس
سافر زغلول باشا وسائر رجال الوفد وعدلى باشا أيضا من لندن
الى باريس ، ثم سافر في الحال أربعة من أعضاء الوفد وهم (محمد
محمود باشا وأحمد لطفي السيد بك وعبد اللطيف المكباتي بك
وعلى ماهر بك الى مصر طبقا لما تم الاتفاق عليه لكي يحصلوا من
مواطنيهم على تأييد المشروع . وكانت خلاصة هذا المشروع قد
وصلت الى الجرائد مع بعض الأخطاء الطفيفة في تفصيلها ، وقد
قوبلت خلاصة المشروع هذه في مصر بعبارات الرضا والاستحسان

وحوالى ذلك الحين نشر في مصر بيان طويل من زغلول باشا
نوه فيه بصفة الوفد النيابية التي يمثل فيها الأمة وبما لقيه من
تأييدها ، وأشار الى المساعي التي بذلها الوفد لعرض القضية
المصرية على مؤتمر الصلح وعلى العالم كله ، مدعيا أنهم اكتسبوا
شيئا كثيرا من الميل والعطف في البلاد الأجنبية ..

ثم استطرد تقرير لجنة ملنر الى مقاطعة الشعب لعضائها
بسبب اصرارها على بقاء الحماية ، وما جرى بعد ذلك حتى أفضى الامر
الى زيارة الوفد المصري للندن والمناقشات التي جبرت فيها .
وأعلن في الختام ان الاقتراحات التي نشأت عن تلك المناقشات
ستعرض على الأمة على يد رسل منتدبين لذلك ، فاذا قوبل
المشروع بالاستحسان عين ممثلون للمفاوضة في عقد معاهدة على
القاعدة المقترحة)) .

بريطانيا والتمثيل السياسي

وأوضح ملنر في تقريره موقف بريطانيا من الموضوع الثالث الخاص بالتمثيل السياسي كما يلي :

((كنا ولا نزال نرى من المبادئ الأساسية أن تكون علاقات مصر الخارجية تحت إدارة بريطانيا العظمى بوجه عام وجميع عقلاء المصريين يدركون عظم قيمة الضمان الذي ينالونه من محالفة بريطانيا العظمى لهم مهما كانت ميولهم شديدة الى الحركة الوطنية . . واضح أنه لا يمكن أن ينتظر من بريطانيا العظمى أن تحمل على عاتقها مسئولية الدفاع عن سلامة مصر واستقلالها من جميع الأخطار اذا تركت مصر وشأنها في اتباع السياسة الخاصة بها ولو كانت ضارة بالسياسة البريطانية وغير مطابقة لها ، وهذه أولية لم ينازعها فيها أحد من المصريين الذين كنا نناقشهم ، بل كلهم كانوا مستعدين أنهم عند عقد معاهدة المحالفة يعطون كل الضمانات اللازمة لمنع مصر من كل عمل يمكن أن عمله اذا كان يوقع بريطانيا العظمى في ارتباك ، ولم يقع بيننا وبينهم خلاف في الرأي في هذه النقطة عند المناقشة .

واستطرد فقال : المسألة الحقيقية التي كانت موضع الاختار والرد لم تكن : هل يجوز أن تكون مصر حرة في اختيار سياسة أجنبية مستقلة عن بريطانيا العظمى اذ لا خلاف في أن موافقتنا على هذه المسألة ضرب من المحال ، وإنما كانت هل يتضمن هذا المبدأ وجوب أن تبقى إدارة جميع علاقاتها الخارجية في أيدي بريطانيا ؟ ، هذه المسألة كنا قد اتفقنا فيها على قرار نهائي قبل أن نناقش المصريين فيها . وهذا القرار هو أن تقتصر السيطرة البريطانية على علاقات مصر السياسية ، وأما مصالح مصر التجارية وسواها من مصالحها الخارجية غير السياسية فالأفضل تركها في أيدي المصريين ، وهذه المصالح كثيرة وعددها آخذ في الازدياد ، فالتوسع نطاق التجارة والمواصلات وازدياد عدد المصريين الذين يسافرون الآن الى البلدان الخارجية وقيمون فيها وخصوصا في قرب أوروبا ، والعلاقات العديدة التي تحصل لهم هناك تحتاج هذه كلها الى حماية رسمية ، فإذا ظل سفراء بريطانيا العظمى وقناصلها يرعون مصالح جميع المصريين خارج بلادهم ثقلت أعباء ذلك جدا عليهم ، ولذلك رأينا في بادئ الامر أن تعيين مصر لممثلين لها في الخارج يكون عين الصواب ولكن الذي

كنا نقصده في الاصل هو أن تكون صفة هؤلاء الممثلين صفة قنصلية فقط لا سياسية . فلما دارت المناقشة في لندن بيننا وبين المصريين عدلنا رأينا في هذه النقطة بعد تردد وتمنع مع جانبنا ، ذلك لأن المصريين أجمعوا على أن انكار الصفة السياسية مع الممثلين المصريين يفسد فكرة المحالفة ويحمل أبناء وطنهم على رفض التسوية التي كنا نفكر فيها . ثم رأينا نحن أنهم مصيبون فيما يقولون لأننا أدركنا ونحن في مصر أن المصريين جميعهم والسلطان ووزراءه في جملتهم يرغبون في أن تمثل بلادهم سياسيا في الخارج مهما اختلفت آراؤهم في المسائل الاخرى . وكانوا كلهم متمنعين من الغائنا منصب وزير الخارجية المصري عند اعلاننا الحماية وتسليمنا زمام وزارة الخارجية الى المعتمد السياسي البريطاني . وكذلك كانوا كلهم يرجون أنه متى آن الاوان لتسوية العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تسوية دائمة يعين وزير مصرى في وزارة الخارجية المصرية ويتلقى ممثلو مصر في البلدان الخارجية اعتمادهم من حاكم مصر رأسا . وكانوا يلحون على هذا المبدأ أيضا بعد زوال السيادة العثمانية أن الذين ترسلهم مصر الى البلدان الاجنبية ليمثلوها فيها تكون لهم الصفة السياسية التي تكون لممثلى الدول الاجنبية في مصر .

فلذلك لم يخامرنا ريب في أن أعضاء الوفد المصرى كانوا يعبرون عن رأى بلادهم كلها في هذه المسألة . . . كانوا يقولون لنا قولا صريحا باتا أننا اذا لم نوافقهم على هذه النقطة فلا أقل أمل في تسوية العلاقات بطريق الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر في المستقبل . واما اذا اعترفنا بها لمصر أرضينا المصريين ارضاء تاما بمراعاة عزة نفوسهم ، فيسهل ذلك قبول سائر شروطنا . وتساءلوا قائلين : لماذا أنتم حائقون ؟ فقد اعترفتم ان لمصر مصالح كثيرة خاصة بها في البلاد الاجنبية يحسن المصريون رعايتها أكثر مما يحسنها غيرهم . ولا مزية لبريطانيا العظمى من الضن بالصفة السياسية على الذين يعينون للاعتناء بتلك المصالح لانهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا يضر بالمصالح البريطانية أو يناقض السياسة البريطانية ما لم يخرقوا المعاهدة التي تم الاتفاق عليها . هذا فضلا عن أن عدد الممثلين السياسيين الذين يمثلون مصر في الخارج سيكون قليلا جدا لان مصر لا تروم أن يكون لها ممثلون منهم الا في بلدان قليلة اذ لا يسعها أن تقوم بنفقات كثيرة ، وفيما عدا ذلك ستوكل مصر بريطانيا العظمى برعاية مصالحها وكفى بذلك دليلا على متانة العلاقات وحسنها بين البلدين .

فلم يسعنا الا الشعور بقوة هذه الحجج الوجيهة ومع ذلك فالامر واضح وقد قلناه لهم وأكدناه على مسامعهم وهو أنه متى وجد ممثلون سياسيون من المصريين ولو في قليل من عواصم أوروبا . . ووجد ممثلون سياسيون من الأجانب في مصر أنفسح بذلك المجال لدسائس يمكن أن تكون عواقبها وخيمة ، لان قله وجود أعمال يعملونها ضمن الدائرة السياسية قد يغريهم بتعدى حدود وظائفهم حتى لا يقال انهم لا يجدون شغلا يشغلهم . ولكن رجال الوفد لم يسلّموا بأنه يخشى في حدوث أمر كهذا بل كان رأيهم ان المصريين يرتضون ويسرون بالمركز الذي نالته مصر بعقد المعاهدة فيكونون آخر من يوافق على دسائس يمكن أن تفتح للأجانب سبيل التدخل في شئون بلادهم . وان أعظم ضمان يقيننا شر هذه الدسائس هو ان المصريين يوافقون من صميم أفئدتهم على محالفة يعترف فيها بحالتهم القومية وكرامتهم الوطنية ، هذه هي الادلة والبراهين التي حملتنا على إعادة النظر في مركزنا ازاء مسألة الصفة السياسية مع علمنا تمام العلم كما قلنا للوفد صريحا ان تساهلنا في هذا الامر قد يلقي الرعب المقلق في دوائر الراى العام البريطاني يخشى منه ان يمنع الشعب البريطاني من قبول الاتفاق برمته . واذا بنينا حكما على ما نشأ عنه في الانتقاد والاقوال الدالة على عدم الرضى عنه في دوائر كثيرة اتضح اننا أصبنا ولم نخطئ في توقعنا له المعارضة الشديدة ، ومع دفعه ذلك فنحن لا نزال نرى كفة الحجج الراجحة هي في جانبه بلا مشاحة . لانه ما دام الجفاء والخلاف ضارين أطنا بهما بين بريطانيا العظمى ومصر . فنحن نظل معرضين لعداوة المصريين لنا في البلاد الأجنبية . . فالجمعيات التي أنشئت لنشر الدعوة ضد انجلترا تنشرها بجهد واجتهاد منذ أعوام في سويسرا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا .

ولا علاج لذلك الا بإعادة علاقات الوداد . ونحن نعد السياسة التي أوضحناها هنا كفيلة بتحقيق ذلك فاذا تمت لنا هذه النتيجة ، فاعطاء الصفة السياسية لمثلى مصر في الخارج نافع لنا لا محالة لانه اذا بقى قوم من المصريين غير راضين بالمصالحة وبقوا مصريين على ادامة الدعوة ضدنا كما هو المنتظر اضطر الممثلون الرسميون المصريون أن يسعوا في كبح جماحهم وابقائهم عند حدودهم اذ لايسع معتمدا مصر يا الا الاعراض عن كل عمل يعمله أبناء وطنه ضد حليفة مصر والنفور منه والا قصر في الواجب عليه وتعرض للعزل من منصبه))

الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي

وفي ٢٥ فبراير كذلك علمنا مما نشرته جريدة التيمس أن الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي بك قد صدر أمس وهو يقضى بعقوبته ١٥ سنة أشغالا شاقة بعد أن كان الحكم عليه بالاعدام ، ولاحظ الرئيس أن صدور الحكم في نفس الوقت الذي ظهر فيه تقرير ملنر ذو مغزى كبير ، لقد بدأت المحاكمة في أثناء المفاوضات في لندن وكانت المفاوضات مهددة بالقطع بعد أن تعثرت في أزمة حادة ، فكانت المحاكمة جزءا من سياسة الارهاب للامة وللوفد .

والآن يظهر التقرير في نفس الوقت الذي يصدر فيه الحكم الظالم القاسى ، وهذا التوقيت العجيب ملاحظ فيه كذلك أن يكون استمرارا لسياسة الارهاب والتحذير معا . .

ولعله يهدف فيما يهدف اليه الى حمل الوفد والامة على الطاعة والاتفاق والاستسلام بدل المعارضة والمقاومة والاستنكار ، وكان لسان حال الانجليز يقول (يا ايها الناس اذا اردتم الخلاص مما انتم فيه من كرب وظلم وعسف وارهاق ، فما عليكم الا أن تقبلوا مشروع اللجنة) .

لقد ثار الرئيس في سخط واهم وانفعال ليس الى وصفه من سبيل وقال : (ان الحكم ظلم وقسوة هائلة ولا يستند الى دليل ، وليس له من سبب سوى مجرد الانتقام والتشريد والارهاب لطلاب الاستقلال في مصر)

هذا وقد ارسل الرئيس برقية الى على ماهر في لندن كي يطلع بعض انصار الوفد من اعضاء مجلس العموم على حقائق هذه القضية وخفاياها وما انطوت عليه من ظلم صارخ حتى يخرجوا حكومتهم ويكشفوا سوءاتها ويفضحوها أمام شعبها وامام العالم .

خطاب من حافظ عفيفي الى الرئيس !

ولما عدت للرئيس بعد العشاء ابلغني أنه تلقى خطابا من الدكتور حافظ عفيفي جاء فيه : (انه من رأى الرئيس وسياسته ، وأنه معه قلبا وقالبا) . ولكنه ختم خطابه بسؤال مكرر اذ تساءل عن الخطة العملية الواجب اتباعها الآن بعد أن وقف الوفد هذه الوقفة الحاسمة .

ثم ابتسم الرئيس ساخرا وقال :
 ((لماذا لا يفكر حضرتك ويقترح علينا ما هداه اليه عقله الرجيع
 اذا كان يؤمن حقا بوجوب اتباع سياستى ؟؟ انه يعلم تمام العلم
 ان مشروع ملنر فى ذمتى واعتقادى مشروع حماية . فلا يمكن
 لى مطلقا ان احسنه للامة بآية طريقة . وليس امامنا الآن من طريقة
 عملية بعد رفضه ، الا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد
 بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة ،
 ومحاربة كل من يتصدى لتأييد الحماية ومشروعها الجديد ،
 واستمرار الاحتجاج على بقائها فى كل فرصة وكل مناسبة وغير
 مناسبة ، ثم التشجيع المستمر على الاستعمار البريطانى لبلادنا فى
 الداخل والخارج ، فى الداخل للاثارة المستمرة ، وفى الخارج
 لابقاظ الضمير الدولى على مخازى الانجليز فى مصر والتكيل
 برجالها الوطنيين .

هذا هو برنامجى ومنهاجى حتى ياتى الله بالفرج ، ولا يجوز
 مطلقا ان نسمح للياس ان يتسرب الى قلوبنا ولا للضعف ان يتسلل
 الى نفوسنا ، كما لا يجوز ان ننسى اهدافنا العليا وهى الحرية
 والاستقلال والجلد التام عن البلاد .

ولابد ان ياتى يوم يعاود فيه الحق على الباطل ، هذه سنة الله
 وسنة الطبيعة ودرس التاريخ وليس العجز يعد على الامم ، وانما
 العار كل العار ان تضع الامة غل الاستعباد فى عنقها ، وان تقبل
 المهانة فى استسلام وان تدل نفسها برضاها لعزة الاجنبى)) .

عودة الثلاثة من لندن

فى ٢٦ من فبراير : عاد من لندن الى باريس على ماهر وسينوت
 حنا والدكتور حامد محمود وقد استقبلتهم فى المحطة نيابة عن
 الرئيس ، او بعبارة أدق بناء على تكليف من الرئيس

وفى المساء وصلت النسخة العربية الرسمية لترجمة التقرير
 أرسلها مصطفى النحاس مع خطاب رجاه فيه ألا يتعجل بإبداء رأى
 فى التقرير حتى يتمكن أعضاء الوفد من دراسته وتبادل الرأى معه .
 أما الأعضاء الثلاثة فكان معهم تقرير ملنر بالانجليزية .

مصادمة عنيفه مع على ماهر

٢٧ من فبراير : أعد الرئيس بيانا ليرسله الى النحاس بخصوص
 تقرير ملنر وكلفنى بدعوة الاعضاء الموجودين فى باريس للاجتماع
 به فى مقر الوفد ، وهم على ماهر وسينوت حنا وواصف غالى .

وما كاد الرئيس يفرغ من تلاوة بيانه حتى انبرى على ماهر بالكلام ورجا في الحاح تأجيل ارساله يومين أو ثلاثة حتى يرد من مصر شيء جديد . فقال الرئيس : ((وما الذي يعنى أن يكون بياني برأى تحت نظر الاعضاء في مصر حتى يكون قرارهم في ضوء بياني بالموافقة أو المعارضة أو التعديل ؟)) فأجاب على ماهر : (انتظار يوم أو يومين خير من العجلة حتى نتم نحن أيضا دراسة التقرير) ، فاتفق الرئيس وقال غاضبا : ((ليس من المعقول أو المقبول أن تمنعوني عن العمل وتشلونى حتى تفوت الفرصة المناسبة . لقد مضت تسعة أيام على ظهور التقرير ولم يخبرنى أحد فى مصر برأيه ، فانا فى حل أن اتصرف بما أراه ، لا سيما أن جريدة التيمس نشرت اليوم كلمة لراسلها فى مصر زعم فيها حسن استقبال الناس للتقرير واغتياب السياسيين المصريين به فلا بد أن أبدى رأى)) .

فكرر على ماهر رجاءه فى هدوء وأدب جم فازداد الرئيس انفعالا وصدمة بصراخته المعهودة : ((ما هذا يا على بك ؟ يظهر أن ما قاله عبد العزيز فهمى عنك صحيح من أنك هنا تمنعنى عن العمل)) فتألم على ماهر واهتز الى أعماقه حتى أشفقت عليه من هول الصدمة وقال : (لا يا باشا ، هذه قسوة) ثم وقف وهم بالخروج ، فدعاه الرئيس أن يعود ويجلس . فعاد وأطاع وجلس وقال : (افعل ما تريد يا باشا فليس لى رأى بعد اليوم) . فرأى الرئيس تأجيل الجلسة الى الفد ودعانا جميعا لتناول الشاي معه فى منزله الساعة الرابعة بعد الظهر .

لم يحضر على ماهر لتناول الشاي بعد الظهر واعتذر عنه سينوت حنا بحجة أنه متوقع أثر نوبة عصبية أصابته أسالت دموعه بالبكاء بمناسبة الحكم القاسى على عبد الرحمن بك فهمى ، فظهر الرئيس الاشفاق عليه ، واستبعد جدا أن هذا هو السبب .

برقية الرئيس الى النحاس برأيه فى التقرير !

٢٨ من فبراير : ارسل الرئيس صباحا برقية الى النحاس وكلفنى ان اتولى ارسالها بالتلغراف المستعجل جاء فيها : (ان التقرير خيب كل آمال ، وكشف نيات الانجليز ازاء مصر ، وهو يخول بريطانيا المراقبة فى الداخل والخارج يديرها مندوب سام مستند الى قوة

عسكرية موجودة في البلاد ، وهو ما لا نقبله بحال من الأحوال .
وسبق أن رفضناها أكثر من مرة) .

وحوالي الظهر حضر واصف غالي وسينوت حنا فأطلعهما الرئيس على البرقية ووافقا عليها ، وكلفني الرئيس بمخاطبة علي ماهر بعد الظهر للسؤال عنه وهو في فندق كلاردج فقابلته بعد الغداء مباشرة وهو متأثر غاية التأثير ويريد العودة الى مصر فطابت خاطره وأبلغته أن الرئيس يحبه ويقدره ويعتبره من أخلص الناس اليه ، فاستراح قليلا .

رأى سعد في عبد العزيز فهمي !

وردت برقية من علي الشمسي يقول فيها أن عبد العزيز فهمي نشر مقالة في الأهرام انتقد فيها التقرير وجاء فيها أنه يمهّد لحماية في شكل جديد فتعجب الرئيس غاية التعجب وقال : ((ان عبد العزيز هذا قال عن مشروع ملنر في لندن أنه (استقلال ونص) . ثم رفض اقتراح الرئيس بمقارنته بمشروع ملنر الاول . وهنا سكت الرئيس قليلا ثم قال : ما رأيت رجلا في حياتي مثل عبد العزيز فهمي أنه رجل غرار ومفرور . كذاب في صورة صادق ، وجبان في صورة شجاع . ومفرور في متواضع . وحقوق في راض وطامع في قانع ، وسفيه في صريح ، وأناني في وطني ، ومن يدرى لعل انتقاده للمشروع الآن هذا رغبة في كسب ثقة الناس ليعبث بها فيما بعد وليستخدمها في مآرب أخرى)) .

برقية النحاس عن مشروع تأليف وفد رسمي !

أول مارس :

كنت في مكتبي في مركز الوفد في الساعة الثامنة صباحا وإذا بالرئيس يكلمني بنفسه تلفونيا من بيته ويرجوني أن أذهب اليه فورا . وبعد دقائق كنت معه فأعطاني برقية بالشفرة من مصطفى النحاس لاحتلها وتتلخص في أن مظلوم باشا تحدث مع علي الشمسي وأخبره بأن السلطان كلفه بأن يكون رئيس الوفد الرسمي للمفاوضة ، وأنه انتخب معه رشدي باشا وعدلي باشا وتوفيق نسيم باشا ومحمد سعيد باشا ويوسف وهبه باشا واسماعيل سري باشا ، وأن مظلوم اقترح على السلطان اسم سعد باشا فقبل ويرجو ألا يرى الرئيس مانعا في القبول ، هنا انفجر الرئيس بالضحك حتى أغرورقت عيناه ثم قال ساخرا (كتر نخيرك يا مظلوم

والله ما نستناش) . وختم النحاس برقيته بعبارة ، أنه علم
أن إلغاء الحماية سيتم في المفاوضات الرسمية .

سكت الرئيس قليلا وتجهم ثم قال لى : (هل زال الحياء من
هذا العالم أو هذه لوثة أصابت هؤلاء الناس في مصر ؟ رجال
من أسوأ الناس صفات ، يجمعون في شكل وفد لبث في مصائر
البلاد ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، انهم ما بين منشىء
للحماية أو مجند لها ، أو مؤيد للانجليز أو هو صنيعه لهم ، انهم
جميعا خونة ومجرمون وأنا أربأ بنفسى أن أجلس معهم فى وليمة ،
فما بالك بالاشتراك معهم فى أى عمل يمس البلاد ؟ ما هذا الهراء
وهذا التخريف ؟) . .

مصادمة مع المكباتى !

٢ من مارس :

كلفنى الرئيس بدعوة الاعضاء الثلاثة لمقابلته فى مقر الوفد ،
فحضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا قبل وصول الرئيس
بدقائق ، ثم حضر المكباتى على غير انتظار وبغير دعوة ودخل
قاعة الجلسة ، ولم تمض دقائق حتى وقع صدام عنيف بينه
وبين الرئيس .

قال المكباتى فى جد ظاهر (ان الحالة تستدعى التفكير والعمل
المفيد كوضع حد لانقسام الامة ، وانى أرى ضرورة الاسراع
بدعوة الاعضاء الذين سافروا الى مصر ليعودوا الى باريس فوراً) .
فأجاب الرئيس ساخرا : (أى انقسام فى الامة تعنى ، ليس
فى الامة انقسام مطلقا ، أما عن العائدين فلا تتكلم عنهم ، وتكلم
انت عن نفسك وأحوالك بصراحة) .

المكباتى : أنت تحاول أن تستفزنى وتثيرنى بدل أن تعمل على
توحيد الصفوف .

الرئيس : اسمع انا أصارك بانى لا أستطيع أن أعمل معك
لانى لا أثق بك .

المكباتى : (قال مرتبكا مضطربا) لا يا باشا الثقة موجودة
والحمد لله .

الرئيس : كلا انها غير موجودة وكذلك تنكر الواقع الملموس .

المكباتى : أنا ما جئت اليوم لأهان ، وليس لدى أى ميل
للمصادمة معك .

الرئيس : أنا لا أهدف الى اهانتك وانما أنا أقرر الحقيقة الواقعة الملموسة فاذا كنت مصرا على انكارها فأجبنى لماذا سافر أصحابك فجأة بعد أن تصافحنا ؟

المكبائى : سافروا لانك لم تقبل رأيهم فى تأييد عدلى .

الرئيس : أنا لا يمكننى مطلقا أن أخالف ضميرى وعقيدتى .

المكبائى : وأنا أيضا لا أخالف ضميرى وعقيدتى .

الرئيس : حسن جدا أنا ما طلبت منك أن تخالفهما ولكنك أنت الذى تطالبنى بمخالفتهما . اذا كان ضميرى وعقيدتى عكس ضميرك وعقيدتك فليس من المعقول أن نعمل معا ، واذا عملنا فليس للعمل ذرة من أمل فى النجاح .

فوقف المكبائى وانصرف غاضبا هائجا وانتهت جلسة الوفد فى هذا الجو المكهرب .

وبعد الظهر عدت الى الرئيس فى منزله ، وفى اثناء تناولى الشاى معه قال لى :

((لقد شهدت ما حدث فى جلسة الصباح فما رأيك فيه ؟ فقلت يا سيدى : هذا المكبائى رجل شاذ وهو مستهتر معتز بغناه ، وقد اثبت اليوم غيابه بحضوره من غير دعوة وبعد مقاطعة طويلة لك ، ثم بتقديم اقتراح سخيف لا يمكن أن يقبل .

الرئيس : علام احتمل هذا الرجل ، ليست فيه صفة واحدة تحب فلا هو كاتب قدير يحتاج الى قلمه ، ولا هو مفكر يحتاج الى رايه ، ولا هو مؤدب يؤنس اليه . وانما هو جاهل وسخيف ومتكبر لا عمل له الا ان يحاول تعليم الناس الوطنية وهو مجرد منها ، ان فى عبد العزيز فهمى ولطفى السيد مواهب ومزايا يحتاج اليها الانسان ، وقد يغفر لهما بعض ضعفهما أو مخازيهما ، ولكن هذا المكبائى خلو من كل فضيلة وكل موهبة وكل مزية ، انه زارنى مع العائدين موهما انه عائد معهم ، ثم بقى فى باريس ، وارسلوا برقية الى مصر بعودتهم وذكروا اسمه ضمن اسمائهم لبيان كثرتهم ورغبة فى التأثير بانهم الاغلبية ، وارتكب غير ذلك من الاساءات ولم يعتذر مرة ولم يتأسف)) .

وهنا حضر زائر فرنسى فخرجت الى مكتبى .

خطاب وبرقية بقرار الحكومة البريطانية

٣ من مارس :

وصل خطاب إلى الرئيس من الدكتور حامد جاء فيه : (أنه علم من مستر رامزي ماكدونالد ان الحكومة البريطانية قررت إلغاء الحماية وانها أرسلت في ٢٦ من فبراير دعوة إلى السلطان بواسطة النبي لكي يؤلف وفدا رسميا لمفاوضتها ، والوصول إلى اتفاق يحقق المطالب المصرية ويضمن المصالح البريطانية ، وسيعلن إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وذلك لتسهيل الدخول في المفاوضات وإثباتا لحسن نية الحكومة البريطانية) .

ثم وصل تلغراف مطول إلى الرئيس من مصطفى النحاس وهو يحمل نص خطاب النبي إلى السلطان وقرار الحكومة الانجليزية الذي يقضى لأول مرة باعتبار الحماية علاقة غير مرضية بين مصر وبريطانيا ، وامتاز خطاب النبي بهذه الجملة وهي (ان الحكومة البريطانية اظهرت حسن النية بقبولها التساهل في أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية) .

وفيما يلي نص هذا الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي صاحب العظمة السلطان - سراي عابدين . .
 ((يا صاحب العظمة ، لم أتأخر عن ابلاغ حنكومة جلالتك الرأي الذي أبديتموه مرارا عن ضرورة وصول الحكومة إلى قرار في موضوع اقتراحات لورد ملنر يتفق مع أمانى مصر والشعب المصرى . تلك الامانى التى اشتهر عطف عظمتكم عليها ، ويسرنى أن ابلفكم قرار حكومتى ، وانى متأكد ان هذا القرار يطابق رأى عظمتكم ويسهل المهمة العظيمة الشأن التى عهد فيها إلى عظمتكم : وهى تعيين وفد رسمى لاجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة جلالتك فيما يختص بالاتفاق المنوى عقده ، وانى أود بصفة خاصة أن أوجه نظر عظمتكم إلى روح حسن النية الذى أظهرته حكومتى بقبولها التساهل في أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وستقدرون عظمتكم ان هذا التساهل الكبير دليل على الأهمية التى تعلقها حكومتى على إقامة علاقاتها مع الشعب المصرى على أساس ودى ودائم وهذا نص قرار حكومتى الذى كلفت بابلاغه إلى عظمتكم :

((ان حكومة جلالة الملك يعد درس الاقتراحات التي اقترحها لورد ملنر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية تبقى فيها مصر تجاه بريطانيا العظمى ، ومع أن حكومة جلالتهم لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص باقتراحات لورد ملنر ، فانها ترغب في الشروع في تبادل الآراء في هذه الاقتراحات مع وفد يعينه مظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التي لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية ، وتطابق الاماني المشروعة لمصر والشعب المصري ..

. واني اغتنم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامى
.. (الفائق))

((النبى))

رأى سعد فى التبليغ البريطانى

ه من مارس :

حضر الرئيس الى مركز الوفد فى الساعة العاشرة صباحا وكنت قد اتصلت تليفونيا بالاعضاء الثلاثة فحضروا مبكرين فى الساعة التاسعة والنصف وحدثتهم بما علمت بنبا قرب الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية فلما تم الاجتماع كلفنى الرئيس بتلاوة ترجمة نص التبليغ البريطانى ، واستمرت المناقشة وتبادل الراى فيه ساعة كاملة ثم املى على الرئيس مشروع برقية لأرسلها فورا الى النحاس فى مصر وهذا نصها :

((فى التبليغ البريطانى معنى عظيم الاهمية وهو الحكم على الحماية بالفشل وقرب الانتهاء ، ولكنه فيما عدا ذلك لم يأت بجديد ولم يخرج عما جاء فى التقرير ولا فيما صدر به ملنر مشروعه الاول الذى رفضه الوفد ، ومع ذلك أصبح الدخول فى المفاوضات بناء على هذا التصريح لا يعتبر قبولا للحماية ، ولكن الهدف مازال قائما وهو تحقيق اغراضها فى العلاقة الجديدة التى يراد الوصول اليها . والراى عندنا ان نتيجة المفاوضات المقبلة ستتوقف على صفات المفاوضين)) .

وافق الاعضاء الثلاثة على هذه البرقية بالاجماع ، وخرجت

مسرعا لارسالها .

٦ من مارس :

املى على الرئيس الخطاب الى مصطفى النحاس تفسيرا لما
أوجزه في برقيته السابقة :

((. . ان هذا التبليغ البريطانى يراد به خداع المصريين وايهامهم
بفائدة ما لا نفع فيه ، ويحاول استمالتهم بعد وقت الى الرضا ،
لا أقول بما لا ينفعهم فيه ، بل بما يضرهم ، انه تضمن عدم
الرضا عن الحماية ، ولكنه لم يعين الجهة غير الراضية ،
والاسلوب يدل على أنها الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشئ
الفلانى غير مرض فصدت بذلك أنه ليس وافيا بالغرض المقصود
منه ، ويحتمل أن يكون المعنى منه انه غير مرض للطرفين كما نشرت
النيوس ، ويحتمل كذلك أن يكون المراد به الجهة المصرية كما تدل
عليه الظروف ، على ان هذا الاتهام في ذاته يقلل كثيرا من أهميته ،
ولا يجعل للمصريين فيه نصيب الا بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكذلك
تضمن ان هذه الحماية لا ينبغي دوامها ، ولكنه لم يعلن مع ذلك
الفاءها وقال باستبدالها ، وهذا الاستبدال يكون في شكل علاقة
جديدة تضمن مصالح إنجلترا وتمكن الحكومة البريطانية من تقديم
الضمانات اللازمة للدولة الأجنبية . واذا راجعت تقرير ملتر وجدت
شرح هاتين النقطتين بما نتأكد منه ان ذلك مضر كل الضرر بالمصريين
ان هذا الاستبدال ليس جديدا بل كثيرا ما عرضت علينا صيغة
المختلفة وهو ما صدر به ملتر أول مشروع قدمه للوفد ورفضناه
رفضاً باتاً . أما ما تضمنه خطاب اللبى للسلطان فلا يمكن أن يكون
له معنى أزيد من معنى التصريح أو القرار ، بل يمكن أن أذهب
أبعد من ذلك وأقول بأنه سد كل باب للأمل في الفاء الحماية الفاء
صريحاً يجعله غاية النجاح في المفاوضات المقبلة . ولا يمكن أن يكون
اللبى قد قصد في خطابه أكثر من الاستبدال الذى ذكرته حكومته .
نعم ان المفاوضات صارت بهذا التبليغ حرة في أساسها ولا يعد
الدخول فيها قبولاً للحماية ولا لمشروع ملتر ، ولكنه يعد قبولا
للأغراض التى تعينت لها وهى ضمان المصالح الانجليزية ، ويمكنها
من تقديم الضمانات للدول الأجنبية للمحافظة على مصالحها ،
فالمفاوضون المصريون لا يمكنهم اذا دخلوا المفاوضات على هذا

الاساس الا أن يعطوا انجلترا حقوقا تمكنها من ضمانة هذه المصالح . . وهذه المسألة من أهم المسائل لان انجلترا اذا نالت من المصريين حق حمايتها لهذه المصالح على طريقة ملنر تكون قد ملكت حق التدخل فى كل شئون مصر بحكم أن هذه المصالح متشابكة بمصالح المصريين وشاقبة كل الشفوع فيها ، ولهذا ترى أن الموقف دقيق جدا ويستوجب أشد الحذر والسلام . .

سعد زغلول

روح التردد والهزيمة فى نظر الرئيس

٧ من مارس :

قال لى الرئيس فى حديثه معى أثناء تناول الشاى ما خلاصته :
((ان العائدين من أعضاء الوفد عدلى وكل أنصار عدلى من صحفيين وكتاب فى الصحف ، ينشرون فى مصر روح الهزيمة والتردد يوما بعد يوم اذ يقولون وينشرون ويكررون القول والنشر بضرورة الاتفاق مع انجلترا الآن وعدم تضييع هذه الفرصة لان بريطانيا قوية غاية القوة ومصر ضعيفة غاية الضعف وليس لها أى عون أو سند فى الخارج ، ثم يردفون هذا كله بالدفاع عن أنفسهم خشية اتهام الناس لهم بالسعى وراء المنافع العاجلة على حساب الوطن وقضية البلاد . فيقولون انهم لا يريدون أية وزارة ولا أى منصب ولا أى مكسب ، وانما يصرحون بما يعتقدون أنه فى مصلحة مصر الضعيفة المسكينة البائسة . . الى آخر هذا الهراء)) .

فسألت الرئيس : وهل تظن ان لمثل هذه الدعاية تأثيرا فى نفوس بعض الناس الى حد أن يخلهم على الانضمام اليهم ؟ .

فاجاب الرئيس على الفور : ((من غير شك . . هذه دعاية مسمومة وسينتثر بها كثيرون ، لان هذا الايحاء المستمر بضعف مصر والمصريين وقوة بريطانيا وجبروتها وفقدان العون والنصر ، كل ذلك يؤثر فى النفوس الميالة بطبعها الى الضعف والتشاؤم . ولذلك فانى أفكر جديا فى العودة الى مصر ، لان المعركة كلها قد انحسرت الآن داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن أن ادير معركة بالبرقيات الموجزة الفسالية الثمن أو الرسائل المطولة التى لا يقرأها الا أصحابها ومن حولهم من الاصدقاء . ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك .

برقية شفرية من النحاس وويصا واصف وحافظ عفيفي

٨ من مارس :

وردت في المساء برقية مطولة بالشفرة وهي بامضاء النحاس وويصا وحافظ عفيفي يقولون فيها ، بأنهم لم ينشروا برقية الرئيس لأنها غير وافية في نظرهم ويرجون منه أن يصدر بلاغا أو بيانا بتلغراف مستعجل بشأن التبليغ البريطاني لأن في البلاد تيارات مختلفة ، فريق يرى وجوب الدخول في المفاوضات الرسمية بأي شكل ، وفريق يرى وجوب وقوف الوفد على الحياد مع العطف والتشجيع للمتفاوضين ، وفريق يرى وجوب استمرار الوفد وحده بالقيام بالمفاوضات الرسمية أسوة بالمفاوضات الماضية مع ملنر وأن الأعضاء الثلاثة هم من الفريق الأخير وهم يناشدون الرئيس أن يعيد الوحدة ويدعو أعضائه للعودة إلى باريس .
وانتهت البرقية برجاء الرئيس أن يسرع ببيان رأيه تفصيلا في كل ما يشغل بال الناس في مصر .

هنا أطرق الرئيس قليلا ثم قال : (علام هذه السرعة وهذه الهرولة وهذا الإلحاح ، أن الوفد لم يدع للمفاوضات حتى يشترط لها شروطها ويتخذ الخطوات اللازمة للنهوض بأعبائها والدعوة موجهة للسلطان ، والسلطان لم يتخذ بعد أية خطوة . . أن أمرهم لعجيب) .

ثم سألتني : ((متى أرسلنا البرقية ومتى أرسلنا الخطاب الذي يبين الرأي تفصيلا في التبليغ البريطاني ؟ فقلت : أرسلت البرقية في الخامس من مارس والخطاب في اليوم التالي مباشرة أي منذ يومين ، ولا يصل إلى مصطفى النحاس إلا بعد خمسة أيام أخرى . فقال : حسن . . لا داعي للعجلة)) .

بيان للرئيس (أرسل إلى النحاس) :

٩ من مارس :

عدت إلى الرئيس في الصباح فوجدته أعد بيانا لأرساله إلى النحاس لأذاعته فورا ، وكلفني بدعوة الأعضاء فدعوتهم وتلا عليهم البيان الآتي فوافقوا عليه ما عدا على ماهر ونصه كما يلي :

((ليس في التصريح الصادر من الحكومة البريطانية بالدعوة إلى المفاوضات الرسمية للوصول إلى استبدال علاقة الحماية بعلاقة

أخرى أن أمكن ، ما يشجع الوفد على تأييدها ، فقد أغفل الكلام عن التحفظات التي أبت الأمة الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل قبولها . نعم انه أعلن عدم الرضا عن الحماية ولزوم انتهائها ، ولكنه لم يجعل الغاية من هذا الانتهاء الغاءها بالنسبة لجميع العلاقات الدولية ، بل مجرد استبدالها بالنسبة لما يختص بعلاقة مصر ببريطانيا فقط ، وهو بهذا المعنى ليس بجديد ولا مفيد . فقد كان هذا أول عبارة صدرت بها لجنة ملنر مشروعتها الأول وراه الوفد غير صالح للقبول فرفضه ، وذلك ما يرمى اليه المشروع الأخير كما صرح به ملنر في الخلاصة العامة في تقريره تصريحاً له يترك للشك مجالاً في أنه استبدال لنص الحماية مع استبقاء معناها وجميع أركانها ، ومن هذا يتبين أن غاية ما تصل اليه المفاوضات الرسمية أن نجحت ، هي البداية التي رفضت ، وهذا الاستبدال سبق أن أجمع الكل على استهجانه . ولهذه الاعتبارات يرى الوفد أن الأمة لا يمكن أن تؤيد هذه المفاوضات ولا أن تعتبر المتفاوضين الذين يتعينون لغاية هذا الاستبدال ، نواباً عنها ، فهم لا يمثلونها وإنما يمثلون السلطة التي تمثل الحماية القهرية للبلاد))

برقية ورد

١١ من مارس :

وردت برقية للزعيم سعد من على الشمسي هذا نصها :

((أن جميع أعضاء الوفد العائدين يريدون السفر اليكم في باريس ما عدا عبد العزيز فهمي الذي لا تساعد صحته على السفر معهم . . . والجميع هنا يرجونكم اظهار العطف والترحيب بقدمهم اليكم وبعودة الوفد الى سابق اتحاده ووحدته ويستحسنون أن يعلن الرئيس أنه لا يعارض الوفد الرسمي اذا كان مكوناً تكويناً سليماً)) .

امتعض الزعيم من هذه البرقية وأملى على ردا بالفرنسية وكلفني بارساله فوراً وهذا نصه :

((متأسف لعدم قدرتي على مشاركتكم في أية فكرة من الافكار التي احتواها تليفرافكم)) .

برقية شفرية من الرئيس الى النحاس

١٢ من مارس :

أملى على الرئيس برقية مستعجلة لارسالها الى النحاس بالشفرة وهذا نصها :

((أرجو أن تنشروا في أنحاء البلاد وبكل الوسائل المختلفة البيان الذى أرسلته اليكم لانه هو خطة الوفد ورأيه ، والتأخر فى نشره الى ما بعد تكوين الوفد الرسمى قد يكون عرضة لسوء التأويل ، وان بيانا فى المعنى الذى اقترحتموه لا أقره ولا فائدة فيه ، ثم انه قد يساعد المتفاوضين الآخرين الذين لا خير فيهم)) .

حولت هذه البرقية الى (الشفرة) ونزلت مسرعا لارسالها وكانت الساعة قد بلغت الخامسة بعد الظهر . فاعتذر عامل التلغراف من قبولها قائلا بأن عنده تعليمات رسمية من ليلة أمس ألا يقبل برقيات شفرية ترسل الى مصر ، وان كل البرقيات يجب أن تكون مكشوفة منذ اليوم . فعدت الى الرئيس وأبلغته ما حدث فبهت مذهولا ، ثم هز رأسه وقال مبتسما فى سخرية ظاهرة : ((انهم يريدون الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، ليست هذه مظات لمن يمكن أن يتعظ ويريد أن يواجه الحقيقة الكالحة مواجهة صريحة فى شجاعة !))

وفى هذه اللحظة دخل واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا فأخبرهم الرئيس بالمنع الجديد فدهشوا وذهلوا مثله بل أكثر منه . . . وقال واصف : ((انا لا أفهم هذا الشدوذ فى وقت السلم ، لو كنا فى وقت الحرب لسلمنا به)) . فقال الرئيس : ((ان الاحكام العرفية البريطانية مازالت مبسوطه على مصر وفى ظلالها الثقيلة يفعلون ما يشاءون ، ولكن العجيب أن تنزل على رأيهم حكومة فرنسا القومية الحرة بلا حياء)) .

الرقابة تمنع برقيات سعد

١٤ من مارس :

وردت برقية من النحاس بأن الرقيب أصدر الاوامر الى الصحف ألا تنشر أى شىء يرد من الرئيس من الآن فصامدا . .

استقالة وزارة توفيق نسيم

١٥ من مارس سنة ١٩٢١ :

وصلت برقية من النحاس تحمل أنباء استقالة وزارة نسيم البغيضة وأن عدلى يكن باشا كلفه السلطان بتأليف الوزارة الجديدة كما كان منتظرا وسيتم تأليفها الرسمى غدا ، وقامت مظاهرات تهتف للرئيس والوفد .

تأليف وزارة عدلى باشا

١٧ مارس :

صدرت المراسيم الخاصة بتأليف وزارة عدلى وهى مكونة من (عدلى رئيسا وحسين رشدى باشا نائبا للرئيس ، وعبد الخالق ثروت باشا وزيرا للداخلية ، واسماعيل صدقى باشا وزيرا للمالية وأحمد زيور باشا وزيرا للمواصلات ، وجعفر والى باشا وزيرا للمعارف ، وأحمد مدحت يكن باشا وزيرا للأوقاف ومحمد شفيق باشا وزيرا للاشغال والحربية ونجيب بطرس غالى باشا وزيرا للزراعة وعبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للحقانية .

وأذاع عدلى برنامج وزارته وبواعثه وأهدافه من تأليفها وجاء فيه ما نصه :

((ان الوزارة ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر ، الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال مصر ، وستجرى فى هذه المهمة متشعبة بما تتوق اليه البلاد ، ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة ، وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الغرض . ومما يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات ستجرى على أساس إلغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة ، فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو الى الامل بأن المفاوضات التى ستحصل بهذه الروح ستفضى الى اتفاق محقق للامانى

الوطنية ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة ، وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق ، وبما أن هذه الجمعية ستكون أيضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للانظمة الدستورية ، وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظيمه بكيفية تحقيق رأى الامة تمثيلا صحيحا ، وفي هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب العاجل ، وانا نعتد على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذي يحقق نجاحه أعز أماني الوزارة .

واننا لنذكر حق الادراك ما تحتاجه البلاد من الاصلاحات الكبرى بيد أننا لئلا نتمسكنا باشتراك الامة في وضعها ، نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد، على أننا بتأييد عظمتكم لنا سنعمل بأدارة أمور البلاد وننشط بها في خير الطرق وأصلحها للمحافظة على مرافقها ولتوسيع نطاق رقيها ، وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة لعلى يقين من أن هذا المنهج يوافق المقاصد التي ما زالت عظمتكم تصبون اليها لخير رعاياها ، وهى مع ما تشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها ، تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود ، معترزة بمطف وتعضيد عظمتكم ، ومعتمدة على ثقة البلاد ، وانى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص (الامين) .

عدلى يكن

برقية من عدلى الى الرئيس

١٨ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من عدلى رئيس الوزارة الجديدة تحمل تحياته ورجاءه الى الرئيس فى كسب معاونته الودية لتحقيق الغرض المشترك الذى فصله فى برنامج تأليف وزارته، فرد الرئيس عليها ((بالشكر وتمنى له كل توفيق فى تحقيق قبول التحفظات حتى يؤيده)) .

وبرقية من جافظ رمضان الى الرئيس

١٩ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى قال فيها ان الوزارة الجديدة عرضت عليه ان يكون فيها واحدا عن الحزب الوطنى ، فرفض الحزب وطلب من الرئيس رآيه فى ذلك . .

فعقب الرئيس قائلا : ((ان الحزب لم يفعل الا ما ينطبق على مبادئه)) .

ثم ضحك وقال : ((لا اظن هذا صحيحا ، واذا كانوا لم يطلبوا الى الوفد نفسه فكيف يطلبون ذلك من الحزب الوطنى)) .

خطاب من عدلى لسعد

٢١ من مارس ١٩٢١ :

تسلم الرئيس خطابا رقيقا من عدلى باشا وبرقية برنامج الوزارة السياسى الذى قدم الى السلطان يوم تأليفها (وقد سجلته هنا بتاريخ ١٧ مارس) وما كاد الرئيس يتم قراءته حتى قال :

((هذا بيان مكتوب بدهاء سياسى بارع وان عدلى لم يرتبط فيه بشيء قط . خذ مثلا قوله ((والوزارة ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة)) ، وهو كلام لا ينم عن وعد أو تعهد برفعها ولا بالغائها)) .

ثم أخذ يملأ كلمة لارسالها الى عدلى مطلعها :

((بيانكم بديع فى أسلوب بليغ يشف عن رغبتكم فى التمشى مع ارادة الامة وتحقيق مطلبها من الاستقلال وانتم أعلم الناس بأنها لا تريد الاستقلال تاما أى استقلالاً دوليا وصريحا ، وقد استقر رأينا على العودة الى مصر . لتبادل الآراء فى عملية انتخاب أعضاء الوفد الرسمى)) . .

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنا فطلب الى ان اتلو عليهما ما أملاه على فلما فرغت سكت واصف وقال سينوت ان واصف كتب كلمة فى هذا الموضوع فطلب الرئيس أن يسمعها وهى :

((قرأنا باهتمام بالغ بيانكم الممتع ، وانكم لتعلمون ان البلاد لا تريد الا الغاء الحماية الغاء صريحا لا غامضا ، ودوليا لا خاصا بين مصر وبريطانيا وحدهما ، والاعتراف بالاستقلال التام ، وان الغاء المراقبة ورفع الاحكام العرفية يجب ان يتم أولا قبل الانتخابات ، ولكن قبل البدء في المفاوضات الرسمية ولا شك ان الامة بفضل ثباتها وايمانها قد وصلت الى ما وصلت اليه من تأليف وزارة سياسية تعلن احترامها لارادة الامة ، على ان يكون مفهوما ان الاغلبية من عضوية الوفد الرسمي تكون من أعضاء الوفد المصري وان تكون الرئاسة له)) .

وعقب الرئيس على هذا قائلا : ((لا يا واصف انا اميل الى كلمتي الموجزة التي مطلعها رقيق وفيها أهم نقطة في كلمتك وهي ((الاستقلال الدولي)) .

وهنا طلب الى الرئيس ان اكلف جورج دوماني بترجمة كلمة الرئيس الى الفرنسية ثم أرسلت البرقية الى عدلى في المساء كما أرسلت صورة منها الى النحاس لنشرها .

٢٢ من مارس :

وردت برقية من النحاس جاء فيها ان الرقيب منع نشر رد الرئيس على برقية عدلى .

واخيرا تمت اجراءات العودة لمصر

٢٣ من مارس :

منذ عشرة أيام تقريرا استقر رأى الرئيس نهائيا على ضرورة العودة الى مصر بعد ان ثبت له ان المقام في باريس أصبح عبثا بل شرا من العبث . فكلف دوماني بشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا قبل آخر هذا الشهر ، واليوم عاد دوماني ومعه كل التذاكر اللازمة وبهذا تقررت مواعيد السفر كما يأتي :

السفر من باريس يوم ٢٩ مارس الساعة السابعة والنصف .

الوصول الى تريستا يوم ٣٠ مارس الساعة ١٢ ظهرا .

الوصول الى الاسكندرية يوم ٤ ابريل (ومبيت ليلة واحدة)

الوصول الى القاهرة يوم ٥ ابريل .

وفي أثناء تناول الشاي مع الرئيس الساعة ٢٠ ر٤ بعد الظهر قال لي : ان عدد الحقائق له ولحرمة ١٤ حقيقه وصندوقان يحتويان على كتبه وأوراقه ومذكراته ، وأنه يخشى ضياع شيء منها في زحمة الاستقبال أو في الجمر ، ولذلك يرى أن أسافر أنا قبله ببضعة أيام ومعى كل هذه الحقائق والصندوقان وأسلمها جميعا إلى سعيد زغلول في منزل الرئيس عقب وصولي إلى القاهرة .

فرحبت بهذا الرأي واتخذت الاجراءات لتغيير تذاكر سفرى الذى تقرر أن يكون يوم ٢٥ مارس وأبرقت إلى مصطفى النحاس بمواعيد سفر الرئيس من باريس إلى الاسكندرية مع زملائه أعضاء الوفد .

وحوالى الساعة ١٢ ظهرا دخلت على الزعيم مستأذنا في الانصراف حتى أتمكن من اعداد حقايبى بمناسبة سفرى غدا صباحا ، فطلب إلى الانتظار لاتناول الغداء معه ومع السيدة الجليلة حرمة ، وكدت أعذر لولا حياء غلبنى أن أخالفه ساعة الفراق ، وقال لى في أثناء الغداء متلطفًا ، ((أنا اهتديت إلى صيغة جديدة بسيطة يفهمها كل انسان في مسألة الفاء الحماية وسأعلنها في مصر لأول مرة)) سأقول تنتهى الحماية التى أعلنت سنة ١٩١٤ وأن يعترف باستقلال مصر فى الداخل والخارج .

انها صيغة بسيطة واضحة يفهمها رجل الشارع ، فاذا قبلت حل كل اشكال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ولكن هيهات هيهات !

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ودمت الزعيم والسيدة الجليلة حرمة فى تأثر شديد ، وانصرفت . . لتقابل مرة أخرى فى مصر ان شاء الله .

فى انتظار دخول الزعيم

وأضيت فى الاسكندرية ثلاثة أيام للاستجمام انتظارا لمقدم الزعيم غدا واستعدادا لان اكون أول صاعد على الباخرة للقائد والتحدث إليه بأهم ما رأيت وما سمعت فى مصر ، وذلك بناء على طلبه منى قبيل سفرى من باريس ، كما سيصعد الاستاذ مصطفى النحاس السكرتير العام للوفد وفتح الله بركات باشا اللدان وصلا اليوم إلى الاسكندرية .

وفى اليومين الاخيرين لاحظت هنا ظاهرتين يلفتان النظر . .

الظاهرة الاولى : اختفاء الانكليز مدنيين وجنودا من شوارع الاسكندرية ، أما المدنيون منهم فقد عادا أكثرهم الى القاهرة مسرعين ، وأما الجنود والضباط فقد اختفوا من الميادين والشوارع والحدائق وانسحبوا الى ثكناتهم فعادوا الى قواعدهم سالمين ، فازدادت الاسكندرية روعة وجمالا وجهلا بهذا الجلاء المبكر للمحتلين واستراحت عيون المصريين .

والظاهرة الثانية : ازدياد مطرد في عدد سكان الاسكندرية بسبب كثرة الوافدين اليها ليكونوا في استقبال الزعيم يوم وصوله ، وقد علمت ان جميع القطارات قد نقلت الى الاسكندرية الاف الوافدين من القاهرة والوجه القبلى ومديريات الوجه البحرى حتى ازدحمت المقاهى والمطاعم والشوارع والحدائق ، كما شاهدت كثيرين ينامون على الكراسى فى المقاهى وفى الحدائق العامة ، ولولا ان الاستاذ مصطفى النحاس قد فطن الى ذلك الزحام الهائل لما حجر سلفا أربعة فنادق كبرى بأسماء البارزين من القادمين وكان فى طليعتهم أعضاء اللجنة المركزية للوفد وأعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات والبلديات وممثلو نقابات المحامين والاطباء والعلمين وغيرهم .

حسبى الآن أن اذكر بعض أسماء البارزين الذين نزلوا فى فندق ريجينا ((وندسور الآن)) حيث كنت أشغل غرفة بثلاثة سراير لى ولصديقى أحمد أمين وأخى حسين كامل سليم ، وحجرات مثلها يشغلها الاساتذة عباس العقاد وإبراهيم المازنى وأمين يوسف وطاهر اللوزى وبهى الدين بركات وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وسلامة ميخائيل وفخرى عبد النور ومرقص حنا ومكرم عبيد والدكتور نجيب اسكندر وراغب اسكندر ونجيب الفرا بلى وتوفيق دياب وعلى الشمسى وصادق حسنين وعبد الرحمن الرافعى وأمين الرافعى وسلامة موسى وعبد الخالق مدكور وغيرهم وغيرهم .

تجديد البيعة للزعيم

ما معنى هذا كله ؟ ما مفزاه ؟ ما السر فيه ؟
لا سر هناك ولا خفاء ، فالشعب المصرى بايجاز أراد أن يجدد البيعة للزعيم سعد زغلول .

لقد سبق أن سجلت في مذكراتي التي طبعت ونشرت في كتابي الثاني ((أن الخلاف بين سعد وأعضاء الاغلبية قد استعصى على كل حل ، فالزعيم والاقلية متمسكون بمبدأ الاستقلال التام لا يحدون عنه قيد أنملة ، وأن أعضاء الاغلبية يقولون أنهم كانوا على هذا المبدأ كذلك حتى رأوا تغير الظروف والاحوال وانسداد كل المنافذ والابواب في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وأنهم لذلك اعتقدوا بأن الخير هو في قبولهم مشروع ملر الذي هو دون الاستقلال)) .

وقلت في مذكراتي : ((ان هذه أزمة حادة ولا مخرج لها الا بأن يتفهم الوفد علنا وفي صراحة تامة ثم يلجأ كل فريق الى الاحتكام الى الامة في عملية استفتاء عام ، وأنه ليس أخطر من وضع الورق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية هدمه)) .

ثم ختمت رأيي هذا قائلا : ((لا بد من مواجهة الازمات بروح ايجابية فعالة لايجاد الحلول الحاسمة لها بدل التستر عليها بروح سلبية والا عشنا نخرج من أزمة الى أزمة ، ومن عذاب الى عذاب ، وهذه حالة لا تطاق)) .

والآن يتحقق الاستفتاء وتتجلى الحقائق الحاسمة .

سبق أن عاد عدلى الى مصر ليؤلف وزارة جديدة، فلم يستقبله الا عشرات من أنصاره ومريديه والطامعين فيه وبفضل مساعدة الزعيم له بعد أن تم الصلح بينه وبين عدلى قبيل سفر عدلى من باريس .

ثم عاد أعضاء الاغلبية الوفدية المعتزون بأغليبتهم ، فلم يستقبلهم احد الا اقرب المؤيدين لهم من ذويهم وأهلهم ، وقد حاصروهم الصحفيون وبعض المعلمين من المصريين ، حاصروهم بالاسئلة المخرجة لماذا عدتم ؟ ماذا وراءكم ؟ وأين الزعيم ؟ هل أنتم راجعون اليه مرة ثانية في باريس ؟ وما الى ذلك من الاسئلة مما هو أشد إحراجا وأزعاجا وتضييقا للخنفاق ، وكان عليهم أن يجيبوا بما وسعتهم الحيلة واللباقة وقوة الخيال أكثر من اعتمادهم على الصدق والصراحة والامانة والتعبير الصحيح عن واقع الحال

وأخيراً، وما أدراك ما أخيراً !! يصل الزعيم بسعد زغلول عائداً
إلى الوطن بعد غيبة طويلة فيقابه الشعب كله .. لقد جاء عن
بكرة أبيه ليستقبله استقبالا منقطع النظير في تاريخ هذه البلاد .

هل هناك استفتاء أعجب وأكمل واشمل من هذا الاستفتاء
الحافل ؟ أليست هذه هي البيعة التي قل أن يكون لها شبيه أو
نظير ؟

نعم إنها البيعة الكبرى .

الفهرس

صفحة	
٣	● المقدمة
٩	● الفصل الاول سعد وعدلى :
٤٧	● الفصل الثانى سعد يقول : لا اثق فى أعضاء الوفد :
٦٥	● الفصل الثالث خطاب خطير الى سعد :
١١١	● الفصل الرابع ستة أعضاء اتفقوا على العودة الى مصر :
١٢٥	● الفصل الخامس سعد يقول أنا الوفد :
١٤١	● الفصل السادس سعد يعتزم أمرا :

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٢٦٩ / ٧٦
الترقيم الدولي - ١٦ - ٧٠٤١ - ٩٧٧ ISBN

(مطابع الاخبار - ٢٦٢ - ٢٦٣ / ٧٦)

مارس ١٩٧٦



Library of the Alexandria Library (GOAL)

كتاب اليوم القادم

عصر الفضاء

بقلم

لواء مهندس

سعد شعبان

رئيس تحرير مجلة القوات الجوية

وعضو لجنة الفضاء بالاتحاد الدولي للطيران والفضاء بباريس

يصدر أول ابريل



هذا الكتاب

هذا ثالث كتاب للمؤلف في سلسلة تاريخية متصلة
الحلقات .

الكتاب الاول : « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها »
والكتاب الثاني : تناول « صراع سعد زغلول في
أوروبا » وجهاده بعد خروجه من المنفى والمفاوضات التي
دارت بين الزعيم والوفد من جهة ، ومائت واجنته من
جهة أخرى .

وهذا الكتاب الثالث: يتناول أحداثا مثيرة وتحولات
خطيرة بعيدة المدى ، عميقة الآثار . .

● خصومات ومصادمات عنيفة بين سعد وعدلى
قبيل عودة عدلى إلى مصر . .

● خصومات ومشاحنات ومصادمات أشد عنفا
بين سعد وأغلبية أعضاء الوفد ، ثم عودة هذه
الأغلبية إلى مصر في غضب ظاهر وخصومات
استحالت معها كل محاولة للعمل .

● ظهور تقرير ملتر واثاره الوبيلة .

● تأليف وزارة مصرية برئاسة عدلى ، ونجيب
المشاعر وتبلييل الافكار في مصر .

● اضطرار الزعيم إلى العودة إلى مصر حيث
انتقل ميدان الصراع وبدأت المعارك الجديدة . .

يجد القارئ كل التفاصيل المثيرة المذهلة في
هذا الكتاب .